الاختراق الصهيوني للمسيحية



القس إكرام لمعي

دار الشروق

الاختراق الصهيوني للمسيحية



القس إكرام لمعي

دار الشروق

الطبعة الأولى
١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م

الطبعة الثانية
١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

القاهرة : ١٦ شارع جواد حسني - هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٢٩٣٣٣
فاكس : ٣٩٣٤٨١٤ (٠٢) تلكس : 93091 SHROK UN
بيروت : ص . ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣
برقيا : داشروق - تلكس : SHOROK 20175 LE

إلى

أنــــدرو

و مــاريـــــان

تنويـــــه

الأرقام المذكورة نوعان :

١ ـ أرقـــام المـراجـــع .

٢ ـ أما التى يضاف إليها (*) فهى

(مصطلح يرجع إليه فى قائمة المصطلحات)

مقدمة الطبعة الثانية

الاختراق الصهيونى للمسيحية

عندما يتناول شخص ما قضية دينية فهو يقترب إلى أرض مليئة بالألغام ، ذلك لأن الدين فى أيامنا هذه له حساسية خاصة وإذا كان هذا الشخص رجل دين ينتمى إلى أقلية مذهبية داخل أقلية دينية فى مجتمعه فالحساسية تزداد .

وإذا كانت القضية ليست دينية فقط بل هى دينية سياسية وقد استغل فيها الدين بصورة أو أخرى ، هنا يكون الموقف من أصعب المواقف وأدقها ، وإن كان كل ذلك فى داخل مجتمع يمر بمرحلة انتقالية فيها يحبو نحو الديمقراطية وحرية الرأى واحترام الآخر ، سواء فى أحزابه أو مؤسساته أو هيئاته وتأتى فى ذيل القائمة فى الممارسة المؤسسات الدينية فيه ، هنا يكون الموقف أكثر وعورة وأدعى إلى القلق والتردد ... وعادة ما ينظر إلى مثل هذه الكتابات بنظـرات الشك والريبة ، فما الذى دفع رجل دين مسيحى فى مجتمع إسلامى للتصدى لقضية دينية سياسية ؟ ما الهدف ؟ ما المصلحة؟............ إلخ .

لكن الحقيقة تقول إنه إذا توقف أى إنسان فى أى مجتمع أمام هذه الأسئلة لما تصدى أحد لأى قضية .

وفى مثل هذه الحالات يتوقع البعض أنه كان يجب على الكاتب أن يكون أكثر حرصًا فى تعبيراته وأكثر محافظة فى تناوله للقضية ومجرد كونه تصدى لقضية مثل هذه بصورة عامة فى المجتمع ، يكون قد خرج عن الإطار المحافظ ، وكشف بعض الأمور التى ما كان يجب كشفها ، وهؤلاء يعتبرون أن المجتمع الذى يعيشون فيه غريبًا عليهم ، لذلك يجب عدم مناقشة مثل هذه القضايا علانية ، وإذا أثيرت مثل هذه القضايا يكتفى بنفيها أو الرد عليها باقتضاب شديد ، فى الوقت الذى فيه يتوقع البعض منهم أن كتابًا مثل هذا إنما هو فرصة لشرح أمور كثيرة لا تتعلق بالقضية لكنها تحسن صورة ديانة الأقلية أمام المجتمع ، فلماذا لا يستغل الكتاب بهذه الصورة ، وبهذا يتحول الكتاب إلى تعريف عن الأقلية ووضع صورة نموذجية لهم فى المجتمع .

بينما يتوقع البعض الآخر أنه كان يجب على الكاتب أن يكون أكثر انفتاحًا وواقعية ، وأن يكشف بقوة ويهاجم بعنف أولئك الذين استغلوا الدين فى قضية سياسية معاصرة ، وهؤلاء يعتبرون أن الكاتب ـ لأنه رجل دين ـ كان حريصًا أشد الحرص على ديانته بصفة عامة وعلى الكنيسة فى مصر بصفة خاصة .

هذا فى الوقت الذى فيه عندما يجلس كاتب ليتناول قضية ما ، عليه أن يتحرر من كل الضغوط المحيطة وأن يكون حريصًا فقط على الأمانة العلمية وهو ما حاولت أن أكون عليه .

ولقد أسعدنى لقاء جمهور القراء للطبعة الأولى من الكتاب ، وكان للقاء المباشر معهم فى معرض الكتاب الدولى بالقاهرة أكبر الأثر فى نفسى . وقد أسعدنى أكثر تشجيع كبار الكتاب والصحفيين من خلال تعليقاتهم فى

الصحف أو حديثهم المباشر مثل الأستاذ أحمد بهجت والأستاذ محمد سلماوى من الأهرام كذلك الأستاذ مصطفى غنيم من الأخبار وإبراهيم عيسى من روزاليوسف و د. محمد عمارة . ولقد كان لتشجيع الأستاذ محمد المعلم أكبر الأثر فى إخراج مثل هذا الكتاب .

وإذ أقدم لقرائى الطبعة الثانية من الاختراق الصهيونى للمسيحية ، ، أرجو أن يسهم فى إلقاء بعض الضوء على مثل هذه القضية الهامة .

القس / إكرام لمعى

مقـــــدمـــة

لم يحدث فى عصر من العصور أن كان الدين محورًا للإهتمام للدرجة التى فيها اختلط الدين بالأسس والمبادئ التى تبنى عليها معظم النظريات السياسية والاقتصادية والاجتماعية كعصرنا الحالى ، فقد دخل الدين وما يتبعه من فكر دينى إلى أغلب اهتمامات الإنسان ، وأصبح الدين هو المحور الذى تدور حوله كل أشكال الحوارات وإذا به يتدخل بشكل أو بآخر فى توجيه الجماهير ، ومع تصاعد الضغوط السياسية والاقتصادية شرقًا ، وارتفاع المد الحضارى والمادى غربًا ، أصبح الدين هو الملجأ الأخير والثابت الذى تتعلق به حضارات تنهار وحضارات تريد أن تستيقظ من جديد .

وعلى الرغم من الدور الهام الذى لعبه الدين فى الحضارات القديمة وعبر تاريخ الإنسان ، إلا أن الدين اليوم لا يلعب دورًا معينًا ، بقدر ما يدخل كشريك أساسى فى كل الأدوار والنظريات .

ومن هنـا كان الـدافع لأن نقدم مثـل هذا الكتـاب لتبقى لـلأديان نقاوتها ولنسمى كل أمر بمسمياته الصحيحة .

تصـــديـــر

عندما تخترق الأديان [١] !!

عندما يتحول الدين من وسيلة تنظم علاقة الإنسان بالله ، إلى غاية فى حد ذاته ، يكون معرضًا لمن يحوله إلى وسيلة لتحقيق أهداف نفعية سواء كانت سياسية أو اقتصادية وهذا يُعد إختراقًا للدين [٢] ، ولقد تميز العصر الذى نعيش فيه بالصحوة الدينية سواء فى الغرب أو الشرق ، ولقد اتخذ البعض هذه الصحوة فرصة لتحقيق منافع ذاتية ، قد تكون سياسية أو قومية وهذا يجسد بطريقة عملية فكرة إختراق الدين والتى يجب إيضاحها .

يُخترق الدين كمنهج إنسانى من داخله ، أى من بعض الذين ينتسبون إليه ، والذين تغلبهم السلطة ، وينحرف بهم الهوى عن النقاء الدينى ،

---

(١) ليس المقصود باختراق الأديان هنا إختراق الوحى والكتب المنزلة والأنبياء ، لكن المقصودهو إختراق الدين كمنهج يطبقه الإنسان، أو التطبيق البشرى للدين ، فلابد من الفصل بين الأديان فى نقائها والتى لا يمكن إختراقها وبين التجربة البشرية فى التطبيق.

(٢) ونحن لا نعنى بهذا أن الدين يجب أن يكون بعيدًا عن السياسة أو الاقتصاد بل العكس فنحن نؤمن أن الدين يقدم المبادئ الأخلاقية العامة لكل نشاط إنسانى سواء كان سياسيًا أم اقتصاديًا أم اجتماعيًا ، لكن المشكلة عندما يستخدم الإنسان الدين لتحقيق أهداف ونفع من ورائه ، فيصبح الدين وسيلة لا غاية .

فتراهم يتاجرون بالدين لتحقيق كسب مادى أو معنوى ، وأحيانًا أخرى يخترق من خارجه وذلك عندما يلقى أعداء دين معين بطعم مسموم إلى أتباعه فيبتلعونه ، ويحولون منهج هذا الدين لخدمة فلسفة أعدائه ، ولا يتم الإختراق من الخارج إلا إذا وجد من يتجاوبون معه من الداخل.

ولقد اختُرِقَت اليهودية أكثر من مرة ، كان من أهمها تلك النزعة إلى أن الله باختيارهم قد جعل منهم نسلاً متميزًا ، أسيادًا للعالم ، وأنه يجب على كل الدول أن تأتى وتركع عند أقدامهم ، ونتيجة لهذا فقد اعتبروا كل الأمم المحيطة بهم (كلاب) وحيوانات وجهلة ، ذلك فى الوقت الذى كان يجب فيه أن يكونوا نورًا للأمم ، فإذا كان الله قد ميزهم برسالته وأنبيائه ، فإنما ذلك لكى يخدموا العالم ، ويقدموا الإله الواحد لباقى الشعوب ، لا عن عجرفة وتسيّد بل بإتضاع وحب . وإذ بهم وبدلاً من أن يتسع أفقهم باتساع الله رب العالمين ، الذى خلق كل الأمم والأجناس ويرعاها ، إختزلوا الله فى إله قبيلة أوجماعة . ولقد كانت هذه النظرية الفاسدة سببًا فى أن عوملوا معاملة سيئة على طول تاريخهم القديم والحديث أيضًا .

وكان من نتيجة هذه المعاملة القاسية من شعوب العالم أن تيقن فى داخلهم عدم قدرتهم على التعايش مع أى شعب أو جنس آخر ، وتكونت نفسياتهم من الإحساس الدائم بعدم الاستقرار والطمأنينة ، فعاشوا فى وسط البلاد فى حارات مغلقة ومخنوقة ، لهم حياتهم الخاصة ، رافضين الذوبان فى وسط أى شعب من الشعوب ، وتحولت دولة إسرائيل الحديثة إلى حارة كبرى ، يتقاربون فيها من بعضهم البعض . يخافون الشعوب المحيطة، يكدسون الأسلحة ، ويعيشون القلق ولا يثقون بأحد .

كما أن الإسلام قد اختُرِقَ أكثر من مرة ، ففى الفتنة الكبرى إنقسم

المسلمون على من هو أحق بالخلافة ، على أم معاوية ، وعندما قبل على التحكيم وهو اقتراح معاوية خرج عليه البعض من أتباعه وسُموا بالخوارج ، وسَرى هذا الانقسام وعُضِدَ وغُذِىَ بسبب المصالح والأهواء، لينقسم العالم الإسلامى حتى اليوم إلى سُنة وشيعة .

وقد أختُرِقَ التفكير الإسلامى فى العصر الحديث عندما ظن البعض أن العودة إلى السلف هو النموذج الكامل للإسلام ، مع رفض كل مقومات الحضارة الحديثة ، واستخدام العنف والسيف فى تثبيت أركان الإسلام بدلاً من الحُجة ، وتكفير كل من يخالف هذا الفكر من المسلمين .

أما من الخارج فقد اخترق الإسلام عندما أراد معاوية بن أبى سفيان أن يقلد ملوك الشعوب المجاورة من الفرس والروم بجعل الخلافة وراثية ، والحكم المطلق فتحول الخليفة فى العصر العباسى إلى ظل الله على الأرض ، وكان هذا طعمًا قدمه أعداء الإسلام لهم فابتلعوه .

والمسيحية لها تاريخ طويل فى الاختراق ، ومن أشهر الاختراقات الداخلية، ظهور محاكم التفتيش ، والتى تم فيها قتل وحرق مسيحيين أرادوا الإصلاح للدين ، وفى تَبَنّى الكنيسة الأوروبية للحروب الصليبية ، والتى كانت أكبر وصمة فى تاريخها ، حيث تحالفت الكنيسة مع الأمراء والاقطاعيين لأسباب سياسية واقتصادية، وجندت جيوشًا ومولتها بصكوك الغفران . وأعلنت أن كل من يذهب ليحرر الأراضى المقدسة من المسلمين سوف يدخل الجنة بدون حساب ، ورغم الشعارات المرفوعة إلا أن الإختراق كان واضح الدلالة إذ كيف تتحول دعوة السلام إلى دعوة للحرب والقتل . أما الإختراق الخارجى للمسيحية فقد جاء من ناحية اليهود ، وازداد وضوحًا فى العصر الحديث ، وفكرة هذا الإختراق أن بعض المسيحيين فى أمريكا وأوروبا أرادوا أن يتبنوا فكرة وجود دولة إسرائيل الحديثة على

أساس أنها تحقيق لنبوات الكتاب المقدس ، علامة على قرب عودة المسيح إلى الأرض ثانية . ولقد حدث هذا الإختراق بذكاء شديد لكى تتبنى الكنيسة فكرة الدولة الصهيونية ، والمرفوضة تمامًا من الكتاب المقدس ، حيث يحول هذا الاختراق المسيحية إلى طائفة يهودية ظهرت كإحدى الطوائف فى القرن الأول ، وتعود إلى الدين الأصلى فى نهاية التاريخ ، هذا فضلاً عن أن اليهود سوف يُقبَلون من الله ، رغم رفضهم للمسيح ولرسالته ، وذلك بعد عودة المسيح بقوة ، وهذا الفكر ضد كل التعاليم المسيحية التى تؤكد على أن الباب سيغلق ولن يقبل أحد بعد المجىء الثانى للمسيح ، والكتاب المقدس يوضح أنه لا مجال لليهود فى العودة إلى الله إلا بعودتهم كأفراد ، واعترافهم بالمسيح، ولكن لظروف سياسية واقتصادية كثيرة ، ولإحساس الكثيرين من الأوروبيين بالذنب بسبب تعذيب اليهود ، إبتلعوا الطعم ، وبدأوا يتحدثون عن إسرائيل الحالية كتحقيق لنبوات الكتاب المقدس ويمولونها بالأموال والأسلحة ، هذا الإختراق للفكر المسيحى هو ما دعانا إلى كتابة هذا الكتاب لكى تكون الصورة واضحة أمامنا ، ولنرى كيف أن البشر فى كثير من الأحيان يُسخِّرون الدين لاجل أغراضهم السياسية والإجتماعية .

وسوف نقسم كتابنا إلى ثلاثة أقسام :

الأول : قاموس نوضح فيه معانى بعض المصطلحات التى سترد فى هذا الكتاب مثل معنى : إسرائيل وصهيون ، الملك الألفى ... إلخ .

والثانى: تحليل تاريخى لتاريخ الشعب اليهودى من إبراهيم إلى اليوم .

ثم أخيرًا : عرض لنظرية أن إسرائيل اليوم هى تحقيق للنبوات ومقدمة لمجىء المسيح ، وردنا على هذه النظرية .

مصطلحات : Glossary

١ ـ الملك الألفى : Millenium

تعبير يطلق على فكرة مُلك المسيح على العالم المادى لمدة ألف عام يعتقد البعض أنه ملك حرفى والبعض الآخر أنه روحى والثالث يرفضه تمامًا على الأرض ويعترف به فى السماء .

٢ ـ الأمم : Gentiles

تعبير أطلق على كل الشعوب غير اليهودية والتى لا تؤمن بالإله الواحد « يهوه » إله اليهود ، ولذلك كان التقسيم ومازال فى ذهن اليهودى ، يهود وأمم ، وكلمة أممى تعنى كل الأجناس غير اليهودية .

٣ ـ إسرائيل: Israel

اسم أُطلق على النبى يعقوب أبى الأسباط فى العهد القديم ومعناه « من رأى الله » أو « أمير الله » ثم تحول بعد ذلك إلى اسم القبيلة أو العشيرة ، ثم إلى اسم الدولة القومية التى أسسها داود ، ثم أطلق اسم مملكة إسرائيل على الجزء الشمالى من مملكة داود بعد انقسامها فى عهد حفيده الملك رحبعام ، ويطلق الاسم اليوم على الدولة التى تحتل أرض فلسطين.

٤ ـ علامات المجىء: The signs of the second coming

علامات يضعها البعض ليتوقعوا ويحددوا موعد المجىء الثانى للمسيح مثل حدوث زلازل أو حروب أوأحداث غريبة ، ومن أهمها قيام دولة

إسرائيل ، وهذه العلامات اختلف عليها الكثيرون ، وقد نَفَى كثير من العلماء وجود مثل هذه العلامات ، فى حين حدد البعض تواريخ معينة لهذا المجىء اتضح فيما بعد عدم صحتها ، ومع ذلك لا زال البعض يحاول توفيق بعض النبوات على أحداث معينة فى التاريخ ليبرهن على قرب المجىء ويحدد موعده .

٥ ـ هيئة السفارة المسيحية The Christain Embassy Authority:

هيئة غير كنسّية مركزها أورشليم ، تتبنى الآراء المتطرفة والتى تدعو إلى أن دولة إسرائيل هى علامة بارزة لقرب مجىء المسيح ، وتدعو العالم الغربى لتعضيد دولة إسرائيل ، ولها نشاطها ومؤتمراتها فى هذا الاتجاه ، وهى على خلاف حاد مع الكنائس العربية .

٦ ـ الكنيسة الكاثوليكية The Catholic Church:

كلمة كاثوليك تعنى « الجامعة » ، وهى الكنيسة التى يرأسها بابا الفاتيكان ، وتؤمن بالتقليد بجانب الكتاب المقدس ، وبالكهنوت المسلَّم من بطرس الرسول إلى البابوات واحدًا بعد الآخر ، وهى لا تؤمن بحرفية مُلك المسيح على الأرض .

٧ ـ الكنيسة القبطية الأرثوذكسية : The Coptic Orthodox Church

وهى الكنيسة المصرية وقد عانت من اضطهاد كنيسة بيزنطة ، وكلمة قبطى تعنى مصرى ، وأرثوذكسى تعنى مستقيم الرأى ، وهى تؤمن بالكهنوت المُسّلَم وتعود إلى مرقص الرسول حسب التقليد وليس التاريخ المكتوب ، وهى تؤمن بالتقليد أيضًا بجانب الكتاب المقدس ولاتؤمن بحرفية مُلك المسيح على الأرض .

٨ ـ الكنيسة الإنجيلية : The Evangelical Church

كلمة إنجيلى تعنى أن الإنجيل هو المرجع الوحيد لها دون التقليد ، فهى ترفض التقليد بكل أشكاله ، وترفض الكهنوت والتسلسل الكهنوتى ، وتعود بفكرها إلى المسيح ، وترفض فكرة حكم المسيح الحرفى على الأرض ، وقد جاءت مع حركة الإصلاح فى القرن السادس عشر والتى أطلق عليها حركة « البروتستانت » وتعنى « المحتجون » وذلك نسبة للاحتجاجات التى قدمها مارتن لوثر قائد الاصلاح ضد البابا والكنيسة الكاثوليكية ، أما مرجع الكنيسة الإنجيلية فى مصر فهو جون كلفن وقد بدأت الكنيسة فى مصر فى القرن التاسع عشر عن طريق المرسلين ، الذين قاموا بحركة تنوير وإحياء للايمان ، ثم تسلم الكنيسة مصريون وطنيون منذ عام ١٩٢٦ .

٩ ـ العهد القديم : The Old Testament

وهو الجزء الأول من الكتاب المقدس ، ويحتوى على ٣٩سفرًا ، يحكى قصة الله مع الإنسان منذ خليقة آدم حتى ما قبل مجىء المسيح بـ ٤٠٠ عام ، ويحتوى على خمسة أسفار لموسى النبى ، ثم أسفار تاريخية ، وأسفار شعرية وأخيرًا أسفار الأنبياء .

١٠ ـ العهد الجديد : The New Testament

وهو الجزء الثانى من الكتاب المقدس ، ويحكى قصة السيد المسيح وينتهى بقصة انتشار الكنيسة . إلى كل العالم، ويحتوى على أربعة أناجيل ، ثم سفر أعمال الرسل ، ثم رسائل من الرسل إلى الكنائس المختلفة وأخيرًا سفر الرؤيا الذى يعتمد عليه أصحاب فكر ملك المسيح حرفيًا على الأرض لأنه مكتوب بأسلوب رمزى .

١١ ـ المســـيــا :The Messiah or Messih

أو المسيح بالعربية ، وتعنى شخصًا ممسوحًا من الله أومعّينًا منه لانقاذ شعبه وتخليصه من أعدائه ، وقد انتظر شعب إسرائيل المسيّا الذى يملأ الدنيـا عدلاً ويهزم أعـداءه بحد السيـف ، وعندمـا جاء المسيـح اعتقد البعض منهم أنه المسيّا ، لكنه وبسبـب ميله إلى عدم العنف وإعلانه أن ملكوته روحـى ، رفضوه وحاكموه وحكمـوا عليه بالصلب ، أمـا الذين استمروا فى إيمانهم دُعـوا مسيحيين ، واستمر بـاقى اليهـود ينتظرون المسيّا إلى اليوم .

١٢ ـ المسيحية الصهيونية : The Zionic Christianity

حركـة نشأت فى أمـريكا ، الغـرض منها تعضيـد دولة إسرائيـل ، وقد أخذت هذه الـدعوة طابعًا دينيـًا لأنها كانت تدّعـى أن عودة اليهود إلى فلسطين هو تحقيـق للنبوات وإعـداد لمجىء المسيـح ثانيـة إلى العالم ، وانتشرت فى داخـل وسائل الاعـلام وبعـض الكنـائس وتبنتها هيئـات متعددة ، منها هيئة سفراء المسيح .

١٣ ـ البقية الباقية : The Remnant

اصطلاح يُطلق على البقيـة من شعب اليهود والتـى ستبقى دون إيمان بالمسيـح حتى عـودته بقـوة وجبروت لمحاربـة أعداء إسرائيـل ، وبعد انتصار المسيـح على أعدائه سوف تتعرف عليـه هذه البقية وتؤمـن به كجماعة .

١٤ ـ صهيــــون : Zion

إسم جبـل فى أورشليم ، له ذكريـات فى عقل الشعب اليهودى وخـاصة عندما يكون منفيًا بعيدًا عن أورشليم متطلعًا إلى العودة وقد أطلق هذا

الاسم على الحركة اليهودية المعاصرة (الصهيونية) . والتى اتخذت إتجاهات سياسية .

١٥ ـ الكنيســـة : The Church (Kanisa)

وهى كلمة من أصل يونانى تعنى « دعوة الشعب للاجتماع معًا » وتطلق على كل الشعب المسيحى فى كل العالم باختلاف طوائفه ، وهى مرادفة لكلمة شعب الله فى القديم (إسرائيل) ، فمفهوم إسرائيل فى العهد القديم أصبح يناظره مفهوم الكنيسة فى العهد الجديد ، ولم يعد هناك ما يسمى (إسرائيل الله) .

١٦ ـ إشعياء و إرميا وحزقيال :Isiah, Jeremiah, Ezekial

مـن أهـم أنبياء إسرائيـل الـلاحقين ، وإن لم يـأخذوا شهـرة الأنبيـاء المتقدمين مثل إبراهيم ونوح ومـوسى وهارون وإيليا عند غير اليهود ، وقد تنبـأوا فى فترة السبى وتعتبر كتبهم مـراجع هـامة لتاريـخ شعب إسرائيل فى المنفى .

١٧ ـ الكتابات الرؤوية :Apocalyptic Writings

وهى كتابات ظهرت بقوة وكثرة فى فترة ما بين العهد القديم والعهد الجديد ، واستمرت حوالى ٤٠٠ سنة ، وجاءت هذه الكتابات بسبب طول الزمن الذى انتظره اليهود لمجىء المسيا دون جدوى ، خاصة فى عام ٢٠٠ ق.م تحت اضطهاد السلاجقة والرومان ، وتخيلوا أن هناك قوة شيطانية تعطل وعد الله ومجىء المسيا ، ولذلك استخدموا رموزًا غريبة لا يفهمها إلا من يعرف معانى هذه الرموز ، وكثير من أخطاء المفسرين ترجع إلى تفسير الكتابات الرؤوية بنفس أسلوب تفسير باقى الكتاب المقدس وعدم الأخذ فى الاعتبار الرمزية المتطرفة التى كُتِبَت بها .

١٨ ـ أورشليم Jerusalem

تعنى مدينة السلام ، وهى مدينة صغيرة كان يسكنها اليبوسيون عندما أسس شاول (طالوت) أول ملك لإسرائيل مملكة إسرائيل وبعد موت شاول جاء داود إلى الحكم ، ولفكره الاستراتيجى تطلع إلى أورشليم وذلك لأنها ليست تابعة لأى سبط من الأسباط ، غير أن اليبوسيين الساكنين فيها كانت لهم شهرة فى إدارة وتخطيط الدولة ، لذلك أخذها داود وحولها إلى عاصمة لإسرائيل ، وقد كان لليبوسيين دور ضخم فى تأسيس دولة إسرائيل ، وكان لهم تأثير ضخم على داود حتى عند إختيار الابن الذى سيخلفه ، فقد أخذ برأيهم فى تعيين سليمان ملكًا لإسرائيل من بعده .

١٩ ـ ملكى صادق Melchizedek

إسم معناه « ملك البر » وهو ملك شاليم (أورشليم) جاء ذكره فى سفر التكوين[١] (الكتاب الأول من العهد القديم) وكان كاهنًا لله ، وفى مقابلته مع إبراهيم ، قدم له خبزًا وخمرًا فى وادى شوى وأخذ عشرًا منه ، وهذا يدل على أن الله تعامل مع آخرين غير إبراهيم .

٢٠ ـ كدر لعومر ملك عيلام : Chedorlaomer King of Elam

اسم عيلامى معناه « عبد الإله لعومر » ملك عيلام ويظهر أنه كان متسلطًا على بابل ، وقد تحالف فى أيام إبراهيم إمرافل ملك شنعار ، وأريوك ملك الامسار ، وتد عال ملك جوبيم معًا ، فأخضعوا مدن الدائرة حول البحر الميت مدة اثنتى عشرة سنة ، ثم عصت هذه المدن فى

---

(١) سفر التكوين ١٤ : ٨ ـ ١٤ .

السنة الثالثة عشرة فهاجمها كدر لعومر مع حلفائه ، وضرب القسم الموجود شرقى الأردن منها ، من باشان جنوبًا وهى أرض أدوم حتى رأس البحر الأحمر ، وهى البلاد التى سكن فيها العمالقة فيما بعد ، والسهل الموجود حول البحر الميت . واستطاع بهذا الانتصار أن يتحكم فى طرق القوافل المسافرة من البلاد العربية قرب رأس البحر الأحمر إلى مصر وكنعان والشمال . وهو الذى سبى لوطًا ابن أخ إبراهيم معه من سدوم ، لكن إبراهيم لحق به مع خدامه واسترجع لوطًا والغنيمة التى أخذها (سفر التكوين ١٤ : ١٠ ـ ١٦) .

٢١ ـ مخطوطات وادى قمران : The scripts of Qumran Valley

اكتشفها صبى يرعى الغنم فى عام ١٩٤٧ بالقرب من قرية قمران فى الشمال الغربى من البحر الميت ، وهى تحوى أحد عشر أو إثنا عشر درجًا تعود إلى القرن الأول قبل الميلاد والقرن الأول الميلادى ، وتحتوى هذه اللفائف على أجزاء من كل أسفار العهد القديم ، عدا سفر أستير وكذلك أجزاء من كتب تاريخية أخرى تدعى الابوكريفا وقد وجد سفر أشعياء بكامله تقريبًا وبعض تفسيرات سفر حبقوق ، كذلك وجد كتاب يتكلم عن نهج ونظام الجماعات التى تسكن هذه البقعة ، وهم الاسينيون ، وبعض الأناشيد الدينية والتعبدية ويعتبر ما اكتشف من العهد القديم هو أقدم ما وصلنا من أجزاء العهد القديم .

٢٢ ـ المكابيون Maccabians:

هم الحزب اليهودى الذى تكوّن نتيجة لظلم السلوقيين، وقد قام المكابيون بثورة ضد العبادة الوثنية ، ولقد اتخذت ثورة المكابيين طابع حرب العصابات أولاً ، ثم انضم إليهم كثيرون من الذين كانوا يُسَمّون

(الهسـديم)«الأتقياء » فأخذوا يَغيرون على المدن والقُرى ويقتِلون أتباع إنطوخيوس الحاكم السلوقى من اليهود المتشيعيين له ، ويهدمون مذابح الوثن ويختنون الأطفال بالقوة .

٢٣ ـ يـوشيـــا : Josiah

اسم عبرى معناه « يهوه يشفى » وهو ملك يهوذا ، وملك وعمره ٨ سنوات عام ٦٣٨ ق.م. ودام ملكه حتى عام ٦٠٨ ق.م. وقد قاوم يوشيا العبادة الوثنية فى إسرائيل ، وقام بعمل ترميمات لهيكل الرب ، وفى أثناء الترميم عثر على سفر الشريعة وقرئ أمامه وكان لقراءة هذا السفر تأثير عميق على الملك والشعب ، فعاهدوا أنفسهم على عبادة يهوه دون سواه ، فقام يوشيا بإزالة المرتفعات ، وهى المصاطب التى كانت ترفع عليها تماثيل الإله ، وكسّـر التماثيل وهدم مذابح البعل ، وقام بإصلاح دينى جذرى (سفر الملوك الثانى . ٢٣ : ١ ـ ٢٥ ، سفر أخبار الأيام الثانى أصحاح ٣٤ : ٢٩ ، ٣٥ : ١٩ .

٢٤ ـ شمعى وهلليل: Shimei and Hallil

(مدرسة هلليل التفسيرية) : كان هلليل (٣٠ ق.م ـ ١٠ م) واحدًا من أعظم مفسرى اليهـود ، وصاحـب مدرسـة كبيرة فى التفسير ، بل كـان أعظم مـن وضع قواعـد خاصة بتفسير الكتـب المقدسة . وكـان هلليل صاحب فكـر الانفتاح على الحضارات الأخرى وقبـول الأمم ، وتسـهيل الشريعة لهم. وقـد اعتبر النقاد أن المسيح إمتداد لمدرسـة هلليل ، بينما كان شمعى على عكس ذلك فقد كان يمثـل المدرسة المتزمتة فى الناموس ورفـض الأمم ، واعتبـارهم كـلابًا . ويُعتَبر اليهـود الحـاليون إمتـدادًا لمدرسة شمعى .

٢٥ ـ الهلينية والهليسينية : (الهلينية) and: Hellinisim Hellisinis

ويقصد بها الثقافة اليونانية الكلاسيكية من القرون التى سبقت مجىء الاسكندر الأكبر « أى الثقافة التى انتشرت فى المدن اليونانية ، كمدينة أثينا وغيرها ، وتشمل هذه الثقافة التفكير اليونانى فى كل أوجهه إلى جانب العوائد والتقاليد وطرق المعيشة والسياسة .

ـ أما (الهليسينية) : فهى الثقافة الهلينية عندما اختلطت بغيرها من ثقافات الأمم التى غزاها الأسكندر الأكبر ، « أى هى الحضارة التى انتشرت فى حوض البحر الأبيض المتوسط، وما يحيط به من مدة ثلاثة قرون »، وتبدأ من انقسام دولة الأسكندر الأكبر بعد موته ، ولم تكن هذه الحضارة أصيلة فى قوة الخلق والابتكار كما كانت اليونانية القديمة، ولكنها نمت من هذه الحضارة اليونانية القديمة ، وصارت حضارة عالمية شعبية .

٢٦ ـ السنهــدريــم : Sinhidrim

مجمع السبعين عضوًا وهو أعلى سلطة تشريعية تنفيذية بين اليهود .

وفى أيام المسيح حددت السلطة الرومانية التى تستعمر بلادهم فى ذلك الوقت نفوذه ، ولكن سلطانه كان عظيمًا ، وعلى الأخص فى المسائل الناموسية المتعلقة بالدين .

٢٧ ـ الميلاد الثانى: The Second Birth

تعبير استخدمه السيد المسيح لمعنى العودة إلى الله والتوبة ، فالميلاد الأول يكون من أب بشرى أما الميلاد الثانى ففيه يولد الإنسان من الله بالروح.

٢٨ ـ مارتن لوثر :Martin Luther

يعتبر لوثر والذى ولد فى ألمانيا عام ١٤٨٣ م قائد حركة الإصلاح وقد صارع ضد البابا وضد بعض الأمراء والرؤساء الكاثوليك . وكان ضد ما يسمى بصكوك الغفران التى كانت تصدرها الكنيسة . وقد نادى لوثر بحقيقة التبرير بالإيمان وليس بالأعمال ، وذلك عام ١٥١٣ وقد تمسك لوثر بالكتب المقدسة وأقوال الآباء التى تتفق مع الكلمة المقدسة ، ويعتبر لوثر زعيم الحركة البروتستانتية التى واجهت الكنيسة الكاثوليكية .

وقد رفض لوثر فكرة الحكم الحرفى للمسيح ، وفكرة استمرار اختيار إسرائيل كشعب الله بعد رفضهم لرسالة المسيح .

٢٩ ـ جون كالفن :John Calvin

يعتبر من أعظم قادة حركة الاصلاح فى القرن السادس عشر إن لم يكن أعظم مصلح ظهر فى هذه الحقبة فى فرنسا وسويسرا ، ويُدعى كالفن أبا ومؤسسًا للكنائس الكالفينية المشيخية ، فهو الذى قام بتأسيس النظام المشيخى فى العالم، وقد كتب كالفن حوالى ٥٩ مجلدًا ، تحوى تعليم وتفسير ووعظ ، وإليه ترجع تعاليم الكنيسة الإنجيلية بمصر ، وفيها رفض لفكرة كُوْن إسرائيل شعب الله المختار بعد رفضهم للمسيح ، ورَفَضَ تفسير الأرض والعهد بصورة حرفية ، ورَفَضَ الحكم الحرفى للمسيح لمدة ألف عام .

الباب الأول

ماذا يقول التاريخ ؟

قبل أن نتحدث عن تاريخ إسرائيل نرى أنه يجب علينا أن نوضح للقارئ بأننا قصدنا بعض الاسهاب فى ذكر تاريخ إسرائيل وذلك لعدة أسباب أهمها:

أولاً : لأن هناك من يتعمد الخلط بين تاريخ إسرائيل كدولة وتاريخ الدين اليهودى ، فالثابت تاريخيًا أن الفكر الدينى اليهودى لا يهتم كثيرًا بوجود الدولة ، بل إن فترات ازدهار الدين اليهودى ونموه بصورة صحيحة كان فى الوقت الذى عاش فيه الشعب اليهودى فى المنفى ، أوعلى شكل قبائل قبل تأسيس الدولة ، بينما نجد الدين وقد توارى وضعف فى الفترات التاريخية التى ازدهرت فيها دولة إسرائيل ، ولذلك أردنا باستقراء التاريخ أن نوضح بأن تاريخ إسرائيل كدولة لم ولن يكون هو تاريخ الدين اليهودى .

ثانيًا : لأن هناك من يؤكد على أن تأسيس دولة إسرائيل الحالية فى فلسطين إنما هو ضمن خطة الله لأجل خلاص العالم ، وعلامة على قرب نهاية العالم .

وقراءة التاريخ توضّح لنا أن تأسيس دولة إسرائيل فى عصرنا الحالى لم يكن سوى رد فعل لاضطهاد اليهود فى أوروبا ، ومحاولة موافقة من أوروبا للتخلص من تلك الحارات المغلقة لشعب عنيد متقوقع على ذاته ، وذلك بعد فشل القتل والحرق فى إبادتهم ، فضلاً عن أنها محاولة لانتزاع الشعور بالذنب من ضمائرهم ، فى نفس الوقت الذى لم يشترط فيه مؤسسو الدولة من اليهود أن تكون هذه الدولة فى فلسطين ، وكانت هنالك بدائل كثيرة أمام المؤتمرات الصهيونية مثل الأرجنتين أو إفريقيا ، وفى كل هذا لم يكن فى ذهن

مؤسسو الدولة تحقيق هدف الله على أى حال ، بل إن أغلبهم كانوا من العلمانيين [١].

ثالثًا : لأن التاريخ هو المرآة الحقيقية التى تبين حقيقة الشعوب ، فالتاريخ يشهد بأن شعب إسرائيل على طول الزمن لم يكن له اهتمام حقيقى بالدين ، غير أنه كان يستغل الدين بصورة واضحة لتحقيق أهداف سياسية واقتصادية وكان دائمًا ينادى بأمور معينة فى وقت معين ثم يفعل العكس فى أوقات أخرى .. وهكذا .

رابعًا : لأننا لا يمكن أن نفهم صدق دعاوى إسرائيل عن الحقوق التاريخية لها فى أرض فلسطين دون العودة إلى التاريخ وقراءته ، فالتاريخ هو أصدق سجل لمن له الحق فى الأرض فهل صحيح أن التاريخ فى صف دولة إسرائيل ؟

لأجل هذه الأسباب وغيرها ، سوف نستعرض معًا تاريخ إسرائيل كدولة. وينقسم التاريخ اليهودى حسب تصورنا إلى أربعة أزمنة :

١ ـ العهد الإسرائيلي من إبراهيم ٢٠٠٠ ق.م تقريبًا إلى سبى بابل ٥٩٧ق.م.

٢ ـ الحقبة اليهودية من ٥٩٧ ق.م إلى ١٣٥ م .

٣ ـ الضياع من ١٣٥ م إلى ١٨٨٠ م .

٤ ـ الصهيونية من ١٨٨٠ م إلى اليوم .

(١) المقصود بالعلمانى هنا من لا يضع الدين هدفًا لحياته

الفصـــل الأول

ويمكننا أن نتناول فى هذا الفصل الحقبتين الأولتين وهما العهد الإسرائيلى والحقبة اليهودية .

أولاً : العهد الإسرائيلى من إبراهيم ٢٠٠٠ ق.م إلى سبى بابل ٥٩٧ ق.م

يعتقد اليهود أن إبراهيم أبا الأنبياء هو أول من أعلن له الله وحدانيته ، فى حين أن التوراة تعلن عن شخص قلما نذكره يُدعى ملكى صادق « ملك شاليم» وكان كاهنًا لله العلى ومعاصرًا لإبراهيم قبل ظهور إسرائيل بعشرات السنين، وقد قام ملكى صادق هذا باستقبال إبراهيم ومعه ملك سدوم بعد أن انتصر إبراهيم على واحد من أعدائه بسبب سبيه لابن أخيه ، وفى حفل الاستقبال قدم لإبراهيم خبزًا وخمرًا وباركه وقال « مبارك إبرام من الله العلى مالك السموات والأرض »[١] ...وتتحدث التوراة أيضًا عن أيوب النبى والذى لم يكن إسرائيليًا ، وقد ظهر فى التاريخ سابقًا لإسرائيل فى مكان غير فلسطين يدعى (أرض عوص) حيث تعامل الله معه وأعلن له ذاته كما هو موجود بوضوح وغنى فى سفر أيوب فى العهد القديم من الكتاب المقدس .

ومـع أن الشعب اليهودى ينتسب إلى إبراهيم النبى والمدعو خليل الله ،

(١) سفر التكوين ١٤ : ٨ ـ ١٤ .

إلا أن هناك من يشاركونه هذا الانتساب ، فقد خرج إبراهيم من مدينته قرب العراق وانتقل فى موجة هجره عامه إلى أرض كنعان ، لاجل الاحتفاظ بايمانه بالله الواحد ، حيث دعاه الله لأن يخرج ويستقر فى أرض كنعان ، وهناك أنجب ولدين هما إسماعيل ، وأمه هاجر المصرية ، وإسحق ، وأمه سارة ، ثم قام إبراهيم وبايعاز من سارة بطرد هاجر وإسماعيل ، وأعطاهما قربة ماء لكنهما تاها فى برية بئر سبع ، ولما فرغ الماء من القربة طرحت هاجر الولد تحت إحدى الأشجار ، ومضت وجلست مقابله بعيدًا ورفعت صوتها وبكت. وتقول التوراة أن الله سمع صوت الغلام « ونادى ملاك الله هاجر لا تخاف لأن الله سمع لصوت الغلام حيث هو ، قومى احملى الغلام وشدى يدك به ، لأنى سأجعله أمة عظيمة ، وفتح الله عينيها فوجدت بئر ماء فذهبت وملأت القربة ماء وسقت الغلام ، وكان الله مع الغلام فكبر ... وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر » [1].

أما إسحق فقد تزوج من رفقه بنت بتوئيل من حاران حيث خرج إبراهيم ، وهناك كانت عشيرته وأنجب منها ولدين عيسو ويعقوب ، وافترق الأخوان بعد قصة إحتيال رواها سفر التكوين ، حيث خدع يعقوب أباه ـ إسحق الذى كَلّ بَصَرَهُ ، عندما دعا إسحق ابنه البكر عيسو وطلب منه أن يأتيه بصيد ليأكل ويعطيه البركة قبل وفاته ، وكانت رفقه تسمع ما قاله إسحق لعيسو وكانت تميل أكثر إلى يعقوب ، فأخذت جدى معز وذبحتها وألبست يعقوب ثياب عيسو الفاخرة ، وألبست يديه وعنقه جلود جدى المعزى وأعطته الأطعمة والخبز ليدخل إلى أبيه ويدّعى أنه عيسو البكر ، وقد

(١) سفر التكوين ٢١ : ١٧ ـ ٢١ .

خُدِعَ إسحق بالفعل وبارك يعقوب رغم شكه فى الصوت وقال« الصوت صوت يعقوب ولكن اليدين يدا عيسو » [1] ... وعندما عاد عيسو واكتشف الخديعة إستشاط غضبًا وأقسم على قتل يعقوب ، لكن رفقه دعت يعقوب وقالت له اهرب إلى أخى لابان إلى حاران حتى يهدأ غضب أخيك عنك وينسى ما صنعت به ، ثم أرسل فأخذك من هناك وهكذا ترى أن نسل إسماعيل ونسل عيسو هم أليفاز ورعوئيل وتيمان وأومار وصفوا وجعثام وقناز وعماليق ، ومن نسل عيسو كان هناك أمراء ، أمير تيمان وأمير أومار وأمير صفو وأمير قناز وأمير مد جبار [2]، وهؤلاء ونسلهم من العرب ينتسبون إلى إبراهيم أبى المؤمنين وتنتسب اليهود إلى يعقوب حفيد إبراهيم الذى أنجب إثنى عشر ولدا ، ومن بين أبنائه كان يوسف الصديق [3] الذى ذهب إلى مصر نتيجة مؤامرة إخوته عليه حيث حقدوا عليه لتفضيل يعقوب أبيهم له عليهم، فألقوه فى البئر ، ثم باعوه لقافلة من البدو كانت متجهة إلى مصر ، وهناك بيع إلى قائد الشرط ، الذى هامت زوجته بيوسف ، فألقاه فى السجن . وفى سجنه برع فى تفسير الأحلام ، وعندما حلم فرعون مصر واستعصى على سَحَرَتِهِ تفسير الحُلم إستُدْعِىَ يوسف من السجن لتفسير أحلام فرعون .

وبعد تقديم يوسف التفسير الصحيح لفرعون ، قلّده فرعون كالرجل الثانى فى المملكة ، وهنا جلب يوسف أسرته إلى مصر حيث ظلوا أربعمائة عام، فيها تناسلوا وكثروا وتحولوا مع الوقت وتغيير الحكم إلى عبيد للمصريين ، إلى أن جاء موسى النبى وخرجوا معه من مصر فى ملحمة

(١) سفر التكوين ٢٧ .
(٢) سفر التكوين ٣٦ .
(٣) سفر التكوين ٣٧ .

تاريخية تحكيهاالكتب المقدسة بإسهاب حيث يبدو تعنّت فرعون مصر وكأنه يقف أمام الإله خالق السموات والأرض ويتحداه ، ويمد الله يده وينقذ شعبه إسرائيل بتعبيرهم البحر الأحمر بعد جفافه ، الأمر الذى عندما حاول المصريون عمله غرقوا [١] ، وبعد خلاص الشعب من مصر تاهوا فى برية سيناء لما يقرب من أربعين عاما ، فيها عالهم الله وحفظهم ودبر لهم طعامهم، فثيابهم لم تبلَ ، وأحذيتهم لم تتخرق ، ومع ذلك تمردوا كثيرًا على موسى وعلى الله ، ومرات عديدة ندموا على خروجهم من مصر وقالوا لموسى هل أخرجتنا من مصر لكى تميتنا فى البرية ؟ ، وانحرفوا عن عبادة الله أكثر من مرة وكانت أهم واقعة لذلك أثناء غياب موسى على الجبل لتلقى الشريعة ، حيث صنع الشعب عجلاً ذهبيًا بالذهب الذى نهبوه من المصريين ليلة خروجهم ، حيث طلبت كل امرأة يهودية من جارتها ذهبها ، ثم هربت به ، وفى البرية جمعوا هذا الذهب ووضعوه فى كومة واحدة ، ثم أدخلوه فى النار وشكّلوه على هيئة عجل، وبدأوا فى عبادته قائلين : هذه هى آلهتك يا إسرائيل ، وعند نزول موسى من على الجبل ورؤية شعبه على هذه الصورة غضب ، وحطم حجرى الشريعة ، ومات الجيل الذى خرج من مصر ومعهم موسى ، ولم يدخل منه أحد إلى أرض كنعان سوى اثنين هما يشوع بن نون وكالب بن يفنه ، وبعد أن تولى يشوع [٢] القيادة خلفًا لموسى ، قام بتنظيم هجوم على قرى أرض فلسطين واستولى عليها واحدة بعد الأخرى ، ولقد تميز يشوع بالقوة فى الحرب وبإبادة قرى بأكملها برجالها ونسائها وأطفالها ، وبعد أن

---

(١) سفر الخروج ١٤ والعبرانيين ١١ : ٢٩ .

(٢) سفر يشوع .

انضم الشعب القادم من مصر إلى الشعب اليهودى الذى كان فى الأرض ، جمعهم يشوع عند جبل جرزيم ، وهناك أسّس الدولة على أساس دينى ، وعلى أساس أن الله هو الذى يحكم الشعب حكمًا مباشرًا ، ونادى لقبائل إسرائيل أن تتجمع لتكوّن معًا دولة واحدة يكون الله فيها الملك وتكون إسرائيل شعبه، وفى هذه الموقعة وافق رؤساء القبائل على كلمات يشوع وصرخوا بأن الرب هو الله ، وأنه ملكهم ولذلك لم يختاروا ملكًا واحدًا لكل الشعب ، وكان نظام الحكم[١] أقرب إلى النظام الفيدرالى ، فكل عشيرة يحكمها شيخها ، ولها قوانينها الخاصة بها ، لكنهم يتجمعون معًا فى حالة القتال أو المهام القومية الضخمة، ولقد حرص يشوع على أن يؤسس الدولة من إثنى عشر سبطا (قبيلة) ، دون الاهتمام بأسمائها ، فكان الأهم عنده دائمًا هو العدد « ١٢ » كعدد مقدس وتقليدى ، فهو عدد أبناء يعقوب ، فمثلاً سبط يوسف انقسم إلى اثنين أفرايم ومنسى ، وسبط آخر إختفى ... وهكذا.

ولقد سُمِيَت الفترة ما بين دخول الشعب إلى أرض فلسطين وتأسيس المملكة ، بفترة القضاة . حيث كان كل شيخ يحكم قبيلته بقانونه الخاص ، وفى حالة التعرض لخطر خارجى من الأعداء أو الجيران ، كان الشعب يتجمع حول شخص يدعى « القاضى » ينظم صفوفهم ، ويقوم بحملات عسكرية ضد أعدائهم لتخليصهم منه ، وبعد الانتصار على الأعداء كانت القبائل تعود إلى أماكنها ، ويعود القاضى إلى بيته وعشيرته دون سلطان أوامتياز معين ، ولقد اشتهر فى فترة القضاة عدة أسماء مثل شمشون ويفتاح وجدعون ودبوره ... إلخ .

---

(١) سفر القضاة .

وكان آخر القضاة هو صموئيل[1] ، والذى أرغمه الشعب على التنحى واختيار ملك علمانى لهم مثل باقى الشعوب المجاورة ، فقد اكتشف الشعب أن نظام القضاة لم يعد صالحًا للدفاع عنهم حيث أحسوا بأنهم قبائل متفرقة تواجه دولاً منظمة ، وأحسوا بفشل نظامهم السياسى ، فاتجهوا إلى صموئيل وطلبوا منه مباشرة أن يختار لهم ملكًا من بين عشائرهم وينظم المملكة ، ولقد رفض صموئيل الفكرة فى البداية وحزن حزنًا شديدًا ، إلا أن الله قال له « لم يرفضوك أنت بل إياى رفضوا » ، وطلب منه أن يتحدث إلى الشعب ، مذكرًا إياهم بالواجبات التى يجب أن يقوموا بها تجاه الملك ، ويحذرهم من أن الملك سوف يأخذ نساءهم وأولادهم وأموالهم ، ورغم توضيح صموئيل كل هذا للشعب ، إلا أنهم أصروا على اختيار الملك ، وذلك لاحساسهم العميق بفشل نظام القضاه والحكم الإلَهى المباشر .

وهنا اختار صموئيل شاول (طالوت) كأول ملك على إسرائيل ، إلا أنه أصيب بمرض نفسى وعصبى يُرَجّح أنه كان مرض الصرع ، وتضاربت قراراته ، واختلف مع السلطة الدينية والتى يمثلها صموئيل ، وكانت حينئذ فى أوج قوتها ، وبالتالى أُخِذَت منه المملكة وأعطيت للشاب الموهوب والواعد داود عام ١٠٠٠ ق.م . وقد بدأ داود مسيرته نحو المُلك بحكم عشيرته يهوذا، ومحاربة شاول فى الوقت الذى فيه هادن شيوخ إسرائيل بالهدايا ، ولأنه وضع نصب عينيه أن يحقق طموحه ويملك على إسرائيل الكبرى ، وقام بعمل معاهدة سلام (هدنه) مع الفلسطينيين[2] والذين كانوا يحاربون إسرائيل حينئذ وهكذا لم يحارب مع شاول ضد الفلسطينيين وبعد موت

(١) سفر صموئيل الأول الاصحاح الثامن .
(٢) سفر صموئيل الثانى الإصحاح ٢٧ : ٢٩.

شاول وابنه يوناثان فى إحدى المواقع ، أصبح الطريق ممهدًا لكى يُعلن داود نفسه ملكًا على إسرائيل ، وكان لفكر داود العسكرى والاستراتيجى المتميز، الفضل الأول فى التأسيس الفعلى لمملكة إسرائيل ، حيث استولى على أورشليم وجعل منها عاصمة لاسرائيل ، فلم تكن أورشليم ضمن الأراضى التى تعيش عليها قبائل إسرائيل ، وكانت مدينة صغيرة يسكنها شعب يدعى «اليبوسيون » وكانوا يتميزون بفن الإدارة ، وقد استخدمهم داود لترتيب المملكة وتنظيمها . ثم بدأ داود غزو البلاد المجاورة له فامتدت مملكته لتصل إلى سوريا ، ولم تكن المملكة يهودية خالصة ، بل كانت تضم شعوبًا مختلفة مثل الفلسطينيين والحيثيين والمؤابيين والكنعانيين .. إلخ ، ولقد كان الحكم فى مملكة داود علمانيًا وليس دينيًا بمعنى أن داود هو الذى يحكم وليس الله، كما كان فى فترة القضاه ، ولقد كان هنالك دائمًا النبى الذى يتحدث عن فكر الله فى المملكة ، وكان ناثان النبى يقوم بهذاالدور بالنسبة لداود ، لكن دوره لم يكن بقوة دور صموئيل الذى كان يحكم بالشريعة . وعلى امتداد تاريخ إسرائيل ، كان دور النبى يتضاءل عندما يكون الملك قويًا والعكس صحيح . وإن كان لهذه القاعدة بعض الاستثناءات مثل داود وناثان وايليا واخاب وبعد داود جاءت مملكة سليمان والتى تميزت بالرخاء الاقتصادى وبالسلام السياسى والاجتماعى . وبعد موت سليمان انقسمت المملكة إلى قسمين ، القسم الشمالى ودعى إسرائيل أو المملكة الشمالية ويضم عشرة أسباط ، والمملكة الجنوبية (يهوذا) وتضم سبطين ، وقد قام الشماليون ببناء مرتفعات[1] كبديل للهيكل ، ثم قاموا بعبادة الله فى الجبل بديلاً لاورشليم . وبعد ذلك جاء الغزو الاشورى للملكة الشمالية وسُبيَت المملكة

(١) المرتفعات : مصاطب توضع عليها التماثيل للعبادة . وقد بنيت بديلاً لهيكل أورشليم فى السامرة عاصمة المملكة الشمالية .

وهُدِمَ الهيكل وأُخِذَت الأوانى الذهبية والفضية ، وانتقلت إسرائيل بشبابها ورجالها ونسائها إلى بابل ، ولم يبق فيها سوى عدد قليل من الفقراء ، وبالسبى البابلى انتهت الحقبة التى تسمى بالاسرائيلية ، وقد تأسس معظم تاريخ إسرائيل على هذه الحقبة ، فالذهاب إلى مصر والعبودية هناك ، ثم الخروج بطريقة معجزية واضحة ، أصبح علامة هامة جدًا فى حياة اليهود إلى اليوم ، فهم يعيِّدون الفصح بذبح الخروف علامة على نجاتهم من مصر .

ولقد شكّل الذهاب إلى السبى والعودة منه الشخصية التاريخية لإسرائيل ، وأصبح علامة مميزة لهذا الشعب ، وقد استخدم الملوك والقادة الدينيون فكرةالعودة كمشروع قومى فى شكل واضح يُغَلَّف بأفكار دينية .

ومن السمات الأساسية لهذه الحقبة بجانب الخروج من مصر والعودة من السبى ، ظهور فكرة العقاب الجماعى والمكافأة الجماعية ، فالله يعاملهم كرجل واحد ، فعندما يخطئ شخص واحد تعاقب الأمة بسبب خطئه [١] ، ففى غزوهم لأريحا سرق أحد الجنود ويدعى عاخان بن كرمى لسانا من الذهب ورداء شنعاريًا ، وكان العقاب الإلهى هزيمة الشعب ككل أمام قرية صغيرة تدعى (عاى) ، وعندما اكتشف يشوع سر الهزيمة لم يقتل عاخان فقط بل عشيرته ككل وعاد كل الشعب كرجل واحد إلى الله ، وهنا رفع الله عنهم العقاب وعلى أساس هذه الفكرة تعيش إسرائيل علاقتها مع الله كجماعة وليس كأفراد ، كما وَضَحَ ذلك فى تفسيرهم لحرق هتلر لهم جماعيًا فى أفران الغاز ، وانقاذ الله لهم جماعيًا عندما رجعوا إليه .

---

(١) سفر يشوع الاصحاح السابع .

ثانيًا : الحقبة اليهودية من ٥٩٧ ق.م إلى ١٣٥ م

ظهر فى السبى البابلى نبى يدعى حزقيال تتلخص رسالته فى أن الخلاص من السبى لن يتم إلا من خلال الديانة النقية والعودة إلى الله . فى ذلك الوقت كانت الحياة القبلية قد انتهت مع بداية السبى ، ولم يعد هناك أسباط فى إسرائيل ، فقد اختفى عشرة أسباط ، وانفرط عقد الأمة ، وبالتالى فأيدلوجيًا اختفت نظرية العقاب الجماعى لشعب إسرائيل كفرد واحد ، وظهرت عقيدة المسئولية الفردية ، فالله يكافئ أو يعاقب أفرادًا وليس جماعة، فالقول « الآباء أكلوا الحصرم وأسنان الأبناء ضُرِسَت » لم يعد له مكان وأصبح الفكر « الابن لا يحمل من إثم الأب والأب لا يحمل من إثم الابن،النفس التى تخطئ هى تموت » [١].

ولقد وقعت ست هجرات مميزة للاسرائيليين فى الفترة التاريخية ما بين ٧٣٤ ق.م إلى ١٣٥ م ، كان البعض منها إلى مصر والبعض الآخر إلى أماكن أخرى فى الشرق الأدنى ولقد عاش معظم اليهود فى هذه الحقبة خارج أرض فلسطين ، وفى صراعهم مع الحضارات الأخرى كان عليهم البحث عن هويتهم ، فبدأوا العودة إلى كتاباتهم ونواميسهم وتاريخهم القديم .

وفى بابل لم يعامَل اليهود معاملة سيئة ، فقد وُجِدَت مخطوطات بجوار عشتاروث « أقدم مدن بابل » بها قائمة بأسماء المسبيين ونشاطهم فى بابل ، وكان بها اسم يهوياكين ملك يهوذا ، وبعض الأسماء الأخرى ، وموضح بها أن اليهود عملوا بالتجارة ، واكتسبوا أموالاً كثيرة ، وكانت لهم أوضاعهم الاجتماعية المتميزة إلى حد ما .

---

(١) حزقيال ١٨ : ١ ـ ٣٢ .

ولقد موَّلت أموال التجار اليهود مشروع عملية حفظ الناموس وإعادة كتابته، وجهود نسخ الشريعة، وكان لليهود حرية ممارسة شعائرهم الدينية والتى ميزتهم عن باقى الشعوب الأخرى التى انخرطت فى عبادة آلهة بابل[١].

ولقد كان للعِلْم البابلى وتقدم الفلك ، الأثر الواضح فى وضع العقيدة اليهودية بنظام معين وثابت ، فقد قُسمت السنة اليهودية ولأول مرة إلى أعياد الفصح والحصاد والمظال ،لأن البابليين هم أول من قسموا السنة فلكيًا ، كما تأكدت عقيدة حفظ السبت بقوة .

ولقد كانت فترة السبى قصيرة نسبيًا إذا علمنا أنه انتهى بعد خمسين عامًا فقط من سقوط اليهودية . وهنا نأتى إلى نقطة هامة فى التاريخ اليهودى ، فكما لاحظنا من العرض للتاريخ اليهودى أن هنالك خلطًا بين تاريخ الدولة وتاريخ الدين ، فتاريخ الدين ينقسم إلى أربعة حقب هامة :

(١) حِقبة الآباء بدءًا بإبراهيم . (٢) حِقبة موسى النبى .

(٣) حِقبة السبى . (٤) حِقبة ما بعد خراب أورشليم .

فى الحقبتين الأوليتين خرجت عقيدة يهوه إلّه إسرائيل وفى الحقبتين التاليتين ظهرت اليهودية كدين وعقيدة وفكر ، وفى كل هذه الحقب الأربعة لم يكن لليهود دولة مستقلة رغم أنه فى الحقبة الموسوية لم يُحكَموا من أحد سوى موسى .

ومن المؤكد تاريخيًا أن الإسرائيليين فى التاريخ المبكر ، واليهود بعد ذلك ، عندما كانوا يعيشون فى ظل دولة مستقلة ، كانوا يجدون صعوبات غير عادية فى حفظ عقيدتهم نقية وطاهرة ، والدليل على ذلك أن الانهيار

Paul Johnson. History of the Jews. New York, 1988 . (١)

الأخلاقى أو الدينى وقع أثناء حكم يشوع الذى خلف موسى ، ثم ظهر ثانية فى أثناء حكم الملك سليمان وظهر بعد ذلك عدة مرات فى المملكة الشمالية أوالجنوبية ، خاصة تحت حكم الملوك الأغنياء والأقوياء ، والتى تميزت حقبهم بالسلام والرخاء الاقتصادى ، وفى كل مرة كان الشعب ينحرف إلى عبادة آلهة الشعوب المجاورة سواء كانوا من الكنعانيين أو الفلسطينيين [١] أوالفينيقيين أو اليونان .

وقد بدأ شعب اليهود أكثر تدينًا وقربًا لله وهو تحت حكم أجنبى ، فقد كانوا يطيعون الناموس ويخافون الله بصورة واضحة وقوية ، ومن أبرز من عبّر عن هذا الفكر ، أحد أنبياء اليهودية الكبار ويدعى النبى أرميا ، والذى وصل فى تأمله لتاريخ شعبه إلى نتيجة ملخصها أن ضعف الأمة اليهودية وعدم استقلالها يقترن دائمًا بقربها إلى الله ، وقربه منها وأن وجود دولة يهودية مستقلة إنما هو من عمل إبليس وليس من الله ، لأنهم دائمًا ينحرفون عن عبادة الله ، ولهذا الفكر جذوره العميقة فى التاريخ الإسرائيلى تعود إلى بدايات تكوين الشعب حيث كانوا يعتقدون أن الله هو الذى يحكم وليس الإنسان . ومن هذه النقطة نستطيع أن نلاحظ مكانة السبى والتشتيت فى الذهن اليهودى ، وتفضيلهم الحياة فى الشتات على الدولة المستقلة ، وقد ظهر هذا بوضوح بعد انهيار الامبراطورية الفارسية على يد قورش العظيم والذى أمر بعودة جميع الشعوب المسبية إلى أوطانها ، وقد شمل هذا القرار الشعب اليهودى ، إلا أن كثيرًا من اليهود فضلوا البقاء فى بابل التى أصبحت مركزًا للحضارة اليهودية بعد ذلك ولمدة ١٥٠٠ عام .

---

(١) الفلسطينيون : ليس المقصود بهم الفلسطينيون العرب ، لكنهم كانوا قبائل هاجرت من جزيرة كريت واستقرت فى فلسطين .

وهناك مجموعات يهودية أخرى عاشت واستقرت فى مصر ، ليس على حدود مصر فقط كما فعل أرميا النبى ، بل فى صعيد مصر فى جزيرة الفيل ، وتوجد مخطوطات توضح السماح لليهود بإعادة بناء هيكلهم فى مصر [1]، وحتى بين أولئك الذين عادوا لليهودية كان هناك المسبيون فكريًا (السبى العقلى) ، والذين تبنوا فكر أرميا النبى بأن السبى له جانب إيجابى للتطهير، ففضلوا الحياة فى الصحراء ، ينتظرون الرب بحياة كاملة خالية من الشر والخطيئة ، ومن المؤكد أن قورش حكم الامبراطورية الفارسية بأيدلوجية علمانية أخلاقية وغير عنصرية ، فتحت حكمه احتُرِمت جميع الاديان وجميع الشعوب الذين يقبلون سلطانه السياسى عليهم ، وتوجد فى المتحف البريطانى الوثيقة التى أصدرها كورش ونصها « أنا كورش العظيم ملك العالم .. وماردوخ الإلّه العظيم يمجد ويبارك أعمالى ، لقد جمعت كل الشعوب وتركتهم يعودون إلى أوطانهم يعبدون آلهتهم ...

بأمر الإله ماردوخ الإلّه العظيم فليستقروا بفرح فى أوطانهم ... وياليت كل الآلهة التى تركتها تعود إلى مدائنها تصلى لأجلى يوميًا حتى نهاية الأيام».

وطبقًا لما كتبه أشعياء أحد الأنبياء اليهود فى ذلك الوقت أن الله هو الذى أمر كورش بأن يعيد الشعوب ، وقد دعاه « مسيح الرب » أى الممسوح من الله ليعمل وينفذ إرادته ، وهذا القول كان يطلق على ملوك وكهنة إسرائيل فقط على أساس أنه فى وقت تعيينهم تمسح رؤوسهم بالزيت فى احتفال مهيب ، وكتاب عزرا (أحد أسفار العهد القديم) يقول أن قورش قال

(١) B. Proten, Archives From Elephentine : The life of Ancient Jewish, Military Colony (New York 1968)

لليهود الذين فى بابل « أن إله السماء أعطى لى كل ملك الأرض وأمرنى أن أبنى له بيتًا فى أورشليم التى فى يهوذا » [1].

ورغم تشجيع قورش لليهود بالعودة إلا أن موجة العودة الأولى عام ٥٣٨ ق.م والتى كانت تحت قيادة ابن الملك يهوياكين فشلت ، بسبب أن اليهود الذين لم يخرجوا للسبى والذين كانوا مستقرين فى أورشليم مع الأدوميين والعرب والسامرين رفضوا عودة اليهود وبناء السور وقاوموها .

وفى المحاولة الثانية نجحت العودة لأنها كانت بمساندة ضخمة من قورش وتحت قيادة زُربابل والذى جاء بسلطان معيّن كحاكم لليهودية ، تحت السلطان الفارسى ، وقد سجل العهد القديم أن عدد العائدين فى هذه الموجة كان ٤٢,٣٦٠ ومعهم عدد ضخم من الكَتَبَة والكهنة ، وبُدِئَ فى بناء الهيكل والذى بُنِىَ بطريقة متواضعة جدًا بالنسبة لهيكل سليمان ، ولقد مُنِعَ السامريون وبقية اليهود الذين لم يخرجوا إلى السبى واستقروا فى الأرض من المساهمة فى بناء الهيكل [2].

وفى عام ٥٤٨ ق.م كانت الموجة الثالثة للعودة تحت قيادة عزرا الكاهن والكاتب والذى فشل فى حل المعوقات القانونية فى الزواج المختلط من غير اليهود وفى مسألة ترك الإله يهوه وعبادة آلهة أخرى وفى موضع ملكية الأرض ... إلخ .

وفى الموجة الرابعة بقيادة نحميا [3] عام ٤٤٥ ق.م والذى جاء بسلطان فارسى ضخم وتصريح واضح ببناء الهيكل والأسوار ، إنضم إلى عزرا

(١) سفر عزرا الاصحاح الأول من عدد ١ : ٤ .

(٢) سفر عزرا الاصحاح الأول من عدد ١ : ٤ .

(٣) Cambridge History of Judais M,70-4 135 - 136

الكاهن ، وقد نجحت الموجة الأخيرة بفضل قدرة نحميا على القيادة والدبلوماسية ، واستطاع أن يبنى الأسوار والهيكل ، وقد كانت المدينة فقيرة جدًا وعدد اليهود قليل جدًا ، فبدأوا فى استدعاء عائلات يهودية من كل أنحاء اليهودية وتوطينهم وتسكينهم فى أورشليم .

وتعتبر الأعوام من ٤٠٠ ـ ٢٠٠ ق.م أعوامًا ساقطة من التاريخ اليهودى، فلا يوجد بها أى أحداث واضحة أو بارزة ، ولقد كانت هذه فترة الحكم الأشورى على أورشليم واليهودية ، ولم يقم اليهود بأى ثورة ضد الحكم الأشورى ، ولقد تعاون اليهود مع الأشوريين لقمع ثورة المصريين ضد آشور ، وكان لليهود حريتهم فى ممارسة العبادة الخاصة بهم .

ولقد بدأت المشكلات عام ٣٣٢ ق.م عندما اجتاح الاسكندر المقدونى الامبراطورية الفارسية وكان أول اجتياح أوروبى فى التاريخ لآسيا ، وهنا اختلطت الحضارتان معًا ، وكان لهذا الاجتياح أثره الخطير على العالم كله ، فلأول مرة يرى العالم حضارة المدينة اليونانية [١] ، وفى عهد الاسكندر غزا اليونان أفريقيا وزرعوا مدنا ومستعمرات وممالك يونانية كثيرة ، عائلة بطليموس فى مصر ، والسلجوق فى سوريا ومن عام ٣٣٢ ـ ٢٠٠ ق.م حكم اليهود بواسطة البطالمة ، ثم بعد ذلك بواسطة السلاجقة ، ولقد اشتهر اليونان بآلات الحرب الضخمة ولقد تعلم اليهود الكثير عن اليونانيين بسبب تجارتهم للأسلحة معهم وقاموا بخدمتهم كما خدموا الفارسيين من قبل .
وكانت الحضارة اليونانية تركز على الفن والرياضة فكان المسرح والاستاد والموسيقى والفلسفة من معالم الحضارة اليونانية فضلاً عن براعة اليونان

(١) كانت المدينة اليونانية تتكون من مسرح وملعب ومعبد .

فى التجارة ، وفى أثناء حكمهم ارتفع مستوى المعيشة فى الدول التى استعمروها ، وبسبب كل هذا تغلغل اليونان فى غرب آسيا ، بنوا مدنهم فى كل مكان وشاركوا الشعوب المحلية الحياة والثقافة ، وانتشرت الهللينية فى كل أرجاء العالم ، وقد أصبحت المدينة اليونانية باستادها ومسرحها وفلاسفتها نموذجًا كاملاً للحضارة فى ذلك الوقت ، وملأت أرض فلسطين .

وهنا نأتى إلى سؤال هام : كيف كان رد الفعل اليهودى لهذه الحضارة التى تُغرى كل الحضارات بالذوبان فيها لتصبح حضارة عالمية واحدة ؟

والاجابة أنه كان لليهود ردود فعل مختلفة ، فقدوم اليونانيين دفع باليهود الأصوليين أو السلفيين إلى الصحراء للحفاظ على التراث اليهودى القديم ، ومخطوطات[١]* وادى قمران تعود إلى عام ٢٥٠ ق .م عندما بدأت المدن اليونانية تحيط باليهودية ، ولقد بدأ هؤلاء (ساكنو الصحراء) التبشير بالتقليد فى القرى على حدود الصحراء ، وكان يوحنا المعمدان (يحى) واحدًا من مجتمع وادى قمران ، الذين وضعوا ثقتهم فى السيف ، وأعدوا أنفسهم للحرب ، مستخدمين رمز الأسباط الاثنى عشر ومنتظرين علامة الله لنهاية عهد الصحراء ، والتحرك إلى المدينة ، وتطبيق ناموس الله على الحضارة اليونانية الفاسقة .

من الناحية الأخرى كان هنالك الكثير من اليهود الذين رفضوا الانفصال عن العالم والتطرف ، وأسسوا فكرهم اللاهوتى على كتاب يونان [٢] النبى والذى يركز على أن غير اليهودى مقبول من الله ، وملخص السفر أن الله أرسل يونان إلى نينوى المدينة الوثنية عاصمة أشور فى ذلك الوقت والتى

(١) * انظر باب الاصطلاحات تحت رقم (٢١) .

(٢) يونان النبى : يونس .

صعد شرها لكى تتوب عن خطاياها ، لكن يونان رفض فى البداية أن يذهبلشعب غير يهودى (عنصرية) لأنهم غير مختارين من الله (تفكير عنصرى) ، لكن الله أرغمه على الذهاب ، وعندما نادى يونان على شعب نينوى أن يرجعوا إلى الله خالق السموات والأرض ، رجعوا عن شرهم وتابوا إلى الله ، وعندما تابوا غفر الله لهم وسامحهم وقبلهم وهنا غضب يونان ، وينتهى كتاب يونان بتساؤل هام يتردد صداه حتى اليوم إذ يقول الله «ألاأشفق أنا على نينوى العظيمة التى يوجد فيها أكثر من إثنتى عشرة ربوه من الناس الذين لا يعرفون يمينهم من شمالهم وبهائم كثيرة » (يونان ٤ : ١١) ودعوة هذا السفر هو حمل فكر الله إلى الغرباء غير اليهود لا ليصبحوا يهودى الديانة ، لكن ليعودوا إلى اللهالذى يمكن أن يقبل توبتهم ، ولقد كان فكر قبول غير اليهودى هو الفكر الغالب دائمًا عند يهود العالم ، ولقد تعلم اليهود فى كل أنحاء العالم اللغة اليونانية كأمر روتينى لتيسير أعمالهم، وبالتالى ترجموا التوراة إلى اليونانية ، ولقد تحدث يهود الإسكندرية باللغة اليونانية وغيروا من بعض عاداتهم واتخذوا أسماء هيللينية بجانب أسمائهم العبرية . وكانوا يستخدمون الأسماء العبرية فى العبادة والأسماء الهللينية فى التجارة ، وهذا أيضًا هو ما حدث فى فلسطين فقد اختلطت الهللينية بالعبرية والارامية وكثير من متعلمى اليهودية وجدوا جاذبية خاصة فى الحضارة اليونانية .

ولقد كانت فى فلسطين كما فى باقى المدن اليونانية طبقات اجتماعية[1]: فكانت على القمة طبقة الأغنياء والحكام ثم طبقة الكهنة وأخيرًا الشعب ،

(١) Paul Johnson, A History of the Jews (Harper Raw, Publisher, New York 1988) .

وكما هى العادة فى المستعمرات كان جواز المرور من طبقة إلى طبقة أخرى ، أعلى أو من مواطن درجة ثانية إلى مواطن درجة أولى ، يتم من خلال درجة الانتماء إلى الحضارة اليونانية ، وهو نفس ما حدث عندما اجتاحت المسيحية العالم وكان جواز المرور إلى الطبقات العليا والحقوق المدنية يتم من خلال المعمودية . وهناك قصص كثيرة فى تاريخ اليهود تؤكد هذا الاتجاه ، فمثلاً قصة يوسف الصديق الذى خدم فرعون وهضم كل الثقافة المصرية ، ثم أصعد إخوته من الفقر والحاجة إلى الطبقة العليا فى مصر ، وقد أعيد كتابة هذا المثل فى القرن الثانى ق.م كنموذج لكيفية الاختلاط بالحضارة الهللينية .

وبين هذين الطرفين المتناقضين ، الانعزال والذوبان ، وجُدت مجموعة ضخمة من اليهود يتبعون تقليد الأنبياء هوشع وحزقيال وعزرا ، البعض منهم لم يرفض حكم اليونان كمبدأ كما حدث مع حكم فارس من قبل ذلك لأنهم تبنوا نظريات أرميا اللاهوتية التى ترفض فيها الدولة المستقلة لإسرائيل لأنها من عمل الشيطان ، وقد قاموا بتقديم الضرائب للقائم على الحكم أيًا كانت جنسيته أو ديانته . فى هذا الوقت كانت هنالك فرصة ثمينة لعمل نوع من المصالحة بين اليونانية واليهودية ، ففى ذلك الوقت قدم اليونان للعالم حضارة إنسانية عالمية فيها رفْض للتفرقة على أساس الجنس أو الدين أو ما هو وطنى وأجنبى ، وأصبحت الهللينية ليست جنسية بل اتجاه وحضارة وقال سقراط : « إن اليونانى بالتعليم أفضل من اليونانى بالجنسية »[1] ولقد تجاوب بعض علماء اليهود مع هذه الدعوة وأعادواقراءة

(١) Isocrates, ponegyr. 450 H.C. Baldry, the Unity of Man KIND IN GREEK THOUGHT (CAMBRIDGE 1966)

التاريخ اليهودى وتفسيره ، فقالوا إن إبراهيم وموسى لم يكونا غريبين ونزيلين فى الأرض بل مواطنين عالميين ، وتحدثوا عن الشريعة الإنسانية العامة والتى تحتوى فى داخلها على شريعة موسى ، ولكن كل هذه المحاولات فشلت بسبب حركة المتطرفين اليهود الذين اتهموا المحاولة اليهودية لقبول الحضارة اليونانية بالكفر والعلمانية ، وقالوا « ملعون من يلمس خنزيرًا وملعون من يربى ابنه على حكمة اليونان » [1].

فى عام ١٧٥ ق.م حكم فلسطين أنطوخيوس أبيفانس والذى كان تواقًا لنشر الهللينية فى أقل وقت ممكن وفى عام ١٧٤ ق.م حدث تعارض بين شريعة موسى وقانون أنطيخوس العلمانى الذى أمر بوضع تمثال زيوس داخل الهيكل اليهودى ، ليصبح الهيكل مكانًا لعبادة كل الشعب معًا ، سواء كانوا يهودًا أم يونانيين وكانت الفكرة قد أتت من بعض اليهود الذين أرادوا عمل صلحٍ بين الديانة اليهودية والحضارة اليونانية.والقضاء على المتطرفين مرة واحدة وإلى الأبد بوضعهم وجهًا لوجه أمام السلطة اليونانية، ولكن هذا العمل ملأ اليهود جميعًا بما فيهم المعتدلين بالحماس والغيرة وكان عاملاً على زيادة التطرف والثورة ضد اليونان السلاجقة ، وقامت ثورة المكابيين ونجحت فى تطهير الهيكل ، الأمر الذى جعل أنطوخيوس يدخل إلى أورشليم ويقوم بعمل مذبحة ضخمة جدًا لليهود ، إذ اقتحم الهيكل وذبح عليه خنزيرًا إمعانًا فى إذلال اليهود ، ولكن أيضًا هذا التصرف غذّا روح التطرف والسلفية والتقوقع عند اليهود . ورغم أن الحركة العلمانية انتكست إلا أن الصراع الطويل مع الهللينية ترك بصماته على الشخصية اليهودية ، فلقد

(١) Isocrates, ponegyr. 450 H.C. Baldry, the Unity of Man KIND IN GREEK THOUGHT (CAMBRIDGE 1966) 300 FF.

آمنوا بضرورة الحوار مع الآخرين ومحاولة أن يكونوا أكثرانفتاحًا على الحضارة العالمية وآمنوا بأهمية التعليم خارج إطار الدين أوالتوراة .

وفى عام ٧٦ ق.م بدأ انهيار الامبراطورية اليونانية وانقسمت إلى أربعة أقسام مختلفة وبدأ نجم الرومان يسطع فى الأجواء ولقد عاش اليهود فى سلام مع الرومان أثناء نضالهم ضد اليونانية القديمة . وفى عام ٦٣ ق.م. أصبحت اليهودية مستعمرة رومانية عندما دخلها بومبى على رأس جيش ، وَعيّن حاكمًا لليهودية وزيرًا من أصل أدومى ، نصف يهودى ونصف هللينى يدعى أنتيباس ، والذى أصبح إبنه هيرودس بعد ذلك حاكمًا مؤثرًا فى اليهودية وغيرها من عام ٤ ق.م ولقد كان هيرودس نصف يهودى[1] يعيش الحضارة اليونانية والرومانية ، وكان سياسيًّا داهية يتمتع بذكاء غير عادى وعندما جاء هيرودس إلى السلطة أثناء حكم والده كحاكم للجليل حكم بروح رومانية ، فكان مرفوضًا من معظم اليهود خاصة لأنه فُرِضَ عليهم بواسطة الرومان ، فقد دخل إلى أورشليم على رأس جيش رومانى يتكون من ٣٠,٠٠٠ مشاة و ٦,٠٠٠ فارس وبدأ بهم حكمه ، وقد كانت لسياسته ثلاثة أبعاد :

(أ) الاعتماد الكامل على روما : وقد استخدم مواهبه السياسية والدبلوماسية فى هذا المجال بنجاح ، فعندما سقط أنطونيو حوّل ولاءَه سريعًا إلى أكتافيوس قيصر ، وأثناء حكم أغسطس كان هيرودس أكثر الملوك غنى واستقرارًا فى ملكه وذلك بتأييد روما له .

(ب) أعلن هيرودس سياسته العلمانية فى الفصل بين الدين والدولةوأول ما

(١) Po.vl. Johnson, A History of the Jews (Hayperd Row, New York 1988)

فعله فى هذا الأمر عام ٣٧ ق.م. أنه أعدم ٤٦ من قادة السنهدرين الذين أرادوا تطبيق شريعة موسى على الحياة المدنية ، واعتبر السنهدرين مجرد محكمة دينية لا دخل لها بالدولة ، ورفض إغراء أن يكون هو رئيس كهنة، وفصل الكهنوت عن التاج ، واعتبر رئيس الكهنة موظفًا من الدولة، وكان دائمًا يختاره من يهود الشتات سواء من مصرأوبابل.

(جـ) ضم يهود العالم إلى لعبته السياسية .

كان عدد[1] اليهود فى عصر هيرودس ٨ ملايين يهودى يعيش منهم ٢,٥ مليون تقريبًا فى فلسطين وكان اليهود يمثلون ١٠٪ من تعداد الامبراطورية الرومانية ، وقد فكر هيرودس أنه لو ضم يهود روما إليه سيكونون مصدر ثروته وقوة نفوذه سواء فى روما أو فى فلسطين ، ولاشك أن عملية ربط يهود العالم بيهود فلسطين أبرز الجانب العنصرى والدينى بقوة .

وأقام هيرودس علاقات قوية مع تجمعات اليهود فى روما والاسكندرية وبابل مع صداقة قوية لاغسطس قيصر ، ولقد استخدم هيرودس علاقاته المتعددة والمتسعة فى بناء الهيكل والأبراج والأسوار وأصبحت أورشليم مركزًا للحج من كل أنحاء العالم ، وكان يأتى إليها مئات الألوف من اليهود فى الأعياد العظمى وينصبون خيامًا حول الهيكل ، حيث فُتِحَ الهيكل لكل البشر ، وعلى بواباته تُغَيَّر العملات المالية إلى الشاقل المقدس لدفع ضريبة الهيكل ، وكان الكهنة يبيعون الذبائح ويرفضون الذبيحة التى يأتى بها المتعبد ويشترونها منه بأبخث الأثمان ، ثم يبيعونه ذبيحة أخرى يوافقون

---

(١) دائرة المعارف اليهودية ١٣ : ٨٧١ .

هم على تقديمها بأغلى الأثمان ، وتَحَوَّل الدين إلى تجارة ، وكان الآلاف من الكهنة واللاويين يعملون حول منطقة الهيكل ، وأصبح الهيكل أغنى مؤسسات الدولة. ولقد كان للسيد المسيح مواجهة مع الهيكل عندما رأى كل هذا الانحراف والتجارة بالدين فصنع سوطًا من حبال وطرد الباعة والصيارفة وقال « بيتى بيت الصلاة يدعى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص»[1] .

وقد نجح هيرودس فى حفظ التوازن بين الهيكل والدولة ، لكن هذا التوازن سقط فى شهوره الأخيرة عندما رفع نسرًا ذهبيًا رمز الامبراطورية الرومانية على البوابة الرئيسية للهيكل ، وقد تم هذا بموافقة يهود العالم الذين كانوا سعداء بذلك ، لكن المتطرفين رفضوا هذا التصرف ، وقامت مجموعة من تلاميذ التوراة بتسلق البوابة وتحطيم النسر إلى قطع صغيرة ، فى ذلك الوقت كان هيرودس على فراش المرض فى قصره لكنه تحرك بقوة ، وخلع رئيس الكهنة ، وقبض على التلاميذ الذين ارتكبوا هذا العمل ، وسيقوا مقيدين إلى المسرح الرومانى حيث أُحرِقوا أحياء ، وبينما كان دخان كرامة هيرودس المجروحة يرتفع فى السموات مات فى ربيع عام ٤ ق.م.

وبالطبع لم تستمر مملكة هيرودس كثيرًا بعد ذلك فابنه من زوجته الأولى لم يكن صالحًا للحكم ، وأرخيلاوس الذى ترك له اليهودية خُلِعَ بواسطة الرومان عام ٦ م.، وحُكِمَت اليهودية مباشرة بموظفين رومان من قيصرية . أما الحفيد الأكبر للملك هيرودس ويدعى أغريباس فقد كان قادرًا على الملك فأعطاه الرومان اليهودية عام ٣٧ م ، لكنه مات عام ٤٤ م ، وهكذا

---

(١) إنجيل متى ٢١ : ١٤ .

عادت روما لتحكم اليهودية مباشرة ، وكان لموت هيرودس الكبير الأثر فى أنهاء حكم اليهود فى فلسطين حتى منتصف القرن العشرين .

فى هذه الفترة التاريخية ظهرت كتابات لها دلالة هامة فى التاريخ اليهودى ثم المسيحى بعد ذلك ، وهى كتب الرؤى Apocalyptic[1] الكلمة تعنى « رؤية » وهذه الكتابات ركزت على أنه توجد فى الكتاب المقدس أسرار فوق المعرفة والخبرة الإنسانية ، ويجب حل رموزها ، ولكى يعطى كُتّاب هذه الكتب سلطانًا لكتاباتهم استخدموا أسماء أنبياء قدامى ، ووضعوها على الكتب ونسبوها إليهم ، لتأخذ ثقة لدى القارئ اليهودى . فمن القرن الثانى قبل الميلاد وفى عصر المكابيين ونظرًا للضيق والاضطهاد ، بدأ الشعب يركز على الأخرويات وحملوا التاريخ اليهودى القديم إلى المستقبل ، وبدأوا يبحثون فى كلمات الكتب المقدسة القديمة عن ماذا سيحدث فى نهاية الأيام عندما يطوى الله التاريخ الإنسانى ، ويدخل الانسان إلى الأبد ؟ فقالوا أن هذه الأحداث سوف تقع نتيجة لانهيار العالم المرئى أو المنظور وهذا سيتم كنتيجة لمعركة « هرمجدون » وقد وُجِدَت تفاصيل عن هذه المعركة فى مخطوطات قمران « جنود السماء سوف تُعطى صوتًا عظيم القوة فينهار العالم المرئى ثم تبدأ حرب القدير التى ستطوى العالم[2] ولقد صورت هذه الأحداث بعنف غير عادى وبفصل كامل بين الخير (اليهود) والشر (اليونان ثم الرومان بعد ذلك).

ومن أكثر الكتب شهرة فى هذا المجال كتاب نبوة دانيال أحد كتب العهد القديم القانونية ، والذى كتب قبل ذلك بكثير إلا أنه أخذ كنموذج لكتب كثيرة

---

(١) وليم باركلى : تفسير العهد الجديد ، مقدمة سفر الرؤيا . دار الثقافة ـ القاهرة .

(٢) نسخة « مزمور » الشكر من مخطوطات قمران .

كُتِبَت بنفس الطريقة تقليدًا له ، فى هذه الفترة المتأخرة وقد استخدم كاتب السفر نماذج تاريخية مثل آشور وبابل وفارس لرفض كل استعمار وذل بصورة عامة ورفض حكم اليونان بصفة خاصة ، وتنبأ السفر بنهاية الامبراطورية اليونانية وتأسيس ملكوت الله تحت ابن الانسان[1]. ولقد فُسِرَ الكتاب على مستويين :

المستوى الأول : أن ملكوت الله الذى يتحدث عنه دانيال ليس ملكوتًا ماديًا بل روحى والذين تبنوا هذا التفسير هم أتباع مدرسة الأنبياء أرميا وحزقيال الذين يرفضون المُلك المادى ، وبالتالى فسروا نبوة دانيال حسب فكرهم اللاهوتى تفسيرًا روحيًا ويعتبرون أن تطهير الديانة اليهودية لا يتم إلا تحت حكم أجنبى ، ويؤمنون أن الله سوف يجمع كل بشر ويُدينهم حسب أعمالهم فى اليوم الأخير .

أما المستوى الثانى : فقد ركز على الحرية السياسية لشعب إسرائيل والحكم المادى لله وأيضًا دينونة البشر . وفكرة دينونة البشر بعد الموت ظهرت متأخرة جدًا فى اليهودية نتيجة الإحساس بعدم العدالة فى الأرض، وذلك نتيجة للضغط والاضطهاد والضيق وبرزت الفكرة على أساس أنه إن لم توجد عدالة فى عالم اليوم فالعدالة الإلهية ستأتى فى المستقبل ، عندما يحكم الله العالم ببره ويعاقب الأشرار .

وإذا كان علماء اليهود من الفريسيين قد قسموا العالم إلى دهرين : الدهر الحالى والدهر الآتى ، بين ملكوت الأرض وملكوت السموات ، فقد أخذ البعض فكرة ملكوت السموات بشكل حرفى وآمنوا أن ملكوت البر ملكوت مادي حقيقي، وانتظروا تحقيقه . ولقد كانت أكثر الجماعات تبنيًا لهذا

---

(١) العهد القديم سفردانيال ٧ : ١ ـ ٢٨ .

الفكر جماعة تدعى « الغيوريون » وقد أتت الكلمة من معنى الغيرة على مجد الرب. وتكونت هذه الجماعة عام ٦ م بواسطة يهوذا الجليلى كتنظيم سياسى وعسكرى ضد الحكم الرومانى ، وطالبوا بحكم الله المباشر على الشعب ، ويفرق المؤرخون بين جماعة الغيوريين الذين يرفضون حكم البشر ويطالبون بحكم الله وبين الجماعات الأخرى مثل الفريسيين والصدوقيين والاسينيين الذين يقبلون حكم الأجنبى بشكل عام ، ولكن لانستطيع أن نضع حدًا فاصلاً بين النوعيتين من الجماعات وذلك لأن الجماعات الأخيرة كانت تلجأ للعنف أحيانًا .

على العموم كانت كل هذه الجماعات تنتظر نهاية العالم وقدوم الدهر الآتى بصورة مادية أو روحية ، ولقد قامت جماعة الاسينيين بالعيش فى الصحراء انتظارًا لنهاية العالم ، وكانوا يعيشون صيفًا فى الخيام وشتاءً فى الكهوف ولهم طعامهم وأسلوب معيشتهم الخاص بهم ، وقد كانوا رهبانًا لايتزوجون وقد انعزلوا عن كل عمل أرضى لأن العالم قد اقترب من نهايته وكان شعارهم « الحرب بين أبناء النور وأبناء الظلمة ».

ولقد هدمت كل أبراجهم وأماكن سكناهم فى خراب أورشليم ٦٦_٧٠م[١].

ولقد كان يوحنا المعمدان (النبى يحى) من جماعة الاثينين الذين يعيشون فى الصحراء ، لكنه خرج إلى المدينة ليبشر بقرب ملكوت الله ، وضرورة التوبة عن الخطايا ، وكانت هذه الجماعات تؤمن بمجىء المسيا من نسل داود ، وجاءت هذه الفكرة لأن شعب إسرائيل آمن بأن مملكة داود، ستستمر إلى الأبد بصورة حرفية ، وسيبقى نسل داود على كرسيه حتى

---

(١) H.A. Butler Man and Society in the Qumran Community (London 1959)

نهاية الأيام ، لكنهم فوجئوا بأن هذه الكلمات الموحى بها ليست حرفية فى معناها فقد انهارت مملكة داود وجاء السبى ، وهكذا انتظر الشعب عودة كرسى داود بمعجزة وهذه المعجزة تتحقق على يد المسيح « الذى سيأتى من نسل داود ويؤسس مملكة داود حرفيًا وانتهت نبوءة يوحنا المعمدان بقتله على يد هيرودس بسبب انتقادات يوحنا لاخلاقياته حيث تزوج هيرودس من امرأة أخيه [١].

وقبل موت يوحنا بقليل ظهر « المسيح » يبشر بملكوت الله وعقيدة «المسيح أو المسيا » ارتبطت فى فكر اليهود بأنه سيأتى كقائد عسكرى على رأس جيش ، والغرض من مجيئه هو تأسيس دولة إسرائيل على الأرض ، ثم نهاية العالم والدينونة ، ولذلك عندما سمع هيرودس بميلاد المسيح أرسل وقتل أطفال بيت لحم ، فى الوقت الذى هربت فيه مريم العذراء بابنها إلى مصر ، وذلك لأن هيرودس كان يتوقع أن الطفل المولود سوف يأخذ المملكة منه ، ولقد كان ثابتًا فى ذهن الحكومة الرومانية والسنهدرين اليهودى وجماعات الفريسيين والصدوقيين والغيوريين أن المسيا عندما يأتى سوف يقوم بعمل تغيير أساسى فى الحكم . لكن السيد المسيح خيب ظن كل هؤلاء فبدلاً من أن يكون يهوديًا متعصبًا عنصريًا خرج إلى العالم بفكر التوبة والميلاد الثانى[٢]* بالعودة إلى الله ، وأن هذه العودة إلى الله لا تكّون فى الصحراء والكهوف بل فى الزحام ، ومع كل التجمعات البشرية ، دون تمييز . ولأنه لم يغذِّ العنصرية والتمييز بين اليهود ، رفضوه وحاربوه بشدة وعنف ، ولقد كان الخلاف بين المسيح [٣] واليهود على أكثر من قضية :

---

(١) العهد الجديد : إنجيل متى ٣ : ١ ٢ ١ .

(٢) * انظر باب المصطلحات تحت رقم ٢٧ .

(٣) المسيح : لقبًا وليس اسمًا ويعنى المسوح من الله لمهمة معينة (المسيا) .

١ ـ قضية الهيكل :

لقد آمن اليهود بمركزية الهيكل ، حتى أصبح للهيكل سلطان اقتصادي وسياسي بجانب سلطانه الدينى ، ولقد رفض بعض الأنبياء ـ مثل أشعياء ـ هذا الفكر ونادوا بفتح الهيكل لغير اليهود ، إلا أن السيد المسيح ذهب إلى أبعد من ذلك ، إذ اعتبر أن الهيكل قد أصبح بسبب ممارسات الكهنة ورؤساء اليهود مركزًا للشر والشرير وأعلن أن علاقة الإنسان بالله لا تتم من خلال الهيكل بل مباشرة بينه وبين الله بصورة فردية .

٢ ـ قضية العلاقة بين الفقر والنقاوة أو الطهارة :

فى اللاهوت اليهودى توجد مدرستان شهيرتان مدرسة شمعى[1]* ومدرسة هليل ولقد كان لشمعى (يهودى قومى) رأى فى الطهارة يقول : إن اليهودى الفقير ليست لديه القدرة على الوصول إلى النقاوة الكاملة . أما مدرسة هليل (من يهود الشتات) فقد كانت له نظرة أكثر إنسانية فأعطى الفقراء المساواة بالآخرين فى الوصول إلى الطهارة وقد كانت مدرسة شمعى تؤمن بالتفسير الحرفى لكل كلمة فى التوراة ، بينما تؤمن مدرسة هليل بالتفسير الروحى ، وكانت فلسفة هليل هى أن يجعل طاعة الناموس ممكنة لكل اليهود سواء بالميلاد أو بالإيمان ، ولقد أخذ المسيح خط هليل الفكرى وقدم نظامًا لا هوتيًا أخلاقيًا روحيًا ، يتضمن الحب والمساواة بين البشر ، والعطاء دون مقابل ، وبذل الذات لاجل الآخرين حتى ولو لم يكونوا من اليهود.

---

(١) * انظر باب المصطلحات تحت رقم ٢٤.

٣ ـ قضية الناموس :

ولقد رفض المسيح الناموس كأساس للوصول إلى الله ووضع محله الإيمان والعلاقة الخاصة معه . وكانت العناصر الأساسية للخلاص عند اليهود ثلاثة : الاختيار (اختيار الشعب اليهودى من الله) ـ العهد (عهد الله مع إبراهيم) ـ الناموس (ناموس شريعة موسى) .

لكن بتعليم المسيح لم يعد لاختيار اليهود مكان ، فقد اختلف معنى الاختيار فكل من يؤمن بالله أصبح مختارًا منه ، وهذا الاختيار لا يقتصر على شعب معين أو عنصر ما ، فالذى يقبل تعليم المسيح ويعترف بشخصه وعمله يُصبح مختارًا من الله ، وهكذا تحرر الاختيار من الجنس والعنصر ، وبالتالى لا مكان للعهد[1] الذى يقوم على قطعة أرض وذبيحة ، إذ أصبح العهد الجديد يُبْنَى على علاقة شخصية بين الله والإنسان ، ويكون المسيح هو وسيط هذا العهد ، فيُولَدْ الإنسان من جديد على هذا الأساس ، حينئذ تُكْتَب وصايا الله على قلوب المؤمنين ، وقد حل الإيمان محل الناموس والشريعة.ولقد بدأت المسيحية فى أحضان اليهودية ثم لم تعد مقبولة لجراءة تعاليمها وبُعْدها عن العنصرية ، وظل المسيحيون فى اليهودية يقومون بالشعائر اليهودية فى الهيكل حتى خراب أورشليم [2]* ٦٦ ـ ٧٠ م .

وتعتبر ثورة اليهود عام ٦٦ م وسقوط أورشليم على يد تيطوس من أهم الأحداث فى التاريخ اليهودى . فلقد أحاط الرومان بأورشليم وهدموها عن آخرها ، وخُرِّبَ الهيكل وتحطمت الأسوار وأزيلت ، ولقد فُسِرَ هذا الخراب على

---

(١) انظر باب المصطلحات تحت رقم (١٠) .

(٢) * انظر المصطلحات تحت رقم (١٨) .

أنه كراهية الله لليهود . وهرب اليهود إلى الاسكندرية ومعظم دول الشرق الأوسط . وأخذ الرومان موقفًا متشددًا من يهود الشتات فحدثت بعض التوترات معهم فى أعوام ١١٥ ـ ١١٧ م . وكانت آخر حركة تحرير لليهود فى الأعوام ١٢٨ ـ ١٣٢ م ، فى عهد الامبراطور هادريان الذى حاول بناء مدينة يونانية فى أورشليم ومعبد لجوبيتر ، وبعد رحيل هادريان إلى روما ، قام اليهود بعمل اضطرابات ضد الرومان ، وقامت ثورات متفرقة، واستمرت الاضطرابات أربع سنوات وفى نهايتها حاصر الرومان يهود أورشليم وكانت النهاية المأساوية عام ١٣٥ م .

ولقد كان للكارثتين العظيمتين فى تاريخ اليهود ٧٠ ، ١٣٥ م الأثر فى وضع نهاية لتاريخ الدولة اليهودية ، وقد وضح هذا فى أمرين غاية فى الأهمية :

الأمر الأول : الانفصال النهائى بين اليهودية والمسيحية ، فقد بدأت كتابات المسيحيين تتجه إلى العالم اليونانى والأمم بصورة عامة منفصلة تمامًا عن اليهودية .

فيُلاحظ أن إنجيل لوقا ومعه إنجيل يوحنا يتجهان مباشرة إلى الأمم يؤكدان مع رسائل بولس أن الأمم يحملون تراثًا أخلاقيًا ، وأنه يمكن للاممى بتراثه الغنى أن يصبح مسيحيًا دون المرور باليهودية كدرجة تمهيدية ، فلقد حطم خراب أورشليم الكنيسة اليهودية المسيحية فى أورشليم والتى كانت تصر على التصاق اليهودية بالمسيحية ، وأن الذى يرغب فى أن يكون مسيحيًا عليه أن يتهود أولاً . ولقد أخذت المسيحية حينئذ من اليهودية الكثير : التوراة ، وكتب الأنبياء والحكمة وأخذت أسلوب العبادة، وشكل الهيكل وسلطان الكهنوت .

ولقد كان أحد الفوارق الهامة بين اليهودية والمسيحية عقيدة المسيح حيث آمن المسيحيون بألوهية المسيح بينما رفضه اليهود تمامًا ، واتهموه بالجنون والسفه ، ولم يقبلوه حتى كنبى . وقد استمر الحال هكذا حتى جاء الاصلاح الكنسى فى القرن السادس عشر ، وكان ضمن انجازاته رفض الهيكل والكهنوت وتحرير المسيحية من كل المؤثرات اليهودية ، وأَكْمَلَ الانفصال بين اليهودية والمسيحية والذى بدأ عام ٧٠ م . وبسبب إطلاق حرية ترجمة وتفسير الكتاب المقدس فى عصر الاصلاح ـ وهو شىء ايجابى ـ ظهرت المدرسة التى تفسر الكتاب سياسيًا .

وباتجاه المسيحية إلى العالم اليونانى دعا اليهود إلى محاربة المسيحية ، وبدأوا يصلون يوميًا ضد الهرطقات والبدع ، ويقصدون بها المسيحية على وجه الخصوص .

الأمر الثانى : التغيير الجذرى فى طبيعة وتركيز الأنشطة اليهودية .

فمن عام ٧٠ م إلى ما بعد عام ١٣٥ م ظهرت اليهودية كعقيدة قومية فى شكل مرئى مادى ، فقد عاد اليهود إلى التركيز على مملكة داود ، وإصلاح يوشيا[١] * ، والعودة من السبى ، وما قام به عزرا ونحميا وانتصار المكابيين، وتنقية الشعب اليهودى من المتهودين . وبعد عام ١٣٥ م ، تكامل هذا الاتجاه فى الفكر ، فقد دعاهم الخراب إلى التقوقع مرة ثانية والإحساس بالعنصرية ، وبعد أن كان اليهود يحاولون المساهمة فى الحضارة الإنسانية العامة ، عادوا إلى حياة الانسحاب يبنون عنصريتهم وتعصبهم وكراهيتهم للعالم شيئًا فشيئًا ، وعادوا ينتظرون دولة السلام الكامل التى يعيشون

---

(١) * يوشيا : أنظر باب المصطلحات تحت رقم ٢٣ .

فيها مع المسيا الذى لم يأت بعد ، والتى صورها كتاب اشعياء حيث يعيش الأسد مع الحمل ، والطفل مع الثعبان ، وفسرها كتاب « المشنه » اليهودى إلى ثلاثة أسس تقوم عليها الدولة : العدل والحق والسلام .

الفصل الثانى

٣ - التفرق إلى كل أنحاء العالم
من ١٣٥ م - ١٨٨٠ م

فى هذه الحقبة الطويلة تفرق اليهود فى كل بقاع العالم وكوّنوا ما يُسمى بالتجمعات اليهودية (حارات اليهود) ، وكان الرفض حليفهم فى معظم دول العالم التى عاشوا فيها .

وفى عام ٣٣٠ م أسس[1] الامبراطور قسطنطين الذى جعل المسيحية هى الدين الرسمى للامبراطورية - عاصمة جديدة للنصف الشرقى فى بيزنطة عرفت بالقسطنطينية . وفى عام ٣٩٥ م . انقسمت الامبراطورية الرومانية إلى قسمين : القسم الشرقى وعرف بالامبراطورية البيزنطية ووُضِعَت فلسطين تحت حكمه لثلاثة قرون ونصف ، ولقد اختلف تعامل هذه الامبراطورية مع اليهود من وقت لآخر ففى بداية القرن الرابع شهدت فلسطين نشاطًا مسيحيًا ، فأنشئت كنائس وأديرة ، حيث عاش اليهود هناك كمجتمع صغير جدًا فقير وبلا حيثية أو نفوذ فقد كانوا يعيشون عل معونة الكنيسة ، وفى نهاية القرن الرابع حدثت بعض الاضطرابات بين المسيحيين واليهود ، فأحرق المسيحيون مجامع اليهود ، وأحرق اليهود كنائس المسيحيين ، واستمر الشد والجذب تحت الحكم البيزنطى . أما فى القسطنطينية فقد

---

(١) Paul Johnsen A History of the Jews(Harper & Row, New York 1988) P.135 .

انقسم اليهود إلى طائفتين رئيسيتين : الأغلبية وقد قبلت التقليد الشفهى ، وتعاليم الربانيين ، والأقلية التى رفضت كل هذا ولم تقبل سوى التوراة ، واشتغل اليهود فى تلك الاثناء كرجال أعمال وتجار وكان معظمهم من الأغنياء ، ورغم هذا فقد كان محرمًا عليهم ركوب الخيل قانونيًا ماعدا الربای سليمان طبيب الملك وكان من أصل مصرى ، والذى بواسطته أخذ اليهود بعض الحقوق ، إذ كانوا يعيشون تحت ظروف قاسية من الاضطهاد. ورغما عن هذا فقد كانوا يُعَامَلون بصورة أفضل كثيرًا من معاملة الهراطقة ، فطبقًا لقانون الدولة كان معترفًا بالمَجْمَع كمكان للعبادة تحت حماية الامبراطورية ، وقد اعترفت الحكومة بالمحكمة اليهودية التى كانت تحكم بين اليهود . ولقد مُنِعَ اليهود من بناء أى مَجْمَع جديد وأرغموا على تغيير موعد عيد الفصح والذى كان يأتى معاصرًا لعيد القيامة المسيحى. ولقد شجع القانون تَحَوّل اليهود إلى المسيحية مع رفض الرِدة إلى اليهودية . وفى حالة عودة أى يهودى إلى ديانته بعد المعمودية كان يُحرق حيًّا . وهكذا كانت كراهية اليهود جزء من العقيدة الدينية فى ذلك الوقت .

ومن أكبر المشاكل التى سببها اليهود لأنفسهم مشكلة الربا ، أى القرض لغير اليهود أموالاً بفائدة . وكانت مشكلة اليهود تتركز فى أن التوراة تمنعهم من أخذ الربا من اخوتهم اليهود ، وتسمح لهم بالتعامل بالربا مع غير اليهـود « إن أقرضـت فضة لشعبى الفقير الذى عندك فلا تكن له كالمرابى لا تضعوا عليه ربا »[1] وأيضًا « إذا افتقر أخوك لا تأخذ منه ربا ولامرابحة.. فيعيش أخوك معك ، فضتك لا تعطه بالربا وطعامك لا تعطِ بالمرابحة »[2].

---

(١) العهد القديم : سفر الخروج ٢٢ : ٢٥ .

(٢) العهد القديم : سفر اللاويين ٢٥ : ٣٥ ـ ٣٧ .

فى عام ٦٣٢ م دخل الجيش العربى إلى فلسطين وأخضع أورشليم، وأصبحت فلسطين جزءًا من الامبراطورية الإسلامية لمدة ٤٥٠ عامًا .

والإسلام واليهودية ليسا غريبين عن بعضهما البعض ، فاليهود يوجدون فى العربية من قديم الزمن فى الجنوب فى اليمن ، ويعتقد البعض أن وجود اليهود فى الحجاز يعود إلى عصر مملكة داود عام ١٠٠٠ ق.م. والبعض الآخر يعود به إلى عهد موسى . لكن ثَبُتَ من خلال مخطوطة بابلية إكتشفت عام ١٩٥٦ أنه كان هنالك مجتمع يهودى عام ٦٠٠ ق.م. وربما كان التواجد سابقًا لهذا التاريخ ، ومن المؤكد أنه كان هنالك يهودًا فى القرن الأول الميلادى فى الحجاز . وكان اليهود كعادتهم دائمًا يعملون بالتجارة ويعيشون فى المدن أكثر من الصحارى والقرى . ولقد قَبِلَ الإسلام إلّه اليهود وأنبياءهم كالإله الواحد لكل البشر . أما الخلاف معهم فقد بدأ فى المدينة عندما رفض اليهود الاعتراف بنبوة الرسول ووحى القرآن ، وفى الإسلام تحولت القبلة من أورشليم إلى مكة ، وأقيمت فروض مختلفة تمامًا عن الفرائض اليهودية للعلاقة مع الله ، مما أدى إلى انفصال كامل عن اليهودية على الرغم من الاتفاق على المبادئ الأخلاقية العامة والأساسية . ولقد انتشر الإسلام وأصبح امبراطورية متسعة الأرجاء وقد حَكَمَت هذه الإمبراطورية من عام ٦٦١م بواسطة الأمويين وكانت عاصمتها دمشق ، وحكمت بواسطة العباسيين من عام ٧٥٠ م ، وكانت العاصمة بغداد . ولقد دخل المسلمون إلى فلسطين لكنهم لم يُرغموا أحدًا من اليهود أو المسيحيين على تغيير دينه . لكن بالتدريج بدأ التحول إلى الإسلام ، وبسرعة أصبحت اللغة العربية أوسع اللغات إنتشارًا وفى القرن الثالث عشر أصبح الإسلام ديانة الأغلبية . وفى العالم الإسلامى والذى كان يشمل أسبانيا وشمال

أفريقيا والشرق الأدنى ، كان اليهود يَعْرِفُون جيدًا وبوضوح حقوقهم وواجباتهم ، من حيث ما يجب عليهم أن يدفعوه للدولة الإسلامية من جزية أو خراج . ولقد أعتُبِرَ اليهود مرفوضين من الإسلام برفضهم لوحى القرآن ، ولأن الإسلام يرفض الربا تمامًا ، فقد كان اليهود يمثلون أخلاقيات وقيمًا مرفوضة من المجتمع الإسلامى . وفى العراق كان اليهود يمثلون الجزء البالغ الثراء فى العاصمة الجديدة بغداد عاصمة العباسيين ، والتى تأسست عام ٧٦٢ م . وكان اليهود يعملون بالطب والوظائف العامة بالدولة ، وتعلموا اللغة العربية نطقًا وكتابة كلغة العلم فى ذلك الوقت .

وفى العالم العربى اشتغل اليهود بالتجارة ، ففى الفترة ما بين القرن الثامن والقرن الحادى عشر كانت للعرب أساطيلهم التجارية الضخمة ، وكان اليهود يتدخلون فى التجارة معهم ويُصَدّرون من الشرق ، الحرير والتوابل والبضائع المختلفة(١).

ومن القرن العاشر عَمِلَ اليهود كصيارفة ورجال بنوك. وفى عام ١١٧٠ كان فى بغداد ٤٠,٠٠٠ ألف يهودى يعيشون فى أمان ، ويعبدون فى ٢٨مجمعًا ، ولهم عشرة أماكن للتعليم والدراسة و مركز يهودي آخر فى القيروان.

أما أكثر المراكز اليهودية شهرة ونجاحًا فى ذلك الوقت من القرن ٨ م إلى القرن ١١ م فقد كان فى أسبانيا ، حيث مَنَعَت الكنيسة تعميد اليهود بالعنف، وتركت لهم أعيادهم وسبوتهم كما هى . وعندما دخل العرب إلى أسبانيا عام ٧١١ م استمر نفوذ اليهود كما هو ، ولم يكونوا فقط مجرد

(١) Charles C. Torrey, The Jewish Foundation of Islam (Yale, Newedn 1967).

تجار ، بل عملوا بالعلم وخاصة الطب كما كان فى القيروان وبغداد ، فقد كان يعالج الخليفة الأموى عبد الرحمن الثالث (٩١٢ ـ ٩٦١ م) طبيب يهودى ، وكانت المدينة مملوءة بالعلماء والفلاسفة اليهود .

أما فى الامبراطورية الرومانية فقد كان عدد اليهود فى القرن الأول ٨ ملايين ، ويمثلون ١٠٪ من سكان الامبراطورية ، انخفض عددهم فى القرن العاشر إلى مليون ونصف المليون . وفى حكم طيباريوس انخفض التعداد إلى ٦٠,٠٠٠ نسمة فى روما ، وهم الذين بقوا من مليون يهودى كانوا قبلا ، ثم انخفض الرقم عام ١٦٣٨ إلى ٢٥,٠٠٠ ويمثل ٢٪ من مجموع السكان ورغم معاناة اليهود سواء تحت الحكم المسيحى أو الإسلامى ، إلا أنهم لم يعاملوا كأعداء يجب إبادتهم ، بل استطاع اليهود أن يكونوا أصدقاء الحكام والطبقات العليا فى المجتمعات التى عاشوا فيها ، وذلك بالقبول الظاهرى للمسيحية والإسلام ، فقد كانوا يُصَلّون علانية فى مجامعهم لاجل الحكام المسلمين ، وكان الاضطهاد يزداد على اليهود كلما جاءت موجة محافظة أو متطرفة ، سواء كانت هذه الموجة مسيحية أم إسلامية . ولأن اليهود لم يكونوا يعرفون متى ستأتى هذه الموجات المتطرفة والتى كانت تعمل على طردهم وتعذيبهم ، فلقد كانت دائمًا لهم نظريتهم الخاصة فى الدفاع عن أنفسهم والتى استمرت معهم من القرن الثانى إلى القرن العشرين . وتنقسم هذه النظرية إلى شقين :

الشق الأول : هو أن يعملوا على أن يكونوا موظفين فى الحكومة وخاصة فى الوظائف العليا ، ثم يعملون بالطب والعلوم ليكونوا ذوى فائدة للشعوب التى يعيشون معها .

والشق الثانى : يعيشون معًا كعائلات فى مجتمع منفصل ومغلق عليهم

فقط . وكان امتداد وتواصل العائلة أهم لديهم من نقاء النسل ، لذلك فالميراث والسلطان ينتقل من الأب للابن ، وإن لم يكن للرجل أبناء ينتقل إلى الإخوة ، وليس إلى الزوجة ، أو البنات ، فأهمية التراث العائلى والميراث يفوق أهمية الزوجين أو العلاقة بين الزوج والزوجة . وفى سفر الحكمة لسليمان تقول المرأة اليهودية إن الزوج يمكن أن يُعَوّض ، والابن يمكن أن تلد بدلاً منه ، أما الأخ فيستحيل تعويضه . وحسب التقليد اليهودى إذا مات رجل لا ولد له ، فزوجته وميراثه يكونان من نصيب أخيه ، وإن لم يكن له أخ فيكونان من نصيب أقرب المقربين من أسرة الزوج المتوفى وليس من أسرة الزوجة ، ويسمى « الولى » [1] . ورغم هذا فالمرأة اليهودية لها الحق فى أن تقوم بنشاط تجارى ، ولها الحق فى أن تعمل وتُنْتِج فى المجتمع اليهودى ، ولها قوة مؤثرة[2] ، ولقد كان للمرأة اليهودية الحق فى التعليم ، وكانت عادة تتعلم على يدى معلم أعمى ومعلمات التوراة كن مشهورات ، وكانت هناك نساء يُدِرْن مدارس لتعليم التوراة للفتيات . وفى نهاية القرن الحادى عشر وأثناء عهد الفاطميين كانت يوجد ٢٩ مدرسة يهودية فى الفسطاط و ١٤ مدرسة فى القاهرة تحت إدارة واحدة . ولقد اختلفت معاملة المسلمين لليهود من وقت لاخر ، ومن مكان لآخر ، لكن تحت الحكم البيزنطى كانت المعاملة سيئة دائمًا ورغم أن البابا جريجورى الأعظم [3] (٥٩٠ _ ٦٠٤ م) قام بحماية يهود روما إلا أنه أسس ما يسمى عقيدة « ضد اليهود » والتى تقود مباشرة إلى مهاجمة اليهود بدنيًا . وقد أسس عقيدته على أن اليهود لم يكونوا

(١) العهد القديم : سفر راعوث ٢ : ٢٠ ، العهد الجديد : إنجيل متى ٢٢ : ٢٣_٣٣ .

(٢) العهد القديم : سفر الامثال ٣١ : ١٠ _ ٣١ .

(Paul Johnson A History of the Jews(Harper & Row, New York 1988) (٣)

عميانًا عن رسالة المسيح ، فقد كانوا يعلمون أن المسيح هو المسيا ، لكنهم رفضوه واستمروا فى رفضه لأن قلوبهم تقست ، وقال إن اليهود يجب أن يعاقبوا على جريمة صلب المسيح ، وأضاف أن اليهود رأوا بعيونهم معجزات المسيح، ورأوا أيضًا كيف تحققت نبوات التوراة والأنبياء فى شخصه ، ومع ذلك رفضوا الاعتراف به لأنه كان وديعًا ومتواضعًا ، وهذه كانت خطيئتهم . ولقد سارت أجيال اليهود بعد ذلك على نفس النهج ورفضوا الحق ، مما أدى بعد ذلك إلى ما يسمى « ضد السامية » والذى يعلن أنه من المستحيل أن يكون اليهود اناسًا عاديين فى نوعية طعامهم ، وأسلوب عبادتهم ، ومستوى ذكائهم ، إذ أنهم رأوا الحق ولمسوه ثم رفضوه وهكذا ظهرت قصص تُصَوّر اليهود ولهم ذيول تختفى عند المعمودية ، وقد أدى هذا بالطبع إلى القول بأن اليهود يعبدون إبليس فى ديانة سرية . ولقد زاد هذا الشعور واستفحل أثناء الحروب الصليبية فى فلسطين ، والتى بدأت عام ١٠٩٩ باجتياح الصليبيين لأورشليم . ولقد كانت هذه الحرب بسبب أن الحُكّام الأوربيين كانوا من المسيحيين الأصوليين ، وسمعوا بالمعاملة السيئة للمسيحيين فى فلسطين من اليهود والمسلمين على حد سواء ، وكانوا يؤمنون بقرب مجيء المسيح الثانى ونهاية العالم ، وأن المسيح سيأتى إلى أورشليم حيث يحكم حكمًا ماديًا لمدة ألف عام ، وهو ما يسمى بالحكم الألفى السعيد ، والذى يُقَيّد فيه إبليس ويُنْزَع الشر من العالم . وإذ أراد هؤلاء الحكام أن ينالوا غفرانًا لخطاياهم قبل بداية الألف سنة ، فقد بدأوا فى ذبح اليهود فى فرنسا وإنجلترا وألمانيا كما بدأوا فى تسييرالحملات الصليبية إلى فلسطين ، وذلك تنفيذًا لقول اليهود فى محاكمة المسيح « دمه علينا وعلى أولادنا » . ولقد ظهرت معالم الصراع بين اليهودية والمسيحية فى شكل رسومات على حوائط

الكنائس[1] والكاتدرئيات . وكان الرمز الغالب يمثل الكنيسة المنتصرة والمجمع المنهزم ، وكانت هناك لوحات تَرسِم اليهود على شكل العجل الذهبى، أو البومة ، أو الحية وقرب نهايةالقرون الوسطى صُورَ اليهودى كإنسان نجس ، خاطئ ، هُرطوقى . وقصة اليهودى التائه الذى صُدِمَ بحقيقة المسيح ، وسيبقى فى حالة دهشة دائمًا وتائهًا فى الأرض حتى مجىء المسيح الثانى ، ظهرت أولاً عام ١٢٢٣م وبالتدريج صار شكل اليهودى التائه هو الشكل المميز المشهور لأى يهودى ، وهو على هيئة رجل عجوز ذى لحية ، وأنف مقوس ، وملامحه حزينة وعابسة ، ولقد أعلن البعض أنهم رأوه فعلاً ، ومنهم أحد الاساقفة الذى ادعى أنه رآه فى كنيسة هامبورج عام ١٥٤٢ م . ثم تتابعت بعد ذلك مئات القصص الشعبية فرآه البعض فى باريس عام ١٦٠٤ م وفى ليبزج ١٦٤٢ م ، وفى ميونخ ١٧٢١ م ، ولندن ١٨١٨ م ، وأصبح اليهودى التائه موضوع بحث ومناقشة .

وفى فلسطين أسس الصليبيون مملكة كانت عاصمتها أورشليم [2]، وقد عاملوا اليهود والمسلمين والمسيحيين المحليين معاملة سيئة وقاسية ولكن فى عام ١١٨٧ م استطاع صلاح الدين الأيوبى أن يهزمهم ويطردهم من أورشليم ومع ذلك بقوا فى مناطق متفرقة من فلسطين ، إلا أنهم خرجوا نهائيًا بعد ذلك وبواسطة عائلات حاكمة مختلفة من المماليك حتى اجتاحها العثمانيون الأتراك عام ١٥١٦ م .

أما المجتمعات اليهودية فى كل العالم فقد تعودت على حياةالاضطهاد .

---

(١) Ibid.

(٢) عالم المعرفة الصهيونية غير اليهودية . ريجينا الشريف ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز.

والحياة كمواطنين درجة ثانية . وفى عام ١٥١٥ ـ ١٥١٦ م ظهرت للوجود ظاهرة « الجيتو » ، وهو وضع اليهود فى جزء خاص ومنفصل من المدينة ، تحاط به أسوار مرتفعة ، وله بوابتان يقف عليهما حرس مسيحى ، وتُغْلَق أبوابه فى المساء . ومن داخل الجيتو عاش اليهود حضارة منفصلة تمامًا عن المجتمعات التى كانوا يعيشون فيها ، إلا أن هذا لم ينف علاقاتهم بالأديان الأخرى .

فى عام ١٤٩٠ حدثت مذابح جماعية لليهود فى أسبانيا ، والبرتغال ، فهرب اليهود إلى القسطنطينية ، حيث وجدوا ترحيبًا من الامبراطورية العثمانية ، وعملوا بالصناعات الحربية وكان هناك أكبر مركز تجمع يهودى فى ذلك الوقت حيث كان تعدادهم ٢٠,٠٠٠ ألف فى المدينة قبل عام ١٥٥٣ م، وكان بينهم تجار علماء وصناع أسلحة .

وبخروج حركة الإصلاح المسيحية إلى الوجود ، وعصر النهضة ، كانت هنالك نظرة جديدة لدراسة التوراة والعهد القديم . فالكنيسة الكاثوليكية كانت تلوم اليهود على صلب المسيح ، ولقد رحب اليهود فى البداية بحركة الإصلاح لأنها قسّمت أعداءهم ، ومن الحق أن يقال بأن لوثر زعيم الإصلاح دّعم اليهود بنظرته الجديدة إلى الكتاب المقدس ، وأعلن أنه لا يوجد سبب ندين به يهود اليوم لرفض آبائهم للمسيح ، بل من الحماقة أن نبحث فى مثل هذا الأمر ، ومن الحماقة أن نحاول تعميدهم بالقسر والعنف ، فتعميدهم يجب أن يتم بالحب والكرازة لهم . ولكن عندما أعلن اليهود أن التلمود يعطى تفسيرًا أفضل من تفسير لوثر للكتاب المقدس ، ورفضوا دعوته بالعودة إلى المسيحية ، بدأ لوثر مهاجمتهم عام ١٥٢٦م.وفى عام ١٥٤٣م استدار عليهم فى غضب وفى كتابه « فى اليهود وكذبهم » " On the Jews and their lies "

والذى طُبِعَ فى وتنبرج ، بدأت معالم الطريق إلى أفران الغاز والهولوكوست إذ يقول : إن مجامعهم يجب أن تُحْرَق ولا يبقى أى أثر منهم، وكتاب الصلاة اليهودى يجب أن يُزَال من الوجود ، ويجب منع الربيين اليهود من الوعظ ، ثم يجب أن تُهدم بيوت اليهود وأن يُجمعوا كلهم تحت سقف واحد ليتعلموا أنهم ليسوا أسيادًا فى بلادنا ، ويجب أن يطردوا خارجًا دائمًا باستمرار - ولقد نفّذ اتباع لوثر تعاليمه فأغلقوا مجمع برلين عام ١٥٧٢ ، ومُنِعَ اليهود من دخول أماكن معينة من المدينة . ولقد كان كالفن [١] أكثر موضوعية فى علاجه لقضية اليهود ، إلا أنه لم يستطع أن يقبلهم كما هم ، ولذلك فقد طُرِدَ اليهود من المدن التى اعتنقت العقيدة الكلفينية .

وباضطهاد المصلحين وحركة البروتستانت لليهود ، إزدادت فلسفة الجيتو عمقًا وانتشارًا فى المجتمعات الأوروبية ، والتى تركز على الخطية الأولى ، خطية آدم التى ورثها اليهود منه كما كل البشر ، وأن التطهير من هذه الخطية سوف يكون عن طريق المسيا الذى سيأتى ويخلصهم .

ولقد كان الايمان بالمسيا المخلص فى قلب كل جيتو ، فعندما يأتى المسيا سوف يجلس على عرش داود ويبدأ عصر السلام والحب . وقد حددوا مجىء المسيا من خلال فك رموز أسفار العهد القديم ، وقالوا بأنه سيكون ضمن الجيل الذى سيولد عام ١٦٣٠ م . وفى ٣١ مايو برز المسيا إلى الوجود وأعلن عن ذاته فى غزة وكان يدعى شابيتاى زيفى (Shabbetai Zevi ١٦٢٦ - ١٦٧٦ لكن العقل المفكر له والذى كان خلف إعلان المسيا كان اسمه

(١) جون كالفن : أحد المصلحين الأوائل وكان معاصرًا للوثر فى سويسرا وعلى أساس تعليمه تقوم عقيدة الكنيسة الإنجيلية بمصر انظر باب المصطلحات تحت رقم٢٧ .

ابراهام ناثان بن اليشع وعرف بناثان غزة Nathan of jasa (١٦٤٣ - ١٦٨٠) وكان شابًا ذكيًا وخلاقًا ، ولد فى أورشليم كابن لأحد الربيين المعروفين ، وتزوج من ابنة لتاجر غزاوى غنى ، وذهب ليعيش هناك ، ولقد درس التوراة بعمق وتفوّق فى تفسيره ، وكان ناثان نموذجًا لليهودى صاحب الخيال الواسع والعنصرى الخطير ، إذ كانت لديه قدرة عجيبة على التعبير عن الذات واقناع الآخرين ، وقد تم اللقاء الأول بين إبراهام ناثان وشابيتاى زيفى [١] فى أورشليم عندما جاء زيفى ليدرس على يديه فأثار اهتمام ناثان لطاعته وتبعيته الأمينة له ، وإن كان بالطبع أقل علمًا وذكاء منه ، إلا أنه كان يصلح كمسيا بصفة عامة ، فهو واثق من نفسه ، وله شخصية مقبولة وكارزميه . ولد زيفى فى سميرنا إحدى بلاد آسيا الصغرى، وكانت مركزًا تجاريًا فى ذلك الوقت وكان له أخوان نجحا فى التجارة ، وأما هو فقد اتجه إلى الدين وتخرج من مدرسة الربيين وهو ابن ثمانية عشر عامًا. وكان ذا شخصية متقلبة ، ففى بعض الأحيان كان يرنم بصوت مرتفع وابتهاج ، وفى أحيان أخرى يشعر باحباط ويأس واكتئاب ، وعندما اشتهر كرجل لله غطى وجهه بغطاء متمثلاً بموسى .

وفى عام ١٦٤٨ وبسبب المذابح الجماعية لليهود ، أعْلَنَ زيفى وبالاتفاق مع ناثان أنه المسيا المنتظر ، وتزوج وطلق مرتين ، ثم تزوج للمرة الثالثة فتاة يهودية مصرية تدعى سارة عندما كان فى القاهرة . ثم انتقل بدعوته من سميرنا إلى تسالونيكى فالقسطنطينية ، ولكنه قوبل بالرفض لعدة أسباب ، منها أسلوب حياته الخاصة ، وكسره للناموس ، فعاد إلى بيته مصابًا

(١) Paul Johnson " History of the Jews " , Harper & Raw (1988 N.Y.)

بالاحباط واليأس ، محتاجًا إلى مساعدة .فتقابل مع ناثان ، وكان ناثان فى ذلك الوقت (١٦٦٠) يُكَوِّن لنفسه رؤية خاصة ، فتبناه وشرح له رؤيته فيه كالمسيا المنتظر، وأعلنه على الناس لثانى مرة . لكن فى هذه المرة أركبه حصانًا، ودار به حول غزة والتى دعاها « مدينة المَلِك » وعَيّن له سفراء فى كل قبائل إسرائيل فى أنحاء العالم ، وبلاشك كان الوقت مناسبًا جدًا ، والعقول مهيأة لقبول مثل هذه الفكرة،وذلك بسبب المذابح الجماعية لليهود.

وهكذا أصبح إبراهام ناثان هو النبى « الحمل المقدس » المملوء بنار المعرفة ، وشابيتاى زيفى هو المسيا ، وقد تعاونا معًا بأسلوب فريد ومتقن ، وعلى الرغم من نجاحهما فى معظم البلدان ، إلا أنهما لم ينجحا النجاح المطلوب فى أورشليم ، وذلك لأن الكثير من الربيين أعلنوا رفضهم لهما . أما ناثان فقد قام بارسال كتاباته البديعة والجميلة الصياغة إلى يهود العالم ، والذين كانوا ينتظرون المسيا ، وعلاماته المعجزية بشوق عظيم .

لكن ناثان والمسيا أعلنا أن المعجزة ليست هامة ، فالمعجزة الحقيقية هى الإيمان بشخصيهما مع التبرير والتطهير من الخطية .

وفى عام ١٦٦٥ م ، كتب ناثان رسالة مطولة وضع فيها برنامج المسيا ، وقد بدأها بالقول إن ظهور المسيا هو بداية مرحلة تاريخية جديدة فى التاريخ الإنسانى ، فالمسيا لديه القدرة على غفران الخطايا ، وتبرير الخطاه بنفسه . وسوف يقوم المسيا بإجتياح تركيا وأخذ تاج السلطان العثمانى وجعله خادمًا له ، ثم يتجه بعد ذلك إلى نهر الأردن حيث يجمع الأسباط التى تشتّت وبعد إعلانه هذا تزوج المسيا من فتاة تدعى راحيل (١٣ سنة) إدعى أنها ابنة موسى النبى وقد عادت للحياة مرة ثانية .

وعندما لم يتحقق شىء من كل هذا بدأ زيفى يصاب بالهستيريا ، فقام

بأعمال لا تتمشى مع الناموس أو الشريعة . وبدأ يضغط على الكثيرين ليطيعوه ولو بالعنف ، فإذا عارضه أحد الربيين يرسل أتباعه ليحرقوا بيته ويهدمونه . وفى سميرنا وضع زيفى علامة على مجمع اليهود تَوْطِئَة لحرقه ، وذلك لأن القائمين على المجمع رفضوه ، كما رفضوا تعليمه . ولقد وصف زيفى الربيين بأنهم حيوانات قذرة . ثم خرج على الناس بإعلان جديد يقول أن يوم الخلاص هو يوم ١٨ يونيو ١٦٦٦ وفيه سيُخْضِع السلطان العثمانى ، كما سيَخْضَع العالم كله له ولاتباعه .

فى نهاية عام ١٦٦٥ بدأ يهود العالم يتجاوبون مع نداء ناثان ، فتجمعوا فى فرانكفورت وبراغ والقسطنطينية وأمستردام يصلون ويصومون ، يركعون على ركبهم العارية فى الثلج ، وقد باع الكثيرون منهم ممتلكاتهم وذهبوا للحج فى الأراضى المقدسة أملاً فى رؤية المسيا هناك ، وآمن البعض منهم بأنهم سوف ينتقلون إلى أرض الموعد فى السحاب . وفى أمستردام ترك أغنى أغنياء اليهود هناك . ويدعى إبراهام بيريه ـ منزله وذهب إلى فلسطين ، وكتبت أشعار عن العام الأول لتحقيق النبوة والملكوت . وقد انضم إلى اليهود كثير من المسيحيين الذين يؤمنون بعودة المسيح ثانية بالجسد ليحكم العالم لمدة ألف عام حكمًا ماديًا . وكان السبب فى هذا هو الرقم ٦٦٦ [١] كرقم له معان سرية فى الكتاب المقدس .

وفى فبراير ١٦٦٦ وصلت سفينة زيفى إلى تركيا ليخُضِع السلطان العثمانى حسب البرنامج ، فوجد فى انتظاره السلطات التركية حيث قُبِض عليه ووضع فى القيود وأُلقِىَ فى السجن ولكن سُمِحَ له أن يلتقى بزائريه ،

---

(١) سفر الرؤيا : ١٣ : ١٨ .

ومع هذا لم ييأس ، ولكى يبرر ما حدث يُكمل شرح نظريته ، أعلن أن سجن المسيا ما هو إلا رمز ، وقد حدث نتيجة لصراعه مع إبليس الذى يحاول منع القوى الروحية من التقدم . لكن حل يوم ١٨ مايو ١٦٦٦ ولم يحدث أى شىء مما ذكره ناثان أو زيفى . وفى أوائل سبتمبر جاء لزيارة زيفى فى السجن يهودى بولندى يدعى نحميا كوهين من أصل تركى ، وسأله بعض الأسئلة عن برنامجه وإعلاناته ، ولما لم تكن إجاباته مقنعة ، أعلن كوهين للأتراك أن زيفى ليس أكثر من مسيا مزيف . وفى ١٥ سبتمبر أُحضر زيفى أمام مجلس السلطان فى القسطنطينية ليتحدث عن حقيقة دعوته حيث أنكر زيفى كل الإعلانات السابقة له عن كونه المسيا .

وفى النهاية قال له السلطان عليك أن تختار بين أمرين : إما أن تعلن إسلامك[1] أو تموت وبعد مناقشة مع طبيب السلطان اليهودى ، أخذ زيفى عمامة الإسلام ولبسها ، وشهد الشهادتين ، وأطلق عليه وبموافقته إسم عزيز محمد أفندى وحصل على وظيفة « حارس بوابات القصر » بمكافأة حكومية قيمتها ١٥٠ قرشًا يوميًا .

وكان لإنهيار المسيا وغياب رسالته الأثر فى إنهيار كل التجمعات اليهودية ، وبمجرد خروج خبر إسلامه إلى العالم حدث نوع من الصمت القاتل سواء من الذين آمنوا به ، أو من الذين رفضوه .

أما ناثان الغزاوى نبى المسيا فقد بدأ من ناحية أخرى فى تعديل نظريته طبقًا للظروف والحقائق التى استجدت ، وبدأ يلوم اليهود الذين لم يتجمعوا حول المسيا بصورة فعالة ومؤثرة . ثم بدأ فى تبرير تصرف زيفى بعقيدة

---

(١) Paul Johnson " History of the Jews ".

«التقية » وهى إعلان غير ما يخفى ، وقال إن زيفى أعلن إسلامه لكن قلبه يهودى ، وهو الآن يحارب إبليس بطريقة مختلفة ، فهو حصان طرواده فى معسكر الأعداء ، وأكد ناثان هذا بقوله إن زيفى قد قام بعمل أشياء غريبة كثيرة ، وما يقوم به الآن هو أغربها على الإطلاق فهو يقدم نفسه ذبيحة أبدية قبل إعلان مجده الأبدى كمسيا منتصر ، وإذا قبل اليهود هذا الفكر فكل شىء بعد ذلك يمكن قبوله حتى اعتناق زيفى للإسلام ، وبدأ ناثان يستخرج مقاطع من التوراة والتلمود ليؤكد بها هذه العقيدة ، ولقد قام ناثان بزيارة زيفى مرات كثيرة فى تركيا ، وكان للاثنين قدرة عجيبة على تبرير تصرفات زيفى ، حتى اجتمع أعداؤه من اليهود والمسلمين ووشوا به عند السلطان فنفاه إلى البانيا حيث مات عام ١٦٧٦ م . ولم يستطع حتى الموت أن يوقف أكاذيب ناثان ، الذى أعلن أن زيفى لم يمت لكنه أختطف إلى السماء وسوف يظهر ثانية بقوة ومجد . ولقد مات ناثان بعد ذلك بأربع سنوات ، لكنه ، وقبل أن يموت وضع أساسيات ظهور المسيا زيفى مرة ثانية فى أى وقت من التاريخ المقبل ، حيث قَسَّمَ العالم إلى قوتين متصارعتين هما الخير والشر ، وقال إن إبليس سوف يأتى إلى العالم متجسدًا فى شكل إنسان ، وحينئذ يعود المسيا زيفى للظهور ، وتحدث حرب بينهما ينتصر فيها المسيا ، ثم يحكم العالم بواسطة اليهود الذين يؤمنون به ثم يبدأ عهد السلام الأبدى والذى يساوى الملك الألفى عند المسيحيين . ولقد كره معظم الربيين هذه النظريات ورفضوها ، ليس لأن نظرية ناثان فى آخر شكل لها كانت مجرد هرطقة ، بل لأنه عندما جاء عام ١٧٠٠ م ولم يظهر زيفى ثانية، تحولت أعداد ضخمة من اليهود إلى المسيحية والإسلام ، وذلك من عام ١٧٠٠ م إلى عام ١٧٠٦ م . والحقيقة أن مشكلة اليهودية المزمنة تتلخص فى

أن روح الإصلاح فى العالم اليهودى بطيئة جدًا ، فأصحاب الأفكار الجديدة يترددون كثيرًا قبل إعلانها فى مواجهة التقليد اليهودى القديم وذلك لأنها سوف تلاقى هجومًا عنيفًا جدًا ، ولذلك فأفضل طريق مؤثر لتغيير عقيدة أوتقليد قديم هو أن يؤسس هذا التغيير على نظرية تاريخية قديمة ، ولذلك فكل اليهود الذين رفضوا فكرة « المسيا » قبل عصر النهضة على أساس أنها مضيعة للوقت ، تعرضوا لهجوم عنيف وكان السبب هو إنتقادهم التوراة على أساس علمى حديث ، وليس على أساس تاريخى ، ولو أنهم أسسوا انتقادهم على نظرية تاريخية قديمة ، لما هوجموا بنفس الضراوة ، أما فى عصر النهضة فقد تغير الموقف وأصبحت اليد العليا للنظريات العلمية الحديثة وليس للنظريات التاريخية ، فقام بعض علماء اليهود بمناقشة نظرية المسيا على أساس النظريات النقدية الجديدة ، والتى استخدمها المسيحيون للكتاب المقدس . وقد قام أحد علماء اليهود ويدعى عزرا بن روزى (١٥١١ - ١٥٧٨ م) بنقد فكرة المسيا المادى والمسيا الفرد ، مستخدمًا أساسيات ونظريات النقد الحديث . ومع ظهور نظرية دارون والعصر الصناعى ، ظهر مفكر هولندى يهودى يدعى سبينوزا (١٦٣٢ - ١٦٧٧ م) ويشار إلى سبينوزا دائمًا كواحد من أهم رواد تاريخ الفلسفة ، لكن أهميته عند اليهود والمسيحيين عليها علامة استفهام ضخمة ، فلقد بدأ سبينوزا بتساؤل عن الجزء الذى كتبه موسى فى التوراة ، وعن دور عزرا فى هذه الكتابات ، وتساءل أيضًا عن قانونية بعض الكتب مثل أيوب ودانيال ... إلخ . ثم قام برفض النظريات التقليدية القديمة فى دراسة الكتاب المقدس بصورة كاملة . وقد رَفَضَت المجتمعات اليهودية أفكار سبينيوزا ، وأعتبر من الكافرين بالله ، خاصة لقوله « إن كل شىء هو الله والله هو كل شىء » .

ولقد توالى المصلحون اليهود بعد ذلك مثل مندلسون وغيره . ومع الثورة الفرنسية حدث تغيير جوهرى فى معاملة اليهود ، فمن مبادىء [1] الثورة المساواة ، وتطبيقًا لهذا المبدأ لابد وأن يُصبح كل الناس متساوين بما فيهم اليهود بالطبع ، وهكذا بدأ الاتجاه فى إزالة الجيتو اليهودى . وكما قال كوميت عام ١٧٨٩ م « لا يمكن أن تكون هنالك أمة داخل أمة » وطالب اليهود بالخروج كأفراد وانضمامهم للأمة الفرنسية ، ومع الثورة الفرنسية تحرر اليهود من لعنة مواطنى الدرجة الثانية .

ولأن ساعة الزمن لا يمكن أن تعود للوراء مرة أخرى أُزِيَل الجيتو فى نيس عام ١٧٩٢ ، وفى رينلاند عا م ١٧٩٢ - ١٧٩٣ ، ومن عام ١٧٩٦ - ١٧٩٨ حرر نابليون الكثير من الجيتو الإيطالى . وهكذا وجد اليهود أنفسهم أحرارًا من الجيتو ، فبدأوا فى التجمع على شكل سنهدرين وعادوا إلى التقليد اليهودى ، وبدأت اجتماعاتهم تُعْقَد فى النور بعد ما كانت تتم تحت جُنْح الظلام وتحت الأرض . وقد ظهرت فى هذه المرحلة نظرية جديدة إعتمدت على ملحمة « حكماء صهيون ، والبروتوكول السرى » لهم ، وقد جذب السنهدرين الانتباه إلى تنظيم سرى ، رسمى ، يدعى « بروتوكول حكماء صهيون » . وكان تحطيم الجيتو فى التاريخ اليهودى نقطة تحول ، إذ وجد اليهود أنفسهم فى حاجة إلى الدخول إلى المجتمع كمواطنين أحرار ، وكان جواز مرورهم للحرية ، هو أن يصبحوا مسيحيين ، وكما كانت المعمودية فى فترات زمنية سابقة هى الطريق للهروب من الاضطهاد ، أصبحت بعد الحرية وتحطيم الجيتو هى الطريق للمشاركة الفعالة فى المجتمع ، ومع

(١) د. أمين عبد الله محمود . مشاريع الاستيطان اليهودى منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى (عالم المعرفة ١٩٨٤) .

نهاية القرن الثامن عشر أصبح هذا الفكر أكثر انتشارًا ، وأصبح التغيير من دين لآخر لا يُعبّر عن عمل عقائدى أو اقتناع ذهنى ، بقدر ما هو عمل علمانى للحصول على المساواة فى المجتمع . ولقد قال هنرى هين (١٧٩٧ – ١٨٦٥ م) والذى تعمّد : « إن المعمودية هى جواز الدخول إلى المجتمع الأوروبى » . وفى القرن التاسع عشر تعمد فى أوروبا الشرقية ٢٥٠,٠٠٠ يهودى على الأقل .

ولم تعد المسيحية مجرد ديانة عالمية فقط بل تحولت إلى حضارة عصرية تضم الملايين حول العالم . ولقد أحس إنسان القرن التاسع عشر أنه لكى يدخل إلى حضارة العصر عليه أن يعتنق المسيحية ويتعلم الإنجليزية .

كتب أحد الصحفيين الاستراليين ويدعى كارل أميل فرانزوس (١٨٤٨ – ١٩٠٤) أن اليهودى فى الولايات المتحدة أمامه طريق من ثلاثة : إما أن يهرب من الضيق ويتعمد أو يتعمد خارجيًا ويظل يهودى القلب ، أو يظل يهوديًا ويتحمل الضيق . لكن عائلة روتشيلد وجدت طريقًا رابعًا هو التحكم فى الاقتصاد العالمى وامتلاكهم لبنوك خاصة ، فاندفعوا للغنى بسرعة قصوى هروبًا من الاضطهاد والمعمودية معًا .

وفى ألمانيا تأثر اليهود بحركة الإصلاح المسيحى تأثرًا إيجابيًا ، وكانت العبادة فى المجامع اليهودية تبدو قديمة وتقليدية فى ذلك الوقت ، فبدأ اليهود يأخذون نموذج البروتستانت فى العبادة من وعظ سريع وجيد ، إلى دخول الموسيقى والكورال إلى المجمع .

وفى عام ١٨١٩ تأسس المجمع العلمى اليهودى فى برلين ، وقدم كتابًا جديدًا للصلاة ، وبدأ التغيير من الأصولية المحافظة إلى التجديد ، والحديث عن العقيدة اليهودية ، وغابت فكرة « المسيا » أو أُسْقِطَت ، وبرزت فكرة

العودة إلى الأرض المقدسة بغرض تجديد وتنقية اليهودية على طريقة إصلاح لوثر ولقد أخذت حركة الاصلاح اليهودية إتجاهًا اجتماعيًا ، فحاربت الظلم الاجتماعى معتمدة على أن حركة لوثر لم تكن حركة دينية فحسب ، بل حركة تجديد شاملة لكل مكونات المجتمع من سياسة واقتصاد ، مع النظرة العلمية للدين والعقيدة .

وفى عام ١٨٤٣ ظهر شاب يهودى بحّاثه فى باريس يدعى كارل ماركس، ولم يكن ماركس[١] قد حصل على أى تعليم يهودى ملحدًا يرفض وجود الله. وبقدر ما كان يكره يهوديته ويتمنى لو لم يكن يهوديًا ، بقدر ما كان متأثرًا بفلسفة هيجل ، وكان حسه التاريخى ورؤيته أن التاريخ يُـحكَم بقانون ثابت يُشبه إلى حد كبير رؤية التوراة للتاريخ ، التى تؤدى فى النهاية إلى العصر المسيانى الكامل والسعيد ، وقد آمن ماركس بأن الشيوعية قادرة على تحقيقه ، فدراسة ماركس لجدلية التاريخ وعوامل الإنتاج وتأثير هذا على شكل وتكوين المجتمع ، يجعل الكل يذوب فى مجتمع شيوعى واحد بلا تفرقة، وفى بحث لماركس عن مسألة اليهود يقول « إن تعاقب الأجيال مع الحراك الاجتماعى من حركة مال وإنتاج وصراع طبقى لا يغير فقط العلاقة بين اليهودى والمجتمع بل يغير كل العلاقات الإنسانية والشخصية » [٢].

والغريب أن اليهود بدأوا بالاتجاه إلى الاشتراكية الدولية والعدالة الاجتماعية بصفة عامة ، ثم انتقلوا بعد ذلك إلى أقصى اليمين والرأسمالية . وكان هذا التحول لعدة أسباب ، فبدايةً كان الاتجاه إلى الاشتراكية والعدالة الاجتماعية نوع من العودة إلى التقليد اليهودى ، والدين ، ودعوة الأنبياء فى

(١) David K.shipler , Arab and Jew, (Penguin Books 1986)

(٢) Ibid

القديم إلى العدل الاجتماعى . هذا غير أن معظم اليهود كانوا يعيشون فى ذلك الوقت فى مستوى معيشة منخفض ، متطلعين إلى العدل الاجتماعى . أما السبب الثالث ، فقد كان الإحساس بالظلم مسيطرًا على اليهود بصورة قاتلة، وخاصة ما حدث لهم فى القرنين السادس والسابع عشر ، ولذلك خرجوا فى القرن التاسع عشر يطالبون بالعدالة الاجتماعية . لكن بتعرض اليهود للاضطهاد والضيق فى روسيا وبداية محاولات طردهم والسماح بقتلهم فى أوكرانيا وقيام النازيين وبنفس العنف بطرد اليهود ، يمكن القول بأن الثلاثين عامًا من ١٨٨٦ ـ ١٩١١ كانت أكثر الأوقات ضغطًا على اليهود، فقد مُنِعوا من تَقَلد المناصب العامة والحكومية فى روسيا ، وكان عام ١٩٠٣ من أقسى الأعوام إذ قُتِلَ ٥٠ يهوديًا ، وجُرِحَ ٣٠٠ آخرين ، وفى أوديسا قتل أكثر من ٤٠٠ يهودى فى أربعة أيام [١].

ولقد دفعت هذه الظروف اليهود إلى الهجرة الجماعية والتى اتجهت إلى الولايات المتحدة . وتعتبر هذه الهجرة الضخمة إلى أمريكا وبكل المقاييس ، نقطة تحول فى تاريخ العالم ، فأول دفعة خَرَجَت من روسيا عام ١٨٨١ ـ ١٨٨٢ كانت من ٥,٠٠٠ إلى ٦,٠٠٠ مهاجر .

وفى عام ١٨٩١ هاجر ١١٠,٠٠٠ وفى عام ١٨٩٢ هاجر ١٣٧,٠٠٠ وفى عامى ١٨٩٥ ، ١٨٩٦ هاجر مائتى ألف ، ومن عام ١٨٨١ إلى ١٩١٤ ترك النمسا ٣٥٠ ألف يهودى أغلبهم من رومانيا . ورغم كل هذه الهجرة فقد بقى فى أوروبا الشرقية حوالى ٥,٥ مليون يهودى ، ولقد وصل من كل هؤلاء المهاجرين ٢ مليون يهودى إلى أمريكا ، وكانت هذه الظاهرة بمثابة تغيّر

(١) David. K. Shipler , Arab and Jew.

الميزان فى زيادة تأثير النفوذ اليهودى على سياسة العالم . وقد جاء التطور سريعًا ففى عام ١٨٢٠ كان بأمريكا أربعة آلاف يهودى ، إزدادوا ببطء إلى ستة آلاف عام ١٨٢٦ ، ثم ارتفع إلى ١٥ ألف أثناء الحرب الأهلية ، وفى عام ١٨٤٠ كانوا ١٥٠ ألف ، لكن بعد حركة الهجرة الروسية وصلوا إلى ٢ مليون وبدأوا يعملون بالتجارة والبنوك والأعمال الحرة . ولقد كان وجود اليهود بهذا الثقل فى أمريكا أحد وجهى العملة ، وكان الوجه الثانى بالطبع هو دولة صهيون . ولقد بدأ حلم الصهيونية الحديثة يداعب عقول اليهود ، ليس فى أمريكا فقط ، بل فى فرنسا أيضًا حيث تمتع اليهود بالمساواة بسبب الثورة الفرنسية ، ولقد بدأ هرتزل ، أحد القادة والمفكرين اليهود الذين تبنوا فكرة الدولة الصهيونية ، التفكير فى الأرجنتين كمكان لليهود والقومية الصهيونية، وذلك لأنه كانت هناك مستعمرة يهودية يعمل بها أربعة آلاف يهودى بالزراعة . وبدأ هرتزل يفكر فى أن دولة مثل هذه لابد وأن تعتمد على أموال اليهود ورجال المال منهم ، وتُعَضّد من جميع يهود أوروبا ، وقد وقف ضد فكرته اليهود الأرثوذكس الذين يرفضون إقامة دولة يهودية مستقلة .

نشر هرتزل كتابه « الدولة اليهودية » عام ١٨٩٦ ، وأقام المؤتمر الصهيونى[١] الأول عام ١٨٩٧ م فى مدينة بازل بسويسرا ، ووافق المؤتمر على برنامج يدعو إلى « وطن قومى آمن معترف به قانونيًا فى فلسطين » .

ويرى المؤتمر أن تحقيق الهدف يتم بالخطوات التالية :

١ ـ تشجيع استيطان العمال اليهود الصناعيين منهم والزراعيين فى فلسطين باغراءات مناسبة ووفق أسس وظروف ملائمة .

(١) د. عبد المالك خلف التميمى . الاستيطان الاجنبى فى الوطن العربى (عالم المعرفة ١٩٨٣) .

٢ ـ تنظيم كيفية رَبْط اليهود معًا (اليهودية العالمية) سواء عن طريق المؤسسات المحلية أو الدولية .

٣ ـ تعزيز وتشجيع الاحساس بالشعور القومى اليهودى والهوية القومية اليهودية .

٤ ـ اتخاذ خطوات تمهيدية للحصول على موافقة الحكومات لتحقيق الأهداف الصهيونية حين يكون ذلك ضروريًا .

ولقد كان للقاء هرتزل وجوزيف تشامبرلين وزير المستعمرات البريطانية (١٨٣٦ ـ ١٩١٤) الأثر الضخم فى تأسيس الدولة ، وكان اهتمام تشامبرلين هو استمرار هيمنة بريطانيا على معظم أنحاء العالم ، فلم يكن تشامبرلين يهتم بنبوءات العهد القديم كما لم يتأثر أيضًا بأية اعتبارات إنسانية ، ولم يكن لديه أى التزام أدبى نحو اليهود ، لكنه كان يرى أن الادعاءات الصهيونية تتيح فرصًا حقيقية لتوسيع الامبراطورية البريطانية[١]، فقد كان يرى اليهود كمجموعة من المستعمرين الأوروبيين المستعدين للاستيطان وامتلاك وتطوير الأراضى الخالية تحت الوصاية البريطانية.

وهكذا نرى أن صهيونية تشامبرلين لم تكن فلسفية ، بل كانت عملية ، ففى عام ١٩٠٣ قدم لهرتزل العريش فى سيناء ليستوطنها اليهود ، رغم أن العريش ليست ضمن أراضى فلسطين (أرض الموعد) التى يحلم بها اليهود.

فى عام ١٩١٨ انتهت الحرب العالمية الأولى بهزيمة ألمانيا وتمزيق

---

(١) Paul Johnson. " History of the Jews ", Harper & Raw (New York 1988)

أوصال الامبراطورية العثمانية . ولقد رحب اليهود ترحيبًا شديدًا بهزيمة ألمانيا ، وذلك لأن الألمان كانوا يعاملون اليهود بصورة أفضل من الإنجليز والروس أثناء الحرب ، فقد دفع الجيش الروسى باليهود إلى سيبيريا أثناء الحرب طبقًا لموقف ستالين من الأقليات . ولقد كان اليهود فى فلسطين يفضلون اللغة الألمانية على العربية ، وطالب كثيرون منهم أن تكون اللغة الألمانية هى اللغة الاساسية فى المدارس ، وكانت اللغة الألمانية هى أحد اللغات الرسمية المستخدمة فى فلسطين ، بينما مركز الحركة الصهيونية العالمية فى برلين .

وفى عام ١٩١٧ جاء إعلان بلفور ، وقبل هذا التاريخ وحتى عام ١٩١٤ كان لبلفور موقف ضد السامية اعترف به لوايزمان [١]. ويُعْتبر إعلان بلفور تجسيدًا للصهيونية السياسية فى الوقت الذى كان فيه بلفور يشجب الاضطهاد المتكرر لليهود فى أوروبا الشرقية لليهود ، ويعتبر أن هذا الاضطهاد عار على الحضارة المسيحية ، ولذلك كان يؤيد هجرة اليهود إلى أى مكان فى العالم ، على أساس أن وجود وطن لليهود إنما هو ضرورة اجتماعية واقتصادية [٢] . ولقد وَضَحَ موقف بلفور عندما رَفَضَ التدخل لدى الحكومة الروسية عام ١٩١٧ بغرض إزالة القيود المتعلقة باعطاء اليهود حق المواطنة . وبعد فشل مشروع توطين اليهود فى أوغندا ، وافق بلفور على فلسطين مع أن مشروع تشامبرلين وزير المستعمرات البريطانية بتوطين اليهود فى شرق أفريقيا كان نابعًا عن تعاطفه مع اليهود إلا أنه لم يكن صهيونيًا كفاية .

---

(١) الاستيطان الأجنبى فى الوطن العربى د. عبد المالك خلف التميمى . عالم المعرفة ١٩٨٣.

(٢) المصدر السابق .

ولم يقتصر تأثيروايزمان على بلفور فقط ، بل أيضًا كان له تأثير ضخم على لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا عام ١٩١٦ . وقد أرجع لويد جورج اقتناعه بالصهيونية إلى وايزمان وموهبته فى الاقناع ككميائى يعرف كيف يستخدم المعادلات ، وقال عنه « لقد اهتديت على يديه » وبوجود لويد جورج فى رئاسة الوزارة وآرثر جيمس بلفور وزيرًا للخارجية ، تغلغلت الصهيونية فى أعماق دوائر صُنْع القرار البريطانى . وفى نوفمبر عام ١٩١٧ صدر إعلان بلفور وتبنته الحكومة البريطانية كإعلان فكرة الوطن القومى لليهود .

فى ذلك الوقت كان الأتراك قد تلقوا هزيمة ساحقة فى الحرب العالمية الأولى وطُردوا من فلسطين عام ١٩١٨ بتعاون الإنجليز مع الفرنسيين والعرب ، وفى عام ١٩١٩ عقد مؤتمر فرساى لتقرير مستقبل المنطقة . وأخذت بريطانيا مسئولية فلسطين بما سُمِىَ بالانتداب البريطانى ، فى الوقت الذى أخذت فرنسا مسئولية سوريا .

وقد وقعت عدة مصادمات بين عرب فلسطين ومجموعات اليهود الوافدة إليها للاستيطان خلال العشرينيات والثلاثينيات . وفى عام ١٩٣٦ قام الفلسطينيون بثورة ضد بريطانيا بسبب سياسة استيطان اليهود التى تبناها الانتداب البريطانى ، وقام الإنجليز بقمع هذه الثورة بالقوة المسلحة ، وخرج التقرير من حكومة الانتداب عام ١٩٣٧ يعترف بأن الانتداب لم يعد صالحًا ولا قادرًا على إقرار الأمن والسلام ، ولحل هذه المشكلة ، يَقتَرِح تقسيم فلسطين إلى دولتين ، واحدة عربية والأخرى يهودية .

وهكذا بدأت الهجرة اليهودية سواء بطريق قانونى أو غير قانونى تتدفق على فلسطين ، ومن عام ١٩٣٩ إلى عام ١٩٤٤ وصل إلى فلسطين ٧٥,٠٠٠ ألف يهودى ، وفى عام ١٩٢٠ ظهر على السطح فى الحركة الصهيونية شاب

جديد يدعى دافيد بن جوريون الذى كان يختلف عن وايزمان فى موقفه الاستراتيجى من بناء دولة إسرائيل ، فبينما كان وايزمان يعتقد أن ظهور الدولة للوجود يحتاج إلى وقت طويل ، كان بن جوريون يعتقد عكس ذلك ، فقد جاء من خلفية بولندية روسية ، وكان يعتقد أن الحل لن يكون بتأسيس دولة رأسمالية ، ولكن بتأسيس دولة اشتراكية ، وعلى وجه السرعة بقدر الإمكان ، وقد نتج ذلك لأنه عاش فى روسيا ، وأغلب يهودروسيا كانوا إشتراكيين ماركسيين ، هذا فضلاً عن أنه عاش فترة من الوقت فى اسطنبول، ثم مصر ، وأخيرًا ذهب إلى نيويورك لتأسيس مكتب لخدمة يهود فلسطين ، وفى كل تحركاته كان يتبنى ثلاثة مبادئ هامة[1]:

١ ـ الأولوية عند يهود العالم هى العودة إلى فلسطين ، فالذى يذهب إلى فلسطين ويستوطن فيها هو اليهودى الأصيل ، أما اليهودى الذى يعيش بعيدًا عن الأرض فهو أنانى وفارغ .

٢ ـ أنه يجب أن تؤسس الدولة الجديدة على النظام الاشتراكى .

٣ ـ يجب أن تكون اللغة العبرية هى اللغة التى تربط المجتمع الصهيونى بالحضارة الحديثة .

أما فى بولندا فقد قام بتأسيس الجناح الشبابى للحركة الصهيونية شاب يدعى مناحِم بيجن ، وكان دور هذا الجناح هو القيام بعملية تنظيم هجرة اليهود إلى فلسطين ، حيث يلبس أعضاؤه زيًا خاصًا بهم ، ويتدربون على ٨,٠٠٠مهاجر.

وفى العشرينيات كان عام ١٩٢٧ عامًا ملحوظًا ، إذ هاجر إلى إسرائيل

---

(١) Paul Johnson , A History of the Jews, Happer & Row (New York 1988 .

٢٧١٣ يهوديًا فقط فى حين تركها إلى الخارج خمسة آلاف مهاجر ، أى مايقرب إلى الضعف . وفى عام ١٩٢٩ كان عدد المهاجرين إلى إسرائيل متوازنًا مع عدد المهاجرين من إسرائيل .

والملاحظ أنه فى السنوات الهادئة ، والتى كانت فيها فلسطين مفتوحة ، لم يهاجر اليهود إليها بأعداد ضخمة ، وبزيادة هجرة اليهود إلى فلسطين إزداد اللجوء إلى العنف ، وفى الثلاثينيات إزداد معدل الهجرة وأصبح ٣٠ألف مهاجر سنويًا ، وفى عام ١٩٣٤ وصل إلى ٤٠ ألف مهاجر وفى السنة التالية وصل إلى ٦٢ ألف . وهنا بدأ الإنجليز يحسون أن عملية الانتداب لم تعد لها قيمة أو سلطان على فلسطين ، ولذلك اقترح المندوب البريطانى لورد بل فى تقريره فى ٧ يوليو ١٩٣٧ أن يكون الجليل ووادى يزرعيل دولة إسرائيلية ، وأن تكون تلال اليهودية والنجف دولة عربية فلسطينية ، وأن تقوم بريطانيا بالإدارة من أورشليم من اللد والرملة إلى يافا ، ولقد رفض العرب هذا الاقتراح بقوة وبدأت ثورة فلسطينية عام ١٩٣٧ . وفى المؤتمر العربى الذى عُقِدَ فى القاهرة عام ١٩٣٨ ، تبنى الرؤساء العرب سياسة أنه على كل الحكومات والدول العربية أن تهيئ ذاتها لكى تتحرك دوليًا وذلك لمنع امتداد الدولة الصهيونية ، وهنا أَسْقَط الإنجليز فكرة التقسيم وأسقطوا أيضًا إعلان بلفور ، وظهرت وثيقة جديدة سميت ، الوثيقة البيضاء ، وفيها سُمِحَ لـ ٧٥ ألف يهودى فقط بالاستيطان فى الخمس سنوات التالية ، على أن يكون ذلك بموافقة العرب فى نفس الوقت الذى تحصل فيه فلسطين على استقلالها تدريجيًا . ولقد كان عدد اليهود فى فلسطين عند هذا الإعلان نصف مليون يهودى . وكان الفلسطينيون هم الأغلبية المطلقة ، ومعنى هذا أنه إذا ترك الإنجليز فلسطين فسوف يحكمها العرب ويطردون منها اليهود،

ولذلك تلكأت إنجلترا سواء فى الخروج من فلسطين أو فى تنفيذ الوثيقة البيضاء .

وتجسدت مشكلة فلسطين عندما أحس يهود العالم بأن إعلان بلفور هو البداية لنهاية مشكلة اليهود فى العالم ، إذ كان حلم ألبرت اينشتاين أعظم اليهود شأنًا عام ١٩٣٨ ، هو تحقيق نموذج المدينة الفاضلة والتى يعيش فيها اليهود والعرب معًا فى سلام دون الحاجة إلى دولة إسرائيل ، وقد قال «إن ضميرى يرفض وجود دولة يهودية لها جيش وحدود خاصة بها [١]» ، ولذلك رفض أينشتين رئاسة الدولة عندما عُرِضت عليه بعد ذلك .

أما فى أوروبا الشرقية وروسيا فقد أحس اليهود بأن معاهدة فرساى معاهدة بلا سيف ، أى بلا إلزام لأحد بتنفيذ بنودها ، فى ذلك الوقت كان لليهود فى روسيا صورة البلاشفة وكان لهم نشاطهم السياسى الراديكالى، إلا أن ستالين وتروتسكى أظهرا كراهية عنيفة لليهود .

وفى الحرب الأهلية فى أوكرانيا عومل اليهود على أنهم أعداء ، فقد قُتِلَ فى هذه الحرب ما بين ٦٠ إلى ٧٠ [٢]ألف يهودى وفى البلدان الأوروبية الشرقية الأخرى عومل اليهود كبلاشفة ، وقيدوا إلى القتل الجماعى بعد سقوط البلشفية فى بولندا والمجر .

ولقد كان اليهود فعلاً ضمن حزب البلشفيين سواء فى قمة السلطة أوعلى المستوى الشعبى ، فقد كانت نسبة اليهود فى الكونجرس البلشفى من ١٥ ـ ٢٠٪ . وفى عام ١٩٢٠ أباد ستالين كل المنظمات والأنظمة والأنشطة اليهودية بكل أنواعها .

ومع زيادة الضغط على اليهود فى القرون الوسطى بدأوا فى عقد

(١) Paul Johnson , A History of the Jews

(٢) Ibid

اجتماعات سرية تحت الأرض ، وفى عام ١٨٩٠ طلب نابليون الثانى من أحد المكاتب الأمنية وثيقة تُثْبِت تهديد اليهود للعالم ، فقدم المكتب وثيقة كتبت عام ١٨٦٤ وفيها اجتماع سرى لقادة اليهود يضعون فيه أمامهم بروتوكول حكماء صهيون للوصول إلى العالم وحكمه، ولقد وزّع البوليس نسخًا من هذا البروتوكول فى كل مكان فى عام ١٩٠٥ م . ثم ظهر البروتوكول مرة ثانية بعد نجاح الثورة الروسية عام ١٩١٧ ، فاذداد الاضطهاد والضغط على اليهود .

وبدايةً من عام ١٩٢٥ بدأت أعداد ضخمة من اليهود تتجه إلى الولايات المتحدة الأمريكية وقد تزايد العدد حتى وصل إلى أربعة ملاين ونصف المليون ، ولقد كانت هذه الهجرة هى أكبر تحول فى تاريخ اليهود ، إذ أصبح المجتمع الأمريكى اليهودى أكبر المجتمعات اليهودية فى العالم ، وأغناها ، وأقواها أثرًا ، وأصبحت اليههودية ثالث عقيدة فى أمريكا . وفيما بين الحربين بدأ اليهود يأخذون الشكل القومى الأمريكى فأصبحوا جزءًا من ملامح الشخصية القومية الأمريكية ، وكما كان منهم فى عالم الموسيقى فى برودواى ، وعالم السنيما فى هوليود ، كان البعض الآخر منهم فى عالم البنوك والتجارة فى نيويورك ، وفى عالم السياسة فى البيت الأبيض فى واشنطن.

أما فى أوروبا فقد عاش اليهود فى حالة من الفقر وعالم الجريمة واشتهروا بالتجارة غيرالقانونية عبر البحار .

ومن أهم البلدان فى تاريخ اليهود فى ذلك الوقت كانت ألمانيا ، إذ كانت أعظم دول أوروبا ، ولقد أثرت بقوة وعنف فى تاريخ اليهود من عام ١٩٣٣ ـ ١٩٤٥ م . كأعظم الدول علمًا وحضارة حينئذ ، وفيما بين ١٨٧٠ ـ ١٩٣٣ كانت هى جامعة العالم . والسؤال الذى يلح علينا هو لماذا وقفت ألمانيا مع

اليهود وعضدتهم بقوة ثم انقلبت عليهم بعد ذلك وعاملتهم بقسوة وعنف؟!.

فى البداية ساعد البُعد التاريخى لليهود القوة الألمانية المعاصرة على التوازن ، فقد كان لليهود التراث للألمان المُعَاصَرة ، ويقول وايزمان أن اليهود أحبوا ألمانيا كأفضل مكان لهم فى العالم للعمل والمعيشة ، إن الحضارة اليهودية القديمة أخذت إطارًا أوروبيًّا حديثًا . وجاء انقلاب ألمانيا على اليهود فى أعقاب الحرب العالمية الأولى فقد كان للهزيمة أثرها الردىء على علاقة الألمان باليهود ، فضلاً عن ظهور هتلر بعدائه لليهود . وكان لعداء هتلر ما يبرره فقد كان يعتبر أن النازية هى التفسير النهائى للعالم والتاريخ، ويجب على جميع الأجناس والأيديولوجيات أن تخضع وتذوب داخل النازية . وهكذا اصطدمت نظريته مع تفسير اليهود للتاريخ ، وبلشفيتهم ، هذا فضلاً عن نظرية بروتوكول صهيون لحكم العالم . ولقد ركز هتلر فى مواجهته لليهود على أمرين ، الأول إدارة اليهود لتجارة العبيد فى فينا والآخر خطورة الاختلاط بجنس اليهود .

وكان هذا هو بداية الطريق إلى أفران الغاز .

وبحلول الحرب العالمية الثانية فى سبتمبر ١٩٣٩ حدث تغير فى أمرين :

الأول : تغير الأساس الأخلاقى الذى اعتمد عليه هتلر فى مهاجمة اليهود ، فقد أعلن أن اليهود هم السبب فى الحرب .

الثانى : إعلان هتلر الحرب ، لا على يهود ألمانيا فقط بل على يهود العالم كله ، وأعلن أنه بإبادة اليهود ستُحَل مشكلة العالم ، وهكذا صار الاضطهاد بالهولوكوست علنًا ومشروعًا .

ولقد كان للدين اليهودى الأثر فى تحمل اليهود الضيق والاضطهاد بصورة إيجابية ، فهم يؤمنون أن الألم يأتى بإرادة الله وذلك نتيجة لانحـرافهم وبعدهـم عنه ، وأن عـذابهـم هو لمجـد الله .

ولقد بلغت كراهية الكنيسة الكاثوليكية والإصلاح الإنجيلى لليهود ذروتها فى الفترة الهتلرية ، ولم يكن سلوك الكنيسة موفقًا ، فلقد فشل البابا بيوس الثانى عشر فى إدانة الحل النهائى لمشكلة اليهود بإبادتهم ، رغم معرفته أن هذا ضد الأديان وضد الإنسانية ، ورغم هذا الموقف الرسمى للكنيسة إلا أنه قد ارتفع صوت أو اثنين منفصلين عن الكنيسة الرسمية لأجل اليهود ، واحد منها كان فى كاتدرائية الكاثوليك ببرلين من فربنهارد لتشنبرج . Frbenhard lichtenverg . وقد أقام صلاة عامة لأجل اليهود عام ١٩٤١ .وكان الثانى فى روما فى ١٦ أكتوبر عام ١٩٤٣ من كاهن يُدعى جوست بيا Jesurt Bea والذى أتى من بادن بألمانيا وكان يعمل كأب إعتراف للبابا بيوس الثانى عشر ، وبعد عشرين عامًا ، وفى مؤتمر الفاتيكان الثانى كان رئيسًا لسكرتارية الوحدة المسيحية ، واستطاع أن يصدر قرارًا بتبرئة اليهود من دم المسيح ، على أساس أن يهود اليوم ليسوا هم الذين قاموا بصلب المسيح . ولقد تيقن اليهود بأن العالم مهما كان متحضرًا لا يجب الوثوق به ، فقد خرج اليهود من تجربة أفران الغاز باقتناع كامل بأن الأمان يجب أن يصنعوه هم بأنفسهم ، فإذا كانت الحرب العالمية الأولى طرحت إمكانية تأسيس دولة صهيونية ، فإن الحرب العالمية الثانية جعلتها ضرورة ملحة ، فقد أصبحت الغالبية العظمى من يهود العالم مقتنعة بأنه يجب خلق دولة صهيونية تحقق الأمان لليهود مهما كان الثمن ، سواء دفعوه هم بأنفسهم ، أو دفعه أى شعب آخر .

وهكذا نرى أن التفكير فى تأسيس دولة إسرائيل لم يكن أبدًا من وازع دينى ، أو لتحقيق نبوءة ، لكنه جاء بسبب الاضطهاد المريع الذى لاقاه شعب إسرائيل فى أوروبا المسيحية .

الفصل الثالث

تحقيق الدولة الصهيونية
من ١٨٨١ إلى اليوم ..

لاشك أن هنالك صلة مباشرة وواضحة بين أفران الغاز والصهيونية الجديدة ، فقتل ملايين اليهود كان هوالسبب الرئيسى فى خلق دولة إسرائيل فيما بعد ولقد فلسف اليهود هذا الفكر ليكون خلفية لتكوين الدولة طبقًا لحركة التاريخ ، فلاهوتهم يركز على أن الخلاص يتم من خلال الألم ، فهم يعتقدون أن ما يعانونه من عقاب إنما هو من الله مباشرة ، فهتلر والسافاك من عمل الله ، وهذا تأكيد لاختيارهم كما يقول النبى عاموس « إياكم فقط عرفت من جميع قبائل الأرض لذلك اعاقبكم على جميع ذنوبكم»[١] فعذابهم جزء من خطة الله لهم ، والذى سيليه مجىء المجد والانتصار ، والله لا يعاقب اليهود وهو غاضب لكنه يتألم معهم ويبكى معهم ويذهب معهم إلى أفران الغاز كما ذهب معهم من قبل إلى السبى .

ولقد ثبت علميًّا أن الضغط والاضطهاد يأتى دائمًا بنتائج عكسية ، فمذبحة عام ١٦٤٨ قادت إلى عودة اليهود إلى إنجلترا ، ثم بعد ذلك إلى أمريكا ، والتى أنتجت اليوم أكبر مجتمع يهودى مؤثر فى العالم تعتمد عليه دولة إسرائيل فى بقائها بصورة أساسية ولقد قادت مذبحة ١٨٨١ إلى نفس

(١) سفر عاموس ٣ : ٢ .

النتيجة ، وكانت الخلفية التى أنتج على أساسها هرتزل الصهيونية الحديثة، ولقد كان ضغط الروس على اليهود نموذجًا للتوتر الذى أنتج إعلان بلفور وكانت أفران الغاز على يد هتلر هى آخر النكبات والتى أنتجت دولة إسرائيل.

وحتى من قبل أفران الغاز ، كانت سياسة هتلر ضد اليهود لها أثرها فى تقوية المجتمع اليهودى فى فلسطين ، ولقد كان لهجرة اليهود الألمان الضخمة عام ١٩٣٠ تأثيرها الضخم ليس بسبب العدد (٦٠ ألف) لكن بسبب نوعية المهاجرين ، حيث قاموا بدور فى غاية الأهمية لتأسيس البنية الأساسية لمجتمع صناعى وتجارى هناك .

وبنهاية الحرب أصبح ظهور دولة إسرائيل من الأمور المحتمل وقوعها ، إلا أن ظهور هذه الدولة كان يحتاج إلى أكثر من هزيمة هتلر ، فقد كان يحتاج أيضًا إلى منع أى اعتراض دولى ، سواء من ناحية أمريكا أو إنجلترا أو روسيا ـ على إقامة الدولة .

وبالنسبة لموقف بريطانيا [١]، فقد كانت ترفض إقامة دولة إسرائيل دون موافقة العرب ، ولذلك كان على اليهود أن يعملوا لرفع يد إنجلترا عن فلسطين، وهكذا رأى بن جوريون أن الهدف لا يتجزأ فيقول « يجب أن نحارب هتلر كما نحارب أيضًا سياسة إنجلترا فى فلسطين » ولقد نظر الإنجليز بعين الشك إلى كل النشاط العسكرى اليهودى فى فلسطين ، فى الوقت الذى كان فيه اليهود يتحدثون عن الدفاع فقط ، ولقد أيد تشرشل اقتراح وايزمان بتكوين قوة ضاربة من وحدات يهودية صغيرة ، وعلى الرغم من رفض الجيش البريطانى لذلك إلا أن تشرشل لم يعبأ برفضهم ، وبدأ فى

(١) Paul Johnson, A history of the Jews (New York 1988).

وضع نواة لجيش إسرائيل ، وعندما بدأ الإنجليز استعدادهم للتحرك خارج فلسطين منعوا هجرة اليهود غير القانونية إلى فلسطين إرضاءًا لأصدقائهم من العرب ، وقاموا بترحيل اليهود الذين وصلوا إلى فلسطين بطريق غير قانونى ، ففى عام ١٩٤٢ رفضت القوات البريطانية فى فلسطين إعطاء تصريح بالانزال لسفينة تحمل لاجئين يهود من رومانيا ، فعَادت السفينة أدراجها ، ولكنها غرقت فى البحر الأسود بواسطة الأتراك حيث مات غرقًا ٧٧٠يهوديًا.

فى ذلك الوقت كانت بريطانيا تحكم ربع العالم ، ولها مائة ألف رجل فى فلسطين ولذلك رأى الإنجليز أنه ليس من المناسب أن يحكم الجيش الإسرائيلى فلسطين ، وهنا ظهر على السطح شاب يدعى مناحم بيجن وكان قائدًا لحركة اليهود البولندية ، وهو من أسرة مات معظم أفرادها فى أفران الغاز، حيث كان اليهود يمثلون ٧٠٪ من تعداد المدينة التى يعيش فيها ، ويقدرون بحوالى ثلاثين ألفًا فى عام ١٩٣٩ وفى عام ١٩٤٤ أصبح تعدادهم ١٠٪ بسبب القتل الجماعى لليهود ، ولقد مُنع اليهود من دفن موتاهم حتى أن والد مناحم بيجن قتل عند محاولته حفر قبر فى مدافن اليهود لصديق له ، ولذلك نشأ مناحم بيجن بنفسية معقدة تتكون من محاولة الاستمرار فى الحياة وسط المخاطر مع الإحساس الداخلى العميق بضرورة وحتمية الانتقام ، وقد قُبض عليه فى لتوافيا ، ولكنه استطاع الهرب مع عدد قليل من أصدقائه ، ثم أُرسَل بيجن إلى معسكر العبيد السوفيت، إلا أنه استطاع أن يهرب وسار على قدميه فى وسط آسيا آخذًا طريقه إلى أورشليم مباشرة كجندى (نفر) فى الجيش البولندى ، وفى ديسمبر عام ١٩٤٣ أصبح قائدًا لفرقة من فرق الجيش الإسرائيلى الذى كان فى طور التكوين ، وبعد ذلك بشهرين أعلن الحرب على الإدارة الإنجليزية .

فى ذلك الوقت كانت هنالك ثلاث مدارس يهودية فى كيفية التعامل مع بريطانيا ، مدرسة وايزمان والذى كان ما يزال يؤمن بإنجلترا إيمانًا مطلقًا ، ويترك لها حرية الحركة كاملة للتحكم فى فلسطين والبقاء أطول وقت ممكن ، ومدرسة بن جوريون الذى أمسك العصا من النصف حتى يكسب الحرب ، فكون الهاجانة كجيش للدفاع وليس للهجوم ، ولم يحاول استخدامه للهجوم ضد الإدارة الإنجليزية ، ومدرسة بيجن والذى أخذ الجانب الآخر ، فقد رأى أن العدو الأول لليهود فى فلسطين هو الإدارة الإنجليزية ، وهكذا قرر أن يوقف عمل الإدارة الإنجليزية ، وأن يجعل بقاءهم فى فلسطين مكلفًا للغاية ، وفى ٢٦ أبريل عام ١٩٤٦ قتل ٦ جنود مظلات بريطانيين فى فراشهم ، وفى ٢٩ يونيو فجرًا قام الإنجليز بهجوم على الوكالة اليهودية وقبض على ٢٧١٨ يهوديا ، وكان الهدف جعل القيادة اليهودية أكثر إعتدالاً، ولقد فشل هذا الهجوم فى تحقيق أهدافه لأن منظمة أرجون التى يقودها مناحم بيجن لم تمس فى الوقت الذى قويت فيه شوكة مناحم بيجن ، ولقد استطاع بيجن أن يقنع الهاجانة بالهجوم على فندق الملك داود حيث مقر الإدارة الإنجليزية ،كانت الموافقة على أساس إذلال الإنجليز وليس قتلهم ، لكن المخاطرة بالقتل كانت ماثلة ومحتملة ، ولقد سمع وايزمان بالمؤامرة وهدد بالاستقالة ، وإعلان أسباب الاستقالة للعالم كله ، فطلب الهاجانة من بيجن إلغاء العملية لكنه رفض ، وفى يوم ٢٢ يوليو ١٩٤٦ وفى وقت الغذاء ، نُسِف جناح من فندق الملك داود بمادة شديدة الانفجار تقدر بـ ٧٠٠ كيلو ، وقتل فى العملية ٢٨ بريطانيًا ، ٤١ عربيًا ، ١٧ يهوديا بالإضافة إلى خمسة آخرين ، ولقد أبلغت عن العملية قبل وقوعها بدقائق فتاة مدرسية (١٦سنة) وكان ذلك جزءًا من الخطة.أما ما حدث بعد ذلك فيه كثير من الخلط والبلبلة،

فقد أعلن بيجن أنه قد تم تحذير الإنجليز من العملية بواسطة الفتاة المدرسية ، ولذلك فمسئولية القتل تقع عليهم ، وكان من نتيجة هذه العملية أن رئيس الهاجانة أستقال .

ونتيجة لكل هذه الاضطرابات إقترحت الحكومة البريطانية تقسيم فلسطين تقسيمًا ثلاثيًا ولكن العرب واليهود رفضوا الاقتراح تمامًا ، وفى ١٤ فبراير ١٩٤٧ أعلن بيفن أنه يحمل القضية الفلسطينية إلى الأمم المتحدة لم يكن يعنى هذا إنسحابًا سريعًا للإنجليز من فلسطين ، ولذلك استمر التوتر والذى كان مسئولاً عنه بيجن ، ولقد أعطى بيجن منظمة أرجون الحق فى تأديب أفراد الجيش البريطانى بنفس الطريقة التى كان الجيش الإنجليزى يعاقب بها أفراد منظمة شتيرن ، وكما قام الإنجليز بشنق وجلد وسجن أفراد من منظمة شتيرن ، أراد بيجن أن يقوم بنفس الشىء تجاه الإنجليز ، وفى أبريل ١٩٤٧ وضع ثلاثة أعضاء من منظمة شتيرن فى السجن بسبب هجومهم على سجن وإطلاقهم ٢٥١ سجينًا ، وهنا هدد بيجن بالانتقام فى حالة شنق هؤلاء الثلاثة .

وفى ٢٩ يوليو وبعد شنق اليهود الثلاثة بساعات قليلة ، وبأمر بيجن شنق اثنان من الجيش الإنجليزى برتبة سيرجنت ، وكان قد قبض عليهما من قبل ، ولقد سببت هذه الحوادث عنفًا مضادًا فى إنجلترا ، فقد قامت مظاهرات وأعمال شغب ضد اليهود فى لندن وليفربول وما نشيستر وأحرق المجمع اليهودى فى دربى .

كل هذه الحوادث صنعت تغييرًا جوهريًا فى سياسة إنجلترا ، فقد إفترض الإنجليز إن أى تقسيم سوف يحدث فى المستقبل سوف يتم بهم ومن

خلالهم ، ونتيجة له سوف تتحرك الجيوش العربية لإبادة اليهود ، ولذلك قرروا الانسحاب سريعًا بقدر الإمكان دون فرض أى تقسيم يُنْسَب إليهم ، وليتركوا اليهود والعرب وجهًا لوجه فى قلب المشكلة ، وهكذا نجحت سياسة بيجن لكنها وضعت المنطقة فى بداية الطريق لجهنم ، وكانت المخاطرة التى أعقبت حركة خروج الإنجليز تتمثل فى موقف أمريكا وروسيا كأكبر قوتين من القضية ، ولقد ربحت الصهيونية ومع أمريكا وروسيا ، سواء بالحظ أو بالتآمر والتخطيط ، ومن الحَظ السئَ للعرب مثلاً موت روزفلت فى ١٢أبريل عام ١٩٤٥ بعد أن تغير فكره إلى النقيض ، فبعد ما كان يعضد الصهيونية ويؤيدها ، بدأ يرفضها ويهاجمها ، وقد جاء ذلك التغيير نتيجة لاجتماع مطول له مع الملك سعود عقب مؤتمر يالتا ، ولقد أعلن مساعد رئيس جمعية أصدقاء الصهيونية دافيدنا ليس ذلك بقوله أنه كان هنالك شك كبير فى ذهنى بأن إسرائيل سوف تولد لو استمر روزفلت حيا [١] ـ أما هارى ترومان الذى أعقب روزفلت فى رئاسة الولايات المتحدة فقد كان له التزام واضح نحو الصهيونية ، جزء منه كان عاطفيًا والآخر كان نفسيًّا له حساباته ، فقد أحس بالأسف لأجل اللاجئين اليهود ، وفى نفس الوقت أراد ضمان أصوات اليهود ، وفى انتخابات ١٩٤٨ إحتاج لأصوات اليهود فى بلدان بها أعداد كبيرة من اليهود ، مثل نيويورك وبنسلفانيا والينوى ، ولذلك مجرد ما أعلنت بريطانيا رفع انتدابها عن فلسطين ، إندفع ترومان لخلق دولة إسرائيل . وفى مايو ١٩٤٧ طرحت المشكلة الفلسطينية للمناقشة فى الأمم المتحدة ، وكونت لجنة خاصة لكى تضع خطة لحل المشكلة ، ولقد

---

(١) Paul Johnson, A History of the Jews.

اقترحت اللجنة خطتان ، الخطة الأولى وقد أيدها عدد قليل من اللجنة أوصت بإقامة دولة فيدرالية والخطة الثانية والتى حازت على أغلبية أعضاء اللجنة أوصت بتقسيم جديد لفلسطين حيث تقام دولة يهودية وأخرى فلسطينية بالإضافة إلى منطقة دولية تشمل أورشليم .

وفى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ أقر مشروع التقسيم بواسطة الجمعية العمومية للأمم المتحدة بأغلبية ٣٣ صوتًا مقابل ١٣ صوتًا معارضًا وغياب ١٠أصوات ، ولقد كان لتعضيد ترومان القوى للمشروع الأثر الواضح فى إقراره . ولقد اعتقد الاتحاد السوفيتى والدول العربية واليسار الدولى على وجه العموم أن خلق دولة إسرائيل عمل من أعمال الرأسمالية والامبرالية العالمية ، ولكن الحقائق المجردة أظهرت أنه عقلاء أمريكا وإنجلترا لم يريدوا دولة إسرائيل ، فقد رأوها كارثة للغرب أن تكون إسرائيل فى قلب المنطقة ، فقيادة الجيش الإنجليزى كانت ضد هذه الفكرة ، وكذلك وزارة الدفاع الأمريكية ، وقد وقف ضد المشروع شركات البترول الأمريكية والإنجليزية ، وقال أحد رؤساء شركات البترول الأمريكية ماكس تورنبرج «أن ترومان قد غير من موقف أمريكا الأخلاقى وحطم إيمان العرب به أوفيه» ، وأى فاهم للاقتصاد الأمريكى والإنجليزى لابد وأن يرفض قيام دولة إسرائيل . إلا أن السياسة والأطماع الاستعمارية الأمريكية انتصرت فى النهاية .

ولقد ثبت عالميًا وبدون مجال لشك أنه كانت هنالك مؤامرة لقيام دولة إسرائيل ، وكان الاتحاد السوفيتى شريكًا فيها ، فأثناء الحرب العالمية الثانية ولأسباب تكتيكية حاول ستالين إخفاء معاداته اليهود رغم الوضوح السافر لهذا العداء ، إلا أنه ولأسباب تكتيكية تبنى قيام الدولة ، وكان تبريره لذلك يدعو للسخرية إذ قال إنه يؤيد قيام دولة إسرائيل لأنها ستقوم على أساس

اشتراكى وتضع حدًا لسيطرة إنجلترا فى الشرق الأوسط .

وعندما عرضت القضية فى هيئة الأمم عام ١٩٤٧ فجر أندريه جروميكو وزير خارجية روسيا مفاجأة بإعلانه أن حكومته تؤيد قيام دولة إسرائيل ، وقد صوت الاتحاد السوفيتى على قرار التقسيم فى ٢٩ نوفمبر وتعاون الاتحاد السوفيتى مع الولايات المتحدة فى تسهيل خروج بريطانيا من فلسطين ، وعندما أعلنت إسرائيل إستقلالها فى ١٤ مايو ١٩٤٨ إعترف ترومان بها فى الحال ، ثم تلاه ستالين بعد ثلاثة أيام ، ومن العجيب أن حكومة الاتحاد السوفيتى أخذت قرارًا ببيع أسلحة حديثة للطيران الإسرائيلى حيث لم يكن لدى إسرائيل هذا السلاح أصلاً ، وكان لخروج إنجلترا السريع من فلسطين أثره الواضح فى تأسيس دولة إسرائيل ، ولقد تأسست الدولة فى ظرف شهور قليلة إذ نفذت من فتحة ضيقة للتاريخ فتحت لفترة قليلة ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ .

وإن كان بيجن هو المسئول عن خروج الإنجليز من فلسطين إلا أن بن جوريون هو الذى ولدت الدولة على يديه ، فهو الذى إتخذ قرارات مصيرية كان كل واحد منها يعتبر نكبة على فلسطين ، فى ذلك الوقت كان الهاجانة يملكون: ١٧,٦٠ بندقية ، ٢٧,٠٠٠ مدفع وما بين ٢٠,٠٠٠ ـ ٣٤,٠٠٠ جندى من مختلف الأسلحة ولم يكن لديهم أى أسلحة ثقيلة أو طيران .

ولقد جمع العرب جيشًا ضخمًا ، ولكن المشكلة الأساسية فى هذا الجيش كانت تكمن فى قيادته [1] المنقسمة ، وتكون هذا الجيش من ١٠,٠٠٠ مصرى ، ٧,٠٠٠ سورى ، ٣,٠٠٠ لبنانى بالإضافة إلى ٤٥٠٠ من الأردن مدربون تحت قيادة إنجليزية ، وحتى مارس ١٩٤٨ قتل أكثر

(١) Elias chacour with David Hazard . Blood Brothers (Eastborne 1984) .

من ١٢٠٠ يهودى ، وقبل إنتهاء الانتداب عمليًا فى ١٥ مايو أخذ بن جوريون ربما أصعب قرار فى حياته ، ففى إبريل أمر الهاجانة بتطبيق قرار الأمم المتحدة بالتقسيم على أرض الواقع ، وهكذا تجمع اليهود فى حيفا ثم فتحوا الطريق إلى طبرية ثم إلى الجليل فى الشرق وأخذوا يافا وحددوا دولة إسرائيل ، وفى يوم الجمعة ١٤ مايو قرأ بن جوريون بيان الاستقلال فى متحف تل أبيب ، وفى نفس الليلة بدأ هجوم الطيران المصرى ، وفى اليوم التالى رحل آخر بريطانى عن فلسطين ، وفى ثالث يوم دخل الجيش العربى إلى فلسطين وقاموا بعمل تغيير بسيط ، فقد أخذ الملك عبد الله ملك الأردن أورشليم القديمة لنفسه ، وكان هذا يعنى إخلاء شرق المدينة من المستوطنين اليهود ، ثم اتفق على هدنة فى ١١ يونيو وفى خلال هذه الهدنة قامت الدولة العربية بتسليح جيشها بأسلحة ثقيلة ، ولكن إسرائيل كانت قد تسلمت أسلحة جيدة وضخمة ليست فقط من روسيا بل من فرنسا أيضًا ، والتى أرادت بهذا اغضاب انجلترا .

وعندما بدأت الحرب فى ٩ يوليو وضح سريعًا أن اليد العليا لإسرائيل ، قد استولت على اللد والرملة والسامرة والناصرة ، وضمت مساحة ضخمة أكبر من المساحة التى سمح التقسيم بها لهم . وبنهاية العام وصل تعداد الجيش الإسرائيلى إلى مائة ألف مقاتل ، وهنا بدئ فى تكوين الجيش النظامى.

وفى ١٢ يناير بدأ حوار للهدنة فى رودس ، وقد وقعته مصر (اتفاق الهدنة) فى ١٤ فبراير ثم لبنان فى ٢٣ مارس ثم الأردن فى ٣ إبريل وأخيرًا من سوريا فى ٢٠ يوليو أما العراق فقد رفض عمل اتفاقية من أى نوع ، ورغم الاتفاقية فقد بقى الخمس دول الموقعين عليها فى حالة حرب رسميًا مع إسرائيل .

ولقد كان للأحداث التى وقعت فى عامى ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ والتى أوجدت

دولة إسرائيل السبب المباشر فى خلق مشكلة الشرق الأوسط ، والتى استمر العالم يعانى منها إلى اليوم ، وطبقًا لتقارير الأمم المتحدة ، فإن عدد اللاجئين الفلسطينيين الذين هربوا من إسرائيل كان ٦٥٦ ألف لاجئ وزعوا كالتالى : ٢٨٠ ألفًا فى الضفة الغربية لنهر الأردن ، ٤٠ ألفًا فى المملكة الأردنية ، ١٠٠ ألف فى لبنان ، ٤٠ ألف فى العراق ، ٧٥ ألفًا فى سوريا ، ٧٠ ألفًا فى مصر ، ١٩٠ ألفًا فى قطاع غزة .

ولقد ترك هؤلاء اللاجئون فلسطين إما لكى لا يقتلوا فى الحرب ، أو لأن الإدارة الفلسطينية قد انهارت أو لأن العرب قد أمروهم بواسطة الإذاعة أن يهربوا ، أو بسبب المذابح الجماعية لمنظمة أرجون فى القرى ، أو لكل هذه الأسباب معًا .

ولقد كان لمذبحة دير ياسين[1] فى ٩ أبريل ١٩٤٨ الأثر الهائل فى هرب الكثيرين من العرب ، ولقد كان الهدف من المذبحة تحطيم القانون العربى وإعلاء القانون الإسرائيلى وسيادته فى أورشليم ، والذى رفضت تطبيقه فى دير ياسين ، ولاجل تأديبهم وضعت منظمة أرجون خطة لإبادة دير ياسين لتلقينهم درسًا ، وقد وافق بيجن على العملية لكنه إقترح أن يمر ميكروفون بميكروباص فى شوارع القرية لتحذير القرية حتى تسلم دون سفك دماء ، ولكن الميكروفون لم يستخدم إطلاقًا ، وقد اختار الفلسطينيون المقاومة ، وكان يمكنهم الانتصار لولا أن منظمتى أرجون وشيترن أرسلوا أسلحة ثقيلة للقرية التى لا يتعدى تعدادها ١٠٠٠ نسمة وانتهت المقاومة ، ثم دخلت القوات إلى القرية وقامت بعمل مذبحة ضخمة ، ولقد وصف المذبحة

(١) Nichala Bethell . The Palestine Triangle . (London 1979).

أحد الهاجانة الإسرائيليين بـالقول بأنها كانت مذبحـة غير منظمة ، فقد أخذ أحد الإسرائيليين ٢٣ رجلًا عربيًا وأطلق عليهم النار وقال شاهد عيان عربى أن هناك ٢٣ آخرون قتلوا فى القرية وبحصر ما قيل وما سمع به ثبت أنه قد تم قتل ٢٥٠ رجلًا ، وقبل أن يعرف بيجن تفاصيل المذبحة أرسل أمرًا فى كل الأرض المحتلة يقول « كما فى دير ياسين أو أى مكان آخر سوف نهاجم أعداء الله ، فقد إختارنا الله لأجل هذاالهدف » ولقد انتشرت أخبار هذه المذبحة مما دعا الكثير من العرب إلى الهروب خارج فلسطين فى الشهرين التاليين متوجهين إلى المدن العربية ، فى نفس الوقت الذى هرب فيه الكثيرون من اليهود الذين يعيشون فى البلاد العربية إلى إسرائيل ، وقد كانت من بينهم مجتمعات يهودية تأسست من أكثر من ٢٥٠٠ سنة فى الشرق الأوسط ، ففى عام ١٩٤٥ كان هناك أكثر من نصف مليون يهودى يعيشون فى البلاد العربية ، وفى الفترة ما بين حربى ١٩٤٨ ، ١٩٦٧ هاجر إلى إسرائيل من المغرب ٢٥٢,٦٤٢[1] ومن الجزائر ١٣,١١٨ ومن تونس ٤٦,٢٥٥ ومن ليبيا ٣٤,٢٦٥ ، ومن مصر ٣٧,٨٦٧ ومن لبنان ٤,٥٠٠ ومن سوريا ٤٥٠٠ ومن عدن ٣٩١٢ ومن العراق ١٢٤,٦٣٧ ومن اليمن ٤٦,٤٤٧ بمجموع ٥٦٧,٦٥٤ .

ولقد اختلف نظام استقبال اللاجئين فى إسرائيل عن الدولة العربية كل بحسب فلسفته وسياسته ، ففى إسرائيل قامت الحكومة الإسرائيلية بتوطين اليهود بإعتبارهم جزءًا من الوطن الأم . وبهجرتهم إلى إسرائيل عادوا إلى الأم بكل حقوقهم وواجباتهم ، أما الحكومات العربية وبمعونة الأمم المتحدة فقد حفظوا اللاجئين فى معسكرات وخيام إنتظارًا للعودة إلى فلسطين والتى لم

(١) Ibid

تحدث ، فتزايد عدد اللاجئين أضعافًا مضاعفة عام ١٩٨٠ عما كان قبل ٤٠ عامًا . وهذا التناقض فى سياسة معاملة اللاجئين عكس الاختلاف الأساسى فى فلسفة كل طرف ، والتى وضحت أكثر بصورة عملية فى المفاوضات والحوادث بين الطرفين ، فلقد عاش اليهود ألفى عام كأقليات مضطهدة فى العالم ، لذلك فقد تمرسوا على المفاوضات الطويلة ، لكى يضمنوا استمراريتهم فى أى بلد يعيشون فيها مهما بلغ ضعف موقفهم ، وعلى امتداد قرون طويلة من المفاوضات المتعددة الأشكال والألوان والأهداف ، لم تنمُ فيهم مهارة التفاوض فقط بل فلسفة التفاوض أيضًا .

فقد كانوا يطالبون بالمستحيل ليضمنوا الممكن ، ثم يقبلون الحد الأدنى لأذى المقدم لهم بالتفاوض ، وبعد حصولهم عليه يبدأون فى المطالبة ثانية بمفاوضات لاتنتهى ليحصلوا على أقصى ما يمكن وهكذا . أما العرب فعلى العكس تمامًا فهم لهم تاريخ ملىء بالانتصارات ولم يعيشوا كأقلية أبدًا ، وحتى عندما كانوا أقليات فى البلاد المفتوحة كانت تعضدهم القوة العسكرية وترحيب أهل البلاد بهم هذا فضلا عن طبيعة العربى الذى عاش بين الصحراء والسماء والأفق أمامه متسع ، فكان دائمًا يتطلع إلى الكمال وإلى المبادئ السامية والكاملة ، لذلك كانوا فى مفاوضاتهم يطلبون الحد الأقصى والتنازل عن هذا الحديعتبر خيانة للمبدأوقد كان هذاهو السبب فى عدم توطينهم للفلسطينيين فى البلاد العربية،ذلك لأن توطينهم يعتبر خيانة للمبدأ الأساسى.

وكما أذاع راديو القاهرة « إن اللاجئين هم حجر الزاوية فى نضال العرب ضد إسرائيل فهم ذراع العرب القوية » وبناء على ذلك قد رفض العرب مشروع الاستيطان الذى تقدمت به الأمم المتحدة إلى العرب دون مناقشة ،

وكانت نتيجة ذلك ضياع اللاجئين كأفراد وكمجتمع وعاش الفلسطينيون على مدى نصف قرن على هامش الدول العربية ، وكانوا سببًا رئيسيًّا لعدم الاستقرار فى الوطن العربى ، ففى عام ١٩٦٩ كادت الأردن أن تنهار بسببهم ، وفى لبنان حطموا التوازن بدءًا من عام ١٩٧٠ وانتهى الأمر بالحرب الأهلية ثم خروج الفلسطينيين من هناك إلى تونس عام ١٩٨٠ .

ولقد كان للعبة التفاوض أهمية قصوى لدى الإسرائيليين للحفاظ على استمرار دولة إسرائيل ، ولذلك كان أمام اليهود ثلاثة خيارات للدولة (١):

١ ـ إما أن تكون إسرائيل وطنًا قوميًا لليهود .

أو ٢ ـ أرض الموعد .

أو ٣ ـ دولة صهيونية علمانية .

أما الخيار الأول فقد كان يمكن ضربه بسهولة ، لأنه إذا كان اليهود فى حاجة لمكان يعيشون فيه فى أمان ، فهذا يمكن أن يتحقق فى أى مكان : الأرجنتين ، أوغندا ، مدغشقر ... إلخ .

ولقد رفضت كل هذه الاقتراحات بأماكن وكان أكثر الاقتراحات قبولاً هو العريش وذلك لأنها قريبة من فلسطين .

ولذلك تحول اليهود من فكرة وطن قومى إلى الخيار الثانى « أرض الموعد» ولقد شجع على هذا الفكر أن أرض الموعد نظرية ثابتة فى أذهان اليهود سواء من العلمانيين أو المتدينين ، أما المتطرفون منهم فقد آمنوا بأن العودة لأرض الموعد سيكون جزءًا من الأحداث المسيانية . لكن المشكلة تركزت فى تحديد حدود أرض الموعد خاصة أن الحدود الموجودة فى التوراة

---

(١) Rony Egabby - A Political Study of the Arab - (Geneva 1959).

والتى وُعد بها إبراهيم لم تحدد بدقة ، فما هو المقصود بنهر مصر ؟ وأى منطقة من النهر ؟، وأيضًا الفرات ، هذا علاوة على أن مجرى النيل قد تغير أكثر من مرة ، هذا من ناحية ، ومن الناحية الأخرى هل الأرض المطلوبة اليوم كأرض هى الأرض التى شغلها بنو إسرائيل من قبل ؟ وإذ كان كذلك ففى أى عصر من العصور ؟ ، فلقد اختلفت الأرض التى سكن فيها بنو إسرائيل من عصر إلى عصر ، فهناك الأرض التى كانت عليها مملكة داود وهيكل سليمان والتى امتدت حتى سوريا ، وهناك مملكة وهيكل المكابيين[١]*.

إذًا فتاريخيًا توجد مملكتان وهيكلان ، ولحل هذه المعضلة ، إعتبر بعض الصهيونيين أن الدولة الحديثة تعتبر مملكة ثالثة لا علاقة لها بالاثنين السابقين ، لكن يظل السؤال ترى إلى أى دولة تنتمى ؟ هل إلى مملكة داود التى تحوى سوريا أم إلى مملكة المكابيين التى حكمت أيضًا أماكن شاسعة ، والاثنتان كانتا امبراطوريتين صغيرتين حتى وهما فى أوج عظمتهما ، وكانا يحتويان على شعب كثير مختلط ، أى نصف يهودى ، وعلى شعوب غير يهودية على الإطلاق ، وهذه الصورة يمكن أن تكون نموذجًا لدولة إسرائيل ، وتحقق فى نفس الوقت فكرة الوطن القومى مع تعاطف قوى لحق اليهود فى أجزاء من فلسطين باعتبارها أرض الموعد ، ولقد وضع الصهيونيون خطة أرض الموعد فى مؤتمر السلام بباريس عام ١٩١٩ وأعطت اليهود كل المساحة من رفح إلى صيدا والضفتان لنهر الأردن ، وشرق دمشق وعمان وسكة حديد الحجاز وكما هو متوقع فشلت هذه الخطة لعدة أسباب أولها وأهمها أنها لا تعطى مرونة للمتفاوضين فلا يمكن أن يقبلوا إقامة دولة فى

(١) * انظر باب المصطلحات تحت رقم (٢٢).

حدود أقل من حدود أرض الموعد ، ولا يكون لهم الحق فى أى أرض بعيدة عن أرض الموعد أو حتى مجاورة لها .

ولذلك انتقلوا إلى الخيار الثالث : « دولة صهيونية » ، والدولة الصهيونية يمكن أن تقام على أى قطعة أرض ضيقة ثم تتسع شيئًا فشيئًا ، والعالم سوف يتبنى مثل هذه الفكرة دون مجهود لأنها فكرة عملية ومناسبة ، فى الوقت الذى فيه تعطى هذه الفكرة المرونة الكافية للمفاوضين فلا يكونوا مرتبطين بحدود مقدسة لا يصح التنازل عنها ، وفى نفس الوقت يقبلون الجزء الذى يكونون قادرين على التحكم فيه والدفاع عنه .

ولقد كان اليهود على استعداد لقبول أى مساحة معقولة تعطى لهم ، وفى عام ١٩٣٧ قدمت بريطانيا خطة لتقسيم فلسطين تحت الانتداب فأعطت لليهود الجليل والسهل الساحلى من النقطة ٢٠ ميلا شمال غزة حتى عكا[١]، ورغم أن اليهود كانوا غير متحمسين لهذا التقسيم إلا أنهم قبلوه ، أما العرب فلم يقبلوه .

وفى مشروع التقسيم الثانى والذى قدم بواسطة هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ ، اتسع الاستيطان فأضاف التقسيم لليهود جزءًا من البحر الميت وبينما كان التقسيم الأول يعطى لليهود ٢٠٪ من أرض فلسطين قدم التقسيم الثانى ٥٠٪ من الأرض لليهود ، ولم تكن هذه أرض الموعد بأى حال، ذلك لأنها لا تحتوى على اليهودية والسامرة ولا الضفة الغربية لنهر الأردن وفوق الكل لا تحتوى على أورشليم .

(١) Parkes James - A History of Palestine from 135 A.D to modern time (N.Y 1949).

وعلى الرغم من هذا كله فقد قبل اليهود التقسيم ، وكانت فلسفتهم كما عبر عنها أبا إيبان رئيس الوفد فى المفاوضات ووزير خارجية إسرائيل لفترة طويلة بالقول « لقد وافق اليهود على أن يخسروا مساحات عقائدية وتاريخية هامة بالنسبة لهم مقابل الحصول على مساحة أرض يضعون أقدامهم عليها ثم يبحثون بعد ذلك عن التاريخ والعقيدة » ، فسياسة الاستيطان الصهيونية تقول حقق فكرتك النموذجية على أى مساحة أرض ، ومساحة الأرض هذه هى أى مكان يتركه العرب ، وعندما جاء المهاجرون الجدد من اليهود ذهبوا إلى الجزء القديم فى فلسطين ووادى يزرعيل والذى تركه العرب بسبب الملاريا ويقول أبا ايبان أن مبدأ توطين اليهود كان دائمًا حسب الواقع والزمن وليس حسب العقيدة والتاريخ .

ومن ثم فى مفاوضات الأمم المتحدة يقول « نحن نقبل الخطوط العريضة لفكرة إسرائيل التاريخية لكن هذا لا يجعلنا نرفض أى جزء خارج إسرائيل التاريخية تقدمه لنا الأمم المتحدة ، وحيث إن منطقة حبرون مملوءة بالعرب فنحن لا نطالب بها وحيث أن بئر سبع خالية تقريبًا فنحن نقوم بتوطين اليهود فيها ، ونظريتنا هى إيجاد مساحات تكون كافية لتوطين جماعة اليهود دون التداخل فى المناطق المزدحمة حتى لو كانت هذه المناطق من ضمن أرض الموعد »[١].

والنتيجة المتوقعة للفلسفتين العربية واليهودية كانت كما يلى :

بالنسبة لليهود فقد قبلوا خطة التقسيم للأمم المتحدة رغم أن الجزء الذى

---

(١) Kirk georg E. A Short History of the Middle East . (N.Y 1959) .

قبلـوه كان من الصعب الدفاع عنه ، أما العرب فقد رفضوا الخطة التى كانت ستعطيهم ثلاثة أرباع الأرض فضلاً عن **إقامة دولة لفلسطين** معترفـبها من المجتمع الدولى ، ودون أى مناقشة **اتجهوا للقوة العسكرية** ، وكانت نتيجة الحرب التى استمرت من يونيو حتى **نوفمبر ١٩٤٨ أن اختلت** إسرائيل ٨٠٪ من أرض فلسطين ، وأصبح **الفلسطينيون العرب بلا دولة** على الإطلاق ، وقامت مصر بإدارة قطاع غزة ، وقامت الأردن بإدارة الضفة الغربية .

ورغم هذه التجربة فقد كانت إسرائيل على إستعداد للتفاوض ومهيأة نفسيًا ودوليًا لقبول دولة فلسطين بجوارها على أى مساحة أرض يمكن الاتفاق عليها ، إلا أن العرب رفضوا الحديث مع إسرائيل وطالبوها بالانسحاب إلى المواقع التى كانت عام ١٩٤٧ حسب تقسيم الأمم المتحدة ، وبالطبع رفضت إسرائيل التنازل بسهولة عن مكاسبها ، وهكذا بدأت حركة الفدائيين لتحرير الأرض . وهكذا عاشت إسرائيل فى حالة حرب مع أغلب جيرانها من نوفمبر ١٩٤٧ إلى يومنا هذا .

هذا الأمر أبرز للوجود خلافًا أساسيًا بين يهود العالم حول طبيعة دولة صهيون ، فقد رأى العلمانيون منهم أن الدولة يجب أن تكون نمو المدينة الفاضلة التى يجتمع فيها كل الأجناس والأديان فى تجمع مسالم ، أما المتدينون فقد أرادوها دولة إلهية مقدسة ، لكن اتفق الاثنان على حاجة الدولة إلى الأمان الدائم فيما أسموه بالحدود الآمنة ، فما كان مقبولاً عام١٩٤٩ على أنه حدود آمنة لم يعد كذلك ، وعلى أساس هذه النظرية (نظرية الحدود الآمنة) بدأوا فى إعداد جيش يكون مناسبًا للحرب مع كل

الدول العربية مجتمعة ، وهذا بلا شك يتطلب علاقات ممتدة وعميقة مع يهود العالم (الشتات) .

فى الثلاثين عامًا الأولى لدولة إسرائيل ١٩٤٨ ـ ١٩٧٨ كانت إسرائيل تحارب لأجل وجودها ، ففى السبع سنوات الأولى قتل أكثر من ١٣٠٠إسرائيلى من خلال المعارك التى زادت بين العرب واليهود على مساحات أرض فلسطين ، وفى ٢٠ يوليو ١٩٥١ أغتيل الملك عبد الله ملك الأردن ، آخر الحكام المعتدلين فى ذلك الوقت . وفى ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ قامت الثورة المصرية بمجموعة من ضباط الجيش الذين حاربوا عام ١٩٤٨ فى فلسطين وأصيبوا بالإحباط لحالة الأمة العربية ، وتحولت مصر إلى جمهورية ، وفى فبراير ١٩٥٣ قطع [1] ستالين العلاقات الدبلوماسية بين الاتحاد السوفيتى وإسرائيل قبل موته بشهر واحد ، وفى ٢٥ فبراير ١٩٥٤ تولى رئاسة جمهورية مصر جمال عبد الناصر القائد الحقيقى للثورة ، وفى سبتمبر ١٩٥٥ عقدت مصر اتفاقية عسكرية مع الاتحاد السوفيتى لتوريد أسلحة حديثة للجيش المصرى ، ولقد وضع عبد الناصر خطة لمحاربة إسرائيل ومنع إسرائيل من المرور فى قناة السويس وفى عام ١٩٥٦ منعت من المرور فى خليج العقبة وفى أبريل[2] من نفس العام وقع ناصر معاهدة دفاع مشترك مع اليمن والسعودية ، وفى يوليو أمم قناة السويس ، وفى أكتوبر وقع وحدة عسكرية مع الأردن وسوريا ، وهكذا جاء الإحساس بأن إسرائيل قد حوصرت من كل جانب . وفى حرب السويس فى أكتوبر عام ١٩٥٦ هاجمت الجيوش الإنجليزية والفرنسية مصر وقنال السويس ، وانتهزت

(١) Paul Johnson A History of the Jews (N.Y 1988).

(٢) Ibid.

إسرائيل الفرصة وبالتنسيق مع إنجلترا وفرنسا إجتاحت جيوشها سيناء آخذة فى طريقها غزة وفتحت خليج العقبة وأوقفت نشاط الفدائيين .

وقد أظهرت هذه الحرب تفوق السلاح الأمريكى الذى استخدمته إسرائيل على السلاح السوفيتى الذى استخدمته مصر وأظهرت قدرة إسرائيل على استخدام السلاح بكفاءة وتقدمها الواضح فى العلوم العسكرية على الرغم من أن جيوش بريطانيا وفرنسا كانت تغطيها ، وهذا ما ركزت عليه مصر ، على أساس أنه لولا هذه التغطية لما استطاعت إسرائيل أن تفعل شيئًا وتناست كل المظاهر العسكرية الأخرى لقدرة إسرائيل القتالية .

وجاءت الاتفاقية بعد الحرب تنص على أن تنسحب إسرائيل من كل سيناء ، وأن تقف قوة طوارئ دولية من الأمم المتحدة بين مصر وإسرائيل ، لكن هذه الاتفاقية لم تنه التوتر فى المنطقة وأظهرت التفوق السياسى لجمال عبد الناصر ، الذى خرج من حرب السويس منتصرًا وقائدًا فذًا ومحققًا لحلم العروبة والقومية . وفى عام ١٩٦١ ذهبت الجيوش المصرية إلى اليمن لمساندة الثورة اليمنية ، وفى عام ١٩٦٧ قام الجيش المصرى بدخول سيناء ، وفى ١٥ مايو كان هنالك ١٠٠ ألف جندى على رمال الصحراء بعتادهم الحربى ، ثم طلبت القيادة المصرية إخلاء قوة الطوارئ الدولية لسيناء ، فى ٢٢ مايو أغلق عبد الناصر خليج العقبة على إسرائيل بإغلاقه لمضايق تيران فى وجه السفن الإسرائيلية ، وبعد ثمانية أيام عقد الملك حسين إتفاقية عسكرية مع مصر فى القاهرة ، فى مظاهرة عسكرية إذ قاد طائرته من عمان إلى القاهرة بنفسه فى الوقت الذى كانت فيه الجيوش متراصة على الجبهة ، وكان هناك خلاف جوهرى بين حسين وعبد الناصر ، وكان هذا التصرف أحد التصرفات الكثيرة التى يقوم بها الملك حسين غير المفهومة أهدافها

تمامًا. فى نفس اليوم أخذت قوات عراقية مواقعها فى الأردن . وفى ٥ يونيو قامت إسرائيل بهجوم طيران ساحق على مصر ، حطمت فيه القوة الضاربة للطيران المصرى وهو على الأرض ، ولقد دخلت سوريا والأردن الحرب بجوار مصر لكن بتحطيم إسرائيل للقوة الكبرى التى تواجهها ، أحست بحرية أن تأخذ ما تستطيعه كنتيجة لانتصارها ، ففى ٧ يونيو استولت على أورشليم القديمة وجعلتها عاصمة لها ، وفى اليوم التالى استولت على الضفة الغربية وخلال اليومين التاليين استولت على مرتفعات الجولان فى سوريا ووصلت بجيوشها على بعد ٣٠ ميلاً من دمشق فى نفس الوقت الذى أخذت كل سيناء حتى قناة السويس ، وكنتيجة لحرب الأيام الستة حصلت إسرائيل على أكبر مساحة أرض فى كل تاريخها القديم أوالحديث [١].

ورغم هذا الانتصار الساحق إلا أنه لم يجلب إليها الأمن الذى كانت تتطلع إليه ، فقد أحست بثقة زائفة واستقلال زائف يحتمى خلف خط بارليف شرق قناة السويس ، وفى عام ١٩٧٠ مات جمال عبد الناصر ، ذلك القائد العملاق الذى انتصر فى كل معاركه السياسية وانهزم فى كل معاركه العسكرية ، وخلفه زميله أنور السادات ، والذى كان يتميز بالدهاء ، ولكى يكون للسادات حرية الحركة استطاع طرد السوفيت من الجيش المصرى عام ١٩٧٢ رغم صعوبة القرار . وعلى عكس جمال عبد الناصر ، بدأ فى وضع خطة سرية للحرب مع إسرائيل خاصة بمصر فقط ومنفصلة عن الاستراتيجية العربية ، وذلك لأنه قد ثبت تاريخيًا أن سبب الهزائم المتكررة لعبد الناصر ، ليس فقط ضعف القيادة العسكرية فى مصر ، بل أيضًا عدم

(١) Paul Johnson A History of the Jews.

جدية الجيوش العربية وقدرتها على الحرب، وعدم القدرة على التنسيق بين بعضها البعض وتعدد قياداتها هذا فضلاً عن تسرب الخطط من مؤتمرات القمة إلى إسرائيل مباشرة [١].

ولقد أحست إسرائيل بالغرور القاتل لانتصاراتها المتوالية فى أبريل ١٩٤٨ ، أكتوبر ١٩٥٦ ، ويونيو ١٩٦٧ والآن رسخ فى ضميرها أنها الأعظم والأقوى التى لا تقهر .

وإذ بالسادات وبالتنسيق مع سوريا فقط فى اللحظات الأخيرة ، يفاجئ إسرائيل بالهجوم فى يوم الغفران فى ٦ أكتوبر عام ١٩٧٣ ، وقد كانت مفاجأة غير متوقعة أعد لها السادات بدهاء ، وفى وقت واحد اخترقت الجيوش المصرية والسورية الحدود مع إسرائيل ، ولقد كان بوسع الجيش المصرى أن يصل إلى داخل إسرائيل لولا القصور التكنولوجى فى الطيران المصرى ، ولأول مرة من ثلث قرن ومنذ تأسيس الدولة تواجه إسرائيل إحتمال الهزيمة الكاملة ، وفى ٩ أكتوبر توقف تقدم الجيش السورى ، وفى ثانى يوم قام الرئيس الأمريكى ريتشارد نيكسون بعد تأكده من عدم قدرة إسرائيل على الرد ، بامدادها بالسلاح بجسر جوى ، وبعد يومين بالضبط ، بدأت إسرائيل بهجومها المضاد على الجبهة المصرية ونجحت فى اختراق الجيش بما سمى بعد ذلك بالثغرة وعبرت إلى الضفة الغربية لقناة السويس وقطعت الإمدادات عن الجيش المصرى وعزلته فى سيناء ، ولقد كانت هذه نقطة تحول فى الحرب ، وبدأت إسرائيل تتحرك نحو النصر حتى جاء وقف إطلاق النار فى ٢٤ أكتوبر ، ولقد قبلت إسرائيل وقف إطلاق النار لأسباب

(١) محمد حسنين هيكل . الأهرام ١٩٩٠ .

سياسية ونفسية أكثر منها عسكرية ، فقد كان العرب لديهم الاستعداد لأن يخسروا حروبًا كثيرة ، أما إسرائيل فلم يكن باستطاعتها خسارة حرب واحدة ، ولقد فهم السادات هذا جيدًا واستطاع أن يكسر به حالة الجمود عندما أراد وأن يفرض وقف إطلاق النار أيضًا عندما أراد ، فكل انتصارات إسرائيل لم تجلب لها السلام وهزيمة واحدة كانت تعنى بالنسبة لها النهاية، ولقد اعتبرت إسرائيل أن مصر هى أكبر عدو لها ، وأكبر مكمن خطورة فى المنطقة ، فى نفس الوقت الذى كان فيه عداء مصر لإسرائيل من النوع المركب وليس البسيط ، فشعب مصر ليس شعبًا عربيًّا خالصًا أو نقى الدم ، وفى كفاح مصر ضد إسرائيل كانت تقوم بدورها كقائد للشرق الأوسط ولاشباع هذا الدور أكثر منه عواطف كراهية أو رغبة فى الحرب ، فطبيعة مصر كانت دائمًا دولة مسالمة محبة للسلام ، كارهة للحروب هذا فضلاً عن أن اليهود لم يتعرضوا فى تاريخهم الطويل إلى أى اضطهاد من المصريين فى أى حقبة زمنية ، لاجل كل هذه الأسباب كان السلام مع مصر ممكنًا ، والسبب الرئيسى الذى كان يمنع مصر عن صنع السلام مع إسرائيل هو الشرف العسكرى وهزيمتها السابقة ، وبانتصار أكتوبر ١٩٧٣ تحقق إحساس مصر بالشرف العسكرى والكرامة .

ولقد كان هنالك سبب آخر يرجح إمكانية السلام بين مصر وإسرائيل ، وهو وجود حكومة الليكود المتشددة فى الحكم بقيادة بيجن ، فمنذ تأسيس إسرائيل وهى تحكم بحكومة ليبرالية عن طريق حزب العمل والذى كان يحكم بسياسة مرنة ، وكانت حكومة الظل هى الجناح المتشددة (ليكود) وبما أن السلام مع مصر يحتاج إلى تضحية ضخمة ، لذلك كان يحتاج إلى حكومة معروفة بتشددها وموثوق بها وبالتزامها بدولة إسرائيل ، ولذلك

عندما سقطت حكومة حزب العمل عام ١٩٧٧ فى الانتخابات لأول مرة منذ تأسيس إسرائيل وصعدت كتلة ليكود إلى الحكم ولأول مرة أيضًا ، كانت هذه الحكومة بقيادة مناحم بيجن المعروف بتشدده وبتاريخه لها القدرة على إعطاء تنازلات لاجل السلام ، دون ضغط شعبى عليها أو شك فى نواياها . ولقد كان السادات هو أول رئيس يفكر بواقعية فى مشكلة الشرق الأوسط منذ اغتيال الملك عبد الله ، واكتشف بذكائه هذه النقطة المفتاحية لعملية السلام ، وبعد أقل من ٦ شهور على إنتصار الليكود وفى ٩ نوفمبر عام ١٩٧٧ دعى السادات إلى مفاوضات سلام مع إسرائيل ، وقام بزيارته التاريخية إلى القدس والتى كانت مفاجأة للعالم أكبر من مفاجأة الحرب ، وكانت المفاوضات طويلة ومعقدة وصعبة ، ومن ٥ سبتمبر عام ١٩٧٨ بدأت معركة حوار ضارية فى كامب دافيد بين مناحم بيجن وأنور السادات أثبتت قدرة السادات على الحوار كمفاوض متمرس يعرف فن وفلسفة المفاوضات ، حتى وصلا معًا إلى اتفاقية أو معاهدة سلام ، وقد تضمنت هذه المعاهدة اعتراف مصر بحق إسرائيل فى الوجود ، واعترافها بحدود دولة إسرائيل وكانت هذه أول مرة تحصل فيها إسرائيل على درجة حقيقية من الأمان ، وفى مقابل هذا الاعتراف إنسحبت إسرائيل من كل سيناء بما فيها من آبار بترول ومطارات ومستوطنات ، وأيضًا تعهدت إسرائيل بمناقشة مصير الضفة الغربية وحتى أورشليم فى مفاوضات مباشرة مع الفلسطينيين وباقى الدول العربية مثل الأردن وسوريا ، قد كانت هذه أعظم فرصة أتيحت للفلسطينيين العرب منذ قرار التقسيم عام ١٩٤٧ ، ومرة أخرى رفض

(١ ، ٢). Paul Johnson .. Ahistory of the Jews . (N.Y 1988).

العرب الفرصة دون أى محاولة لمناقشتها ، وقد أعطى هذا الموقف فرصة لإسرائيل لأن تؤكد وترسخ احتلالها للضفة الغربية ، وقد ارتفع علم فلسطين - ولأول مرة بجوار علم إسرائيل فى مفاوضات مينا هاوس بالقاهرة، وبقى كرسى فلسطين شاغرًا ، وإلى اليوم يحاول الفلسطينيون والعرب مجرد إعادة هذا المنظر ولكن بلا جدوى .

وكان الثمن الذى دفعه بيجن لهذه الاتفاقية هو مجرد خسارة بعض أصدقائه السياسيين القدامى ، أما السادات فقد دفع حياته ثمنًا لهذه الاتفاقية .

ومن وجهة النظر التاريخية يعتبر السلام بين مصر وإسرائيل فى منتهى الأهمية ليس فقط فى ذاته ولكن أيضًا فى توقيته ، فمنذ عام ١٩٢٠ وإلى اليوم كانت قوة العرب السياسية والاقتصادية تعتمد على آبار البترول من الخليج إلى العراق ، وفى النصف الثانى من عام ١٩٧٠ تضخمت القوة البترولية وتضاعف سعره وفى عام ١٩٧٣ استخدم البترول كسلاح سياسى أثناء حرب أكتوبر وتضاعف سعره من ثلاثة دولارات إلى ١٢,٢٨ دولارًا بنهاية عام ١٩٧٧ ،وفى عام ٧٩ ، ١٩٨٠ ارتفع السعر ثلاثة أضعاف مرة ثانية حتى وصل إلى ٣٨,٦٣ دولارًا للبرميل ، ولقد أعطى هذا الارتفاع الضخم لأسعار البترول إمكانية عظمى لتسليح الدول العربية وخاصة العراق ، فى نفس الوقت الذى أعطى ثقلاً سياسيًا للدبلوماسية العربية سواء فى الغرب أو فى العالم الثالث ، فقامت فرنسا ببناء المفاعل النووى للعراق والذى دعى إسرائيل لمهاجمته فى ٧ يونيو ١٩٨١ ، وقامت بعض دول العالم الثالث بقطع علاقاتها مع إسرائيل تجاوبًا مع الدول العربية ، وفى الأمم المتحدة بدأ تأثير الدول العربية يتصاعد ، ولذلك خرج قرار من الجمعية العامة للأمم المتحدة

عام ١٩٨٥ باعتبار أن الصهيونية حركة عنصرية ، ودعى ياسر عرفات للحديث فى الجمعية العامة أكثر من مرة ، وهكذا كوّنت اتفاقية السلام المصرية مع تصاعد تأثير العرب قوة ضغط كبرى على إسرائيل فى العالم ، فأخذ العالم يتطلع إلى الحوار مع الفلسطنيين ، وبرزت القضية على السطح مع إمكانية للحل ، وبدا واضحًا أن إسرائيل ستجد صعوبة ضخمة لو أنها تمسكت بالضفة الغربية إذا حدثت أى مفاوضات[1] ، وذلك لأن سابقة سيناء ماثلة فى الأذهان ، لكن لعدم وجود من يستثمر كل هذه الفرص عربيًا، وللخوف من الاتهام بخيانة القضية بدأت النافذة المفتوحة فى الانغلاق شيئًا فشيئًا فمن عام ١٩٨١ إلى عام ١٩٨٥ ، بدأت أسعار البترول فى الانخفاض وفى يناير١٩٨٦ وصل السعر إلى ٢٥ دولارًا للبرميل وفى أبريل من نفس العام وصل إلى ١٥ دولارًا ، هذا غير أن التضخم جعل السعر أقل من حقيقته حتى وصل سعر البترول إلى المستوى الذى كان عليه قبل حرب أكتوبر ، وهكذا بدأ الميزان يميل نحو إسرائيل .

ولاشك أن سياسة العرب فى رفض المفاوضات كان دائمًا فى صف إسرائيل ، ففى الوقت الذى أبدت فيه إسرائيل مرونة بتنازلها عن أرض الموعد وتراث الآباء ، وقبولها بأى جزء مهما كان جعل الميزان يميل نحو إسرائيل .. ولاشك أن إنتصارات إسرائيل المستمرة دعاها لأن تحلم بصهيون الكبرى والتى تمتد من النيل إلى الفرات وتحلم بإعادة بناء الهيكل ، ولذلك ونتيجة لحرب ١٩٦٧ بدأت أصوات ترتفع داخل إسرائيل تطالب بألا تحتوى دولة

---

(١) مفهومنا للمفاوضات هو أن لا تكون هدفًا فى حد ذاتها كما تحاول إسرائيل أن تصورها ، لكنها يجب أن تكون مجرد وسيلة لتحقيق العدالة فى المنطقة .

إسرائيل سوى مواطنين يهود أنقياء ، ولقد ظهرت هذه الفكرة نتيجة لغرورالانتصارات ، وهذه الفكرة تركز على أنه لا يعيش فى إسرائيل سوى $\frac{1}{5}$ يهود العالم ، وأنه يجب على الدولة أن تضع أمامها هدفاً وهو توطين كل يهود العالم فى إسرائيل .[1]

ولقد كانت من سياسات إسرائيل الأساسية قبول أى يهودى يرغب فى الهجرة إلى إسرائيل بغرض الاستيطان ، لكن المشكلة كانت فى التعريف من هو اليهودى ؟

وفى برنامج بازل ١٩٨٧ وفى البند ٦ من إعلان الاستقلال فى ١٤ مايو ١٩٤٨ وفى قانون العودة عام ١٩٥٠ البند الرابع « ب » من القانون يعرّف اليهودى بأنه « المولود من أم يهودية أو تهود (اعتنق اليهودية) وليس عضوًا فى أى ديانة أخرى » ورغم هذا التعريف إلا أنه من الصعب تطبيق هذا التعريف على أرض الواقع ، ولقد كان تعريف اليهود من أصعب المشاكل فى التاريخ اليهودى من وقت انقسام مملكة داود إلى يهوذا والسامرة ، وبنمو وازدياد الانقسام أصبح الأمر أكثر تعقيدًا ، ومعظم اليهود المعاصرين يوافقون على أن اليهودى هوالشخص الذى يعتقد بأنه يهودى ولكن هذا ليس كافيًا من الناحية الدينية ، فالعقيدة اليهودية ترفض أى يهودى لم يولد من إمرأة يهودية حتى لو حصل على الجنسية الإسرائيلية وتحدث العبرية وخدم فى الجيش الإسرائيلى ، فأى شخص تتوافر لديه كل الشروط ماعدا الولادة من أم يهودية يحتاج إلى دخول فى ممارسات دينية معقدة ليتهود. وفى عام ١٩٦٢ عرض على المحكمة الإسرائيلية العليا حالة شخص يهودى

(١) David K. shiplev . Arab and Jew (Penguin Books - 1980)

تعمد وصار مسيحيًا ، ثم عاد ثانية إلى اليهودية ، وهاجر ليعيش فى إسرائيل، وحسب قانون الدولة العلمانى تُقبَل مثل هذه الحالة ، ويعتبر صاحبها يهوديا صحيحا ، أما حسب القانون الدينى فكما قال القاضى بعد نطقه بالحكم بقبوله يهوديًا ، إن رأيه الشخصى واضح ومحدد حسب العقيدة اليهودية أن الذى أصبح مسيحيًا من المستحيل قبوله كيهودى بعد ذلك [1].

وفى معظم الحالات لا توجد مشكلة وذلك ، لأن دولة إسرائيل لم تقف كثيرًا أمام تعريف التوراة لليهودى ، أو أمام ما فعله نحميا بعد العودة من السبى لتنقية النسل وذلك لاستحالة هذا الأمر عمليًا ، ولذلك قبلت إسرائيل لاجئين يهود إليها ليس فقط من الدول العربية ، بل من افريقيا وضمتهم إلى اليهود الأوروبيين ، مع أن كل هؤلاء ليسوا يهودًا أنقياء الدم ، بل من الناحية الواقعية هم أجناس وقوميات مختلفة لا ينتمون لجنس يهود التوراة بصلة، فأنت ترى الأسود والأصفر والأبيض معًا لا يجمعهم سوى التطلع إلى الاستقرار فى وطن قومى . وهذا يدعونا للتساؤل : لمن الأرض ؟ ولمن الوعد ؟ وأين الشعب المختار ؟

ولقد هاجر إلى إسرائيل فى الثلاث سنين ونصف الأولى لتأسيسها ٦٨٥ ألف مهاجر منهم ٤٠٣ آلاف من أوروبا مما جعل عدد السكان يتضاعف ، ثم حدثت موجة ضخمة أخرى من الهجرة فى الفترة ما بين ١٩٥٥ ـ ١٩٥٧ وكانت ١٦٠ ألف مهاجر وفى ثالث موجة ١٩٦١ ـ ١٩٦٤ كان العدد ٢١٥ ألفا . ولقد توازن عدد المهاجرين من الدول العربية مع مهاجرى أوروبا ففى الفترة ما بين ١٩٤٨ ـ ١٩٧٠ فقد وصل إلى إسرائيل من أوروبا ٦٠٠ ألف

(١) Paul Johnson - A History of the Jews (N.Y 1988)

مهاجر ، وكان أكبر تجمع من رومانيا ٢٢٩,٧٧٩ والذى يليه من بولندا ١٥٦,٠١١ وأيضًا كانت مجموعة ضخمة من المجر ٢٤,٢٩٥ وتشيكوسلوفاكيا ٢٠,٥٧٢ وبلغاريا ٤٨,٦٤٢ وفرنسا ٢٦,٢٩٥ وبريطانيا ١٤,..٦ وألمانيا ١١,٥٢٢ وتركيا ٥٨,٢٨٥ والهند ٢٠,٠٠٠ ، أما من روسيا فقد كانت أعداد المهاجرين تعتمد على السياسة المتبعة هناك ففى الفترة ما بين ١٩٤٨ ـ ١٩٧٠ هاجر من روسيا ٢١,٣٩١ يهوديًا فقط إلى إسرائيل بينما فى الفترة من ١٩٧١ ـ ١٩٧٤ وصل أكثر من ١٠٠ ألف مهاجر وفى عام ١٩٩٠ فتح الباب على مصراعيه لتهجير ٢ مليون يهودى روسى إلى إسرائيل نتيجة لسياسة البروستريكا ومحاولة جورباتشوف إرضاء أمريكا وإسرائيل . ولقد ارتفع عدد اليهود فى فلسطين من ٦٥٠ ألفًا إلى ٣ ملايين فى ثلاثين عامًا فقط ، يحتاجون إلى سكن وتعليم ووظائف ، ولقد رتبت إسرائيل أولوياتها كالتالى : الجيش ثم التمويل الاقتصادى للمهاجر . ولقد كان إخراج اليهود من بعض الأماكن التى تمنع خروجهم يحتاج إلى مجهود خاص ففى عام واحد نقل ٣٤ ألف يهودى من اليمن عن طريق البحر والبر من يونيو ١٩٤٩ إلى يونيو ١٩٥٠ ، وفى منتصف عام ١٩٨٠ كانت هنالك خطة سريعة لنقل اليهود الفلاشا ٢٠ ألفًا من أثيوبيا إلى إسرائيل (*).

ولبناء مثل هذا المجتمع المتعدد القوميات والأصول والأجناس وصهره فى بوتقة واحدة كان التركيز على أمرين : الجيش واللغة العبرية ، ولقد نجح الجيش بصورة مذهلة ليس بسبب قوته وتفوقه لكن بسببه ظروف الدول العربية التى كانت تقدم سياسة أقل ذكاء وقدرة على إدارة الأزمة ، مما

(*) تقارير الأمم المتحدة . لجنة حقوق الإنسان . نيويورك ١٩٨٥ .

ضخم من حجمه ودعايته ليكون أحد مقومات الشخصية الصهيونية واستطاع أن يغير رؤية العالم للدولة الصهيونية ، أما اللغة العبرية فقد أصبحت علامة للشخصية الصهيونية لأنه حتى نهاية القرن التاسع عشر لم يكن هنالك واحد فى العالم يتحدث العبرية كاللغة الأم بالنسبة له ، فاللغة العبرية كانت قد اختلطت باللغة الارامية منذ القرن الأول الميلادى ولم تستخدم العبرية المطلقة سوى فى العبادة ، ولكن عندما اجتمع علماء اليهود فى أورشليم فى بداية القرن العشرين وجدوا أنهم يستطيعون التفاهم معًا بالعبرية رغم اختلاف اللهجات ، ولاشك أن يهود فلسطين كان أسهل عليهم التحدث بالالمانية أو الإنجليزية وكانت لغات رسمية فى فلسطين ، ولكن مع تعميم استخدام اللغة العبرية فى العمل والسكن والمطاعم والنور والتدفئة والسفر والحياة اليومية استمدت اللغة العبرية قوتها . ولقد ساعد على هذا اعتبار حكومة الانتداب الإنجليزية عام ١٩١٩ أن اللغة العبرية لغة رسمية فى فلسطين لتتساوى مع الإنجليزيةوالعربية .

ولقد حدث شىء آخر ملفت للنظر ، فقد بدأ اليهود الذين يتحدثون العبرية يغيرون أسماءهم إلى أسماء عبرية ، فمثلاً دافيد جرين تحول إلى دافيد بن جوريون ، وشيرى توك تحول إلى موش شاريت وابستن تحول إلى الياهو اليعازر وشكولنك تحول إلى ليفى أشكول ، ولقد أعدت لستة بالأسماء العبرية بواسطة لجنة معينة مع قواعد تغيير الأسماء ، وبقدر ماكانت اللغة العبرية لربط اليهود معًا بقدر ما منعت مشاكل كثيرة كان يمكن أن تثار بسبب اختلاف القوميات واللغات .

وبينما كان وايزمان أول رئيس لدولة إسرائيل يمثل اليهود المتأمركين ، والذين يرفضون السياسة الصهيونية فى تغيير الأسماء ، ويعتبر إسرائيل

ولاية أمريكية ، كان بن جويون الذى خلفه بعد تقاعده يرى نفسه يهودى شرق أوسطى يضع فى « الصابرا » المولودين فى إسرائيل وقد حاول تغيير إسرائيل من مستعمرة أوروبية إلى دولة أسيوية ، وقال عنها فى نهاية حياته عام ١٩٦٩ أنها ليست بعد أمة ، إنها شعب مازال مسبيًا يعيش فى الصحراء يشتاق إلى قدور اللحم فى مصر ولا يمكن أن تعتبر إسرائيل أمة إلا بعد ملء النجف والجليل باليهود ، وهجرة ملايين اليهود من أطراف الأرض إليها ، وسيادة أخلاق وقوانين صهيون ، إنه شعب مازال فى القيود ينتظر من يحرره من السبى » ولقد كانت وما تزال مشكلة إسرائيل هى الصراع بين الدين والدولة فدولة صهيون علمانية وإن قامت على أساس دينى يلهب الشعور بشعارات أرض الموعد ، والعهد ، ورغم اختلاف برامج الأحزاب إلاأنها اتفقت على العلمانية كأساس للدولة ، ولذلك حاولت كل حكومة التوفيق بين الفكرة الدينية وبين التوجه العلمانى للدولة والأخطر من هذا كان الصراع بين علمانية الدولة والعقيدة اليهودية فى ذاتها ، وهى نفس المشكلة التى عاشها اليهود فى الشتات بين تطبيق الشريعة اليهودية فى مجتمعاتهم وبين تطبيق قانون الدولة التى يعيشون فيها ، وكان السؤال المثار دائمًا ، لماذا يطبق اليهودى قانون الأممى (غيراليهودى) ؟ .

ولقد حدثت هذه المشكلة فى التاريخ الإسرائيلى قبل عام ١٠٠٠ ق.م فى أيام صموئيل نبى إسرائيل ، فى ذلك الوقت كان اليهود يخافون الكنعانيين المحيطين بهم إذ كانوا أقوى منهم وأكثر تقدمًا ، وطالبوا النبى[1] أن تكون لهم حكومة مدنية علمانية ، أى يحكمهم ملك بقانون مدنى وليس نبى

(١) سفر صموئيل الأول .

بالحق الإلهى ، ولقد قبل صموئيل هذا التغيير وهو أسف لما يحدث ، لأنه كان يرى أن قيام دولة هو عمل مضاد للشريعة ، لكنه فى النهاية أقر الأمر وأزيح الناموس (الشريعة) إلى جانب وجاء الملك شاول ، كأول رئيس لحكومة مدنية لشعب إسرائيل فداود فسليمان .. إلخ ، وجاء غضب الله بالسبى ثم تدمير المملكة ، ثم أقيمت المملكة ثانية على يد المكابيين عام ١٦٦ ق.م ثم دمرت أورشليم وأخربت عام ٧٠ م ، وخرج اليهود إلى الشتات ، وأصبحت عودة اليهود من الشتات تتوقف على عمل مادى مباشر من الله يتدخل فيه بنفسه فى التاريخ دون استخدام بشر مهما كانوا ، فالخلاص سيتم من الله مباشرة . أما دولة صهيون فهى ببساطة شاول جديد أى ملك جديد ودولة جديدة وهذا معناه أن الخلاص يأتى عن طريق الدولة وليس عن طريق الله ، وهو نفس السبب الذى أغضب الله من قبل ، وهنا تتحول الدولة إلى المسيا ، أو تأخذ مكان ودور المسيا للخلاص وهذا ليس مجرد خطأ بل هو تجديف على الله . وكما حذر أحد علماء اليهود بالقول بأن دولة صهيون تقدم مسيا مزيف جديد ، ففكرة الصهيونية شىء ونموذج المسيا مختلف ولن يتقابلا البتة .

والحقيقة الواضحة اليوم أن الصهيونية العلمانية والتى غالبًا ، ترفض الدين بل وتقف ضده تستخدم هذا الدين المرفوض منها لا تملك أى مبرر لوجودها بدونه فالصهيونية بدون شعارات أرض الموعد والشعب المختار والعهد المقدس لا شىء بل هى مجرد دولة تحتل أرض الغير بالقوة ، ولقد اخترقت الصهيونية التوراة بكل جراءة وحاول قادتها أن يخرجوا منها كل أنواع الأخلاقيات السياسية التى يمارسونها والنماذج التى يقدمونها للشباب ، ولقد استخدم بن جوريون هذه السياسة لرفع معنويات الجيش

فبالنسبة للصهيونية لا تعتبر التوراة سوى مصدر للتشجيع القومى ، والثقافة القومية ، فالتوراة ما هو إلا كتاب دولة ، وهذا يفسر لنا لماذا رفض المتدينون قيام دولة إسرائيل ونظروا إليها بكل شك وارتياب وكراهية ، لكن كما وافق صموئيل قبل ثلاثة آلاف عام على وجود ملك ودولة وافق المتدينون اليوم على الدولة الصهيونية وأخذوا منها موقفًا معارضًا . فلم يكن لليهود المصلحين أى دور فى استيطان اليهود ، ولم يبن أى مجمع لليهود المصلحين فى أورشليم قبل عام ١٩٥٨ أما اليهود الأرثوذكس فقد آمنوا أن الدولة الصهيونية مجرد خطوة أولى للعودة إلى اليهودية الأصيلة بعد ذلك وإلغاء الدولة . وقد سأل أحد الربيين فى مؤتمر ضخم لعلماء اليهود عقد عام١٩٣٧ سؤالاً فى غاية الأهمية : هل كان إعلان بلفور من الله لبناء دولة إسرائيل أو أنه كان من إبليس لهدم الشريعة الموسوية الأصلية ؟ وبعد دراسة مطولة وصل المؤتمر إلى مايلى :

إن خلق دولة إسرائيل اليوم ليس عودة لدخول اليهود إلى التاريخ المقدس ، فليست هى الدولة الثالثة بعد دولة داود ويهوذا المكابى ولكن ما هى إلا بداية لسبى جديد أكثر خطورة من السبى السابق لأنها تغرى بنجاح الشر . والذين اقتنعوا بهذا الفكر سموا أنفسهم الحراس ورفضوا الخلاص القادم من الدولة الصهيونية وكتبوا فى وثيقة مايلى :

« نحن لا نقبل أى نوع من الكراهية أو البغض أو الحرب من أى نوع ضد أى شعب أو أمه أو لسان ، فحيث أن التوراة المقدسة لم توحى لنا بهذا ، وكل خطيتنا أننا شاركنا فى هذه الدولة (ضد الله) وكل ما نستطيع أن نفعله هو الصلاة للإله القدوس أن يباركنا ويخلصنا من هذه الدولة[١] ولقد رأى

(١) سفر صموئيل الأول .

هؤلاء الحراس أنفسهم كالبقية التى لم تحن ركبة للبعل (الصنم) كما حدث فى أيام إيليا النبى عندما كان آخاب[١] وايزابل يحكمان إسرائيل ويفرضان عبادة البعل على اليهود إلا أنه كان هنالك سبعة آلاف شخص رفضوا السجود للبعل والأكل على مائدة إيزابل ، فالصهيونية هى عمل ضد ملك الملوك ، وفى فكرهم اللاهوتى أن دولة إسرائيل سوف تنتهى عن طريق كارثة أسوأ بكثير من كارثة الهولوكست .

وهكذا واجهت الدولة العلمانية اضطرابات متعددة سواء من داخل الدائرة الصهيونية أو من خارجها ، ولقد أخذ الاعتراض أشكالاً عدة من الاعتراض الطفولى إلى العنف ، بدءًا من لصق طوابع بريد مقلوبة على الخطابات وشطب كلمة إسرائيل من على العنوان إلى مقاطعة الانتخابات والقيام بمظاهرات عنيفة .

وفى الأربع حكومات الأولى لإسرائيل أثير ليس أقل من خمس قضايا كان لها ردود فعل عنيفة :

١ ـ فى عام ١٩٤٩ أثيرت قضية استيراد الأطعمة النجسة .

٢ ـ فى عام ١٩٥٠ أثيرت قضية التعليم الدينى .

٣ ـ فى أكتوبر ١٩٥١ وسبتمبر ١٩٥٢ أثيرت قضية خدمة النساء فى الدولة .

٤ ـ وفى عام ١٩٥٣ أثيرت قضية ضد المدارس . فتحت الانتداب كان هنالك أربعة أنواع من المدارس : المدارس العلمانية (الصهيونية) ، مدارس الهستادروت (علمانية دينية مختلطة) ، المذراحى (علمانية تعلم

(١) سفر الملوك الأول ١٩ ـ ١٨ .

التوراة) ، أجوداث (تعلم التوراة فقط) ، وفى عام ١٩٥٣ أصبحوا اثنين. مدارس حكومية علمانية وأخرى حكومية دينية وانسحبت أجوداث من النظام الرسمى للتعليم ، وبرروا هذا بأن المدارس العلمانية تنحرف بعقول الأبناء وتعلمهم أن الصلاة غير ضرورية وكذلك تعرضهم للجنس فى المدارس المختلطة .

- أهمية يهود الشتات لدولة إسرائيل :

لقد كان لزيادة عدد وقوة اليهود فى أمريكا فى نهاية القرن التاسع عشر والقرن العشرين أهمية فى التاريخ اليهودى توازى أهمية خلق دولة إسرائيل ذاتها وربما أكثر ، فإن كان تحقيق دولة صهيون قد فتح الباب لعودة اليهود من كل بقاع الأرض إلى إسرائيل ، فإن نمو يهود الولايات المتحدة كان هو عامل القوة لتشكيل هذه الدولة ، ففى نهاية عام ١٩٧٠ كان عدد اليهود فى أمريكا ٥,٧٨٠,٩٦٠ أى حوالى ٢,٧٪ من تعداد السكان ولكن تجمعهم كان مركزًا فى أماكن حساسة وفى المدن الكبرى على وجه الخصوص حيث يكون تأثيرهم الثقافى والاجتماعى والاقتصادى والسياسى أكبر كثيرًا من المدن الصغرى والقرى ، وحتى قرب نهاية القرن العشرين مازال اليهود يسكنون المدن الكبرى ، ففى تل أبيب ٣٤٩ ألفًا وفى يافا ٣٠٠ ألف وفى باريس ٢٨٥ ألفًا وفى موسكو ٢٨٠ ألفًا وفى لندن ٢٧٢ ألفًا وفى أورشليم ٢١٠ ألفًا وفى ليننجراد ١٦٥ ألفًا وفى مونتريال ١١٥ ألفًا ومثلهم فى تورنتو لكن الكثافة العظمى لهم كانت فى الولايـات المتحدة الأمريكية ففى نيويورك ٢مليون ١٤٣,١٨٥ ألفًا وهو أكبر تجمع يهودى فى العالم ، وثانى تجمع لوس أنجلوس ٤٥٥ ألفًا وبعد ذلك فيلادلفيا ٢٩٥ ألفًا وشيكاغو ٢٥٣ ألفًا

وميامى ٢٢٥ ألفًا وبوسطن ١٧٠ ألفًا وتوجد ٦٩ مدينة أمريكية بها يهود أكثر من ١٠ آلاف يتركزون فى المدن : وهم بهذا يشكلون ١٢٪ من سكان نيويورك ، ٦٪ من سكان نيوجرسى ، ٤,٦٪ من سكان فلوريدا ، ٤,٥٪ من سكان ميريلاند ، ٣,٦٪ من سكان بنسلفانيا ، ٣,١٪ من سكان كاليفورنيا ، ٢,٤٪ من سكان الينوى . وفى كل التجمعات الإنتاجية الأمريكية يكون التجمع اليهودى دائمًا هو الأفضل تنظيمًا والأكثر التزامًا بما يختاره قادتهم وبالتالى يكون الأكثر تأثيرًا .

ولم تكن المسألة أبدًا مسألة نسبة وتعداد فهناك جاليات أجنبية كثيرة تعدادها يفوق تعداد اليهود فى أمريكا لكن ليس لها نفس التأثير ، فالشىء الملفت للنظر أن الأقلية اليهودية تحولت إلى جزء من المجتمع الأمريكى ، فقد انتهزوا كل الفرص المتاحة لهم فى المجتمع الأمريكى إلى أقصى حد ، كالانتساب للجامعات ليصبحوا أطباء ومحامين ومدرسين وموظفى حكومة، كما برعوا فى الأعمال الحرة وإدارة الأعمال كما هى عادتهم دائمًا ، كما صار لهم باع فى الطباعة والنشر والاذاعة والتليفزيون ولقد تحول اليهود إلى لوبى ، وأصبحوا جزءًا من النظام نفسه وأثروا ليس فقط داخل المجتمع الأمريكى بل خارجه أيضًا .

وباختصار شديد لم يعد اليهود فى أمريكا أقلية تطالب بحقوقها كما هو حال الأقليات فى كثير من الدول ، لكنهم أصبحوا جزءًا من نسيج الأغلبية فى المجتمع ، ومن ثم صار من الصعب أن تفرق بين اليهودى والأمريكى فى الحضارة الأمريكية .

ولقد وصل اليهود إلى مكانة فريدة فى أمريكا ليس بحجمهم لكن بشخصيتهم.

أما فى روسيا فقد كان الموقف مختلفًا ، فقد عومل اليهود كما فى العصور الوسطى ، فقد كان ستالين يكرههم ويضطهدهم وقد منعهم من الخروج ، وفى عهد خروشوف اتهم اليهود بالجاسوسية والخيانة وأغلق الكثيرمن مجامع اليهود واستمر منعهم من الهجرة ، وفى عام ١٩٧١ فتح بريجينيف باب الهجرة فخرج ٢٥٠ ألف يهودى ، ولكنه كان أيضًا يحاكمهم وكان استخراج تصاريح الخروج من الصعب بمكان وبمجىء عام ١٩٨٠ أصبح من الصعب خروج يهود روسيا . ولقد نما الشعور ضد الصهيونية فى روسيا من عام ١٩٥٠ وكان التركيز فى التفرقة بين الصهيونية واليهودية ، وكانت الصحف الرسمية وغير الرسمية ترفض بشدة قيام دولة صهيونية فى إسرائيل ، وبعدحرب ١٩٦٧ زادت كراهية الروس لليهود ، وفى العشرين عاما التى أعقبت حرب الأيام الستة أصبحت الدعاية السوفيتية هى مصدر الهجوم على إسرائيل ، وقد قدمت تحليلات عن أن قادة إسرائيل يسيرون على خط بروتوكول حكماء صهيون وفى عام ١٩٦٨ ظهر كتاب يتحدث عن الصهيونية واليهودية وعن فكرة اختيار الله لشعب إسرائيل المسيا وحكم إسرائيل للعالم .

ولقد كان حجر الزاوية فى دعاية السوفيت ضد الصهيونية عام ١٩٧٠ عندما اتهمت الصهيونية بأنها النسل البديل للنازية ، وقد أثبتوا أن الهولوكست (أفران الغاز) كانت فكرة يهودية للتخلص من فقراء اليهود وقد أخذها هتلر لابادة اليهود الذين لا يمكن استخدامهم فى بناء الدولة الصهيونية ، ولقد ساعد أغنياء اليهود الجستابو لقتل فقراء اليهود ، ولقد استخدم هذا التعاون النازى اليهودى كاتهام بواسطة الدعاية السوفيتية ضد حكومة إسرائيل خاصة أثناء عمليات لبنان عام ١٩٨٢ ولقد كتب فى

جريدة برافدا فى يناير ١٩٨٤ « فإذا كان الصهيونيون قد أحسوا بالسعادة وهم ينضمون إلى هتلر فى ذبح شعبهم فليس من الغريب أن يقوموا الآن بذبح العرب اللبنانيين والذين يعتبروهم أقل آدمية » . ولقد كان هنالك فرقًا بين الدعاية السوفيتية المستخدمة ضد الصهيونية ونفس المادة المستخدمة فى العالم العربى ، والفارق كان فى الشكل أكثر من المضمون ، فقد كان العرب أقل فطنة فى استخدام الكلمات الفنية ، فقد كان الروس يستخدمون مصطلح الصهاينة بينما يستخدم العرب كلمة اليهود ، وبينما كان الروس يأخذون أجزاء من بروتوكول حكماء صهيون دون الإشارة إليها مباشرة ، قام العرب بطبع هذا الملف العقائدى وتبادلوه بشكل عام فى العالم العربى ، وقد قرئ بواسطة قادة عرب كثيرين مثل الملك فيصل ملك السعودية والرئيس عبدالناصر رئيس مصر ولقد قال عبد الناصر رئيس مصر لصحفى هندى عام ١٩٥٧ « إن من الضرورى جدًا أن تقرأه وسوف أعطيك منه نسخة فهو يؤكد بدون شك أنه يوجد ٣٠٠ صهيونى كل واحد منهم يعرف الآخر يحكمون أوروبا ويختارون سلفاءهم [١].

ولقد طبعت كل هذه المطبوعات لاجل القراء العرب ، ولم يكن البروتوكول وحده هو الذى له هذه الشهرة الضخمة فقد كانت هنالك مطبوعات أخرى ، لكن ظل البروتوكول أفضلهم ليس فقط فى العالم العربى بل فى العالم الإسلامى أيضًا ، فقد طبع فى باكستان عام ١٩٦٧ .

واستخدم بصورة مكثفة فى إيران أثناء حكم الخومينى .

ولقد زادت هذه المطبوعات وملأت العالم بعد حرب ١٩٦٧ وزيادة

Colin Chapman - Whose Promised land ? (Sydny 1983). (١)

أسعار البترول ثم حرب ٦ أكتوبر . وفى عام ١٩٦٨ ولدت منظمة التحرير الفلسطينية وقد رحب بها العرب ورفضتها إسرائيل بقوة بدأت المنظمة بسياسة خانها التوفيق إذ وجهت ضرباتها للمدنيين فقامت بخطف طائرة العال الإسرائيلية المدنية فى ٢٧ يونيو ١٩٧٦ وأرغمت على النزول فى أوغندا والتى كان رئيسها فى ذلك الوقت عيدى أمين ، وفصلوا الركاب اليهود من غيرهم تمهيدًا لقتلهم ، وقد قامت فرقة يهودية خاصة بانقاذ الطائرة وعادت بها إلى إسرائيل ولم يقتل منها سوى إمرأة عجوز بواسطة جنود عيدى أمين، ولقد أكدت هذه العملية قدرة الدولة الصهيونية على حماية اليهود وهم على بعد آلاف الأميال منها ، وأكدت أيضًا فشل سياسة ضرب المدنيين واحتجازهم ، ولقد تتبعت إسرائيل منظمة التحرير بضربات مباشرة وقاصمة كان أقواها فى لبنان حيث هاجمت إسرائيل الفلسطينيين هناك حيث استقروا لمدة ١٢ سنة من عام ٧٠ ـ ١٩٨٢ وطردتهم إلى تونس ، ولقد وقعت مذابح صابرا وشاتيلا بالتخطيط تحت حراسة الجيش الإسرائيلى حيث ظهر وجه الفتنة الطائفية بأبشع صورة .

وظنت إسرائيل أنها قد قضت على المقاومة إلى الأبد إلا أنه فى ديسمبر ١٩٨٧ استيقظ العالم على ثورة مدنية عربية من داخل إسرائيل أطلق عليها « الانتفاضة » ولقد خرج الأطفال والشباب إلى الشوارع يلقون الحجارة على الجنود الإسرائيليين ، ثم كانت الدعوى للعصيان المدنى والاضراب ، ورغم أعداد القتلى الضخم من الشعب الفلسطينى إلا أنهم رفضوا إيقافها حتى تتحقق مطالبهم .

وبعد عام تقريبًا من الانتفاضة وفى نوفمبر ١٩٨٨ أعلن الجزائر قيام الحكومة الفلسطينية برئاسة ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير

الفلسطينية ولقد وضح من قيام الدولة أمران : الأول هو نبذ الإرهاب ورفضه والثانى الاستعداد للاعتراف المتبادل مع إسرائيل ، ولقد كان رد فعل إسرائيل فى أبريل ١٩٨٩ باقتراح انتخابات ديموقراطية حرة فى الضفة الغربية وغزة ، والتى تقود بعد ذلك إلى نوع من الحكم الذاتى ، ولقد دعا الفلسطينيون فى نفس الوقت إلى مؤتمر دولى للسلام تحت مظلة الأمم المتحدة على أساس أن الأمم المتحدة سوف تضمن أمن إسرائيل وأمن دولة فلسطين .

وفى هذه الأثناء بدأت دولة إسرائيل تتطلع إلى يهود روسيا حيث يوجد أكبر تجمع يهودى بعد أمريكا ، وخاصة بعد اعتلاء جورباتشوف للسلطة وإعلانه لسياسة المصارحة وإعادة البناء الجلاسنسوت والبروسترويكا ، واستطاعت إسرائيل تحت دعاوى حقوق الإنسان أن تفتح باب الهجرة لليهود الروس ، ويقدر عددهم بأكثر من ٢ مليون روسى ليعودوا فى أعداد ضخمة لتوطينهم فى إسرائيل .

ورغم هذه الصورة الداكنة إلا أنه أتيحت فرصة أخيرة للحوار مع إسرائيل لتأسيس دولة فلسطينية معترف بها ، حيث اجتمعت بين يدى العرب فى نهاية الثمانينيات مصادر جادة للضغط وبدأ الميزان الدولى يميل نحوهم ، وكما تحققت معاهدة السلام فى السبعينيات نتيجة لحرب أكتوبر ، وزيادة أسعار البترول كذلك فى نهاية الثمانينيات كان يمكن أن يحدث نفس الشىء إذ وقعت الانتفاضة والتى كانت مفاجأة حتى لإسرائيل إذ أعطت مؤشرًا خطيرًا على وجود شعب حى يقوم لاجل الاستقلال ، وقد تجاوب العالم كله مع الانتفاضة فضلاً عن أن هذه الانتفاضة قد سببت شرخًا فى جدار الأمن الإسرائيلى ثم كان إنتصار العراق فى حربه مع إيران ، مما أوضح

أن حرب أكتوبر ليست هى آخر الحروب ، فهناك جيش عربى عصرى ومنظم قادر على أن يشن حربًا على إسرائيل ، وأن العرب مازال لديهم القدرة على الانتصار كما كان فى السبعينيات . وأما العامل الثالث فقد كان زيادة أسعار البترول ثانية مما أدى إلى أن يقف العرب كقوة ضغط اقتصادى عالمى ، هذا فضلاً عن نموذج مصر فى معاهدتها مع إسرائيل ، ودخولها كوسيط يحترمه الطرفان ويقدر دوره الدبلوماسى ، وبدأ العالم يستمع إلى وجهة النظر العربية ويتوقع حلاً للقضية ويضغط على إسرائيل للجلوس مع العرب على مائدة المفاوضات ، وبدا واضحًا أنه لو جلست إسرائيل على مائدة المفاوضات فسوف تتخلى عن الضفة الغربية ، وبينما العالم يتأهب لمثل هذه الأحداث إقتحم الجيش العراقى الكويت فى ٢ أغسطس عام ١٩٩٠ ، وهكذا وبضربة واحدة تحول الجيش الذى كان عامل ضغط على إسرائيل إلى عامل مساعد لها لتوطيد وجودها فى الضفة الغربية ، وكانت الكارثة عندما أيد ياسر عرفات رئيس دولة فلسطين هذا الغزو ففقد أهم مبدأ يستند عليه لتحرير فلسطين أمام العالم ، وانقسم العالم العربى إلى أكثر من قسمين ، وسقطت الانتفاضة فى بئر عميقة بسبب موقف عرفات ، وسقط انتصار العراق على إيران بانسحابه منها وسقط سلاح البترول بتواجد الجيش الأمريكى عند منابعه فى الخليج حيث جاء بناء على طلب السعودية لحمايتها من العراق ، وهكذا دفنت القضية الفلسطينية إلى زمن غير معلوم وشعر اليهود بحرية استيطان اليهود الروس فى الضفة الغربية وبدا وكأن العرب يعملون لصالح إسرائيل كما كان فى الماضى وأسقطت سنوات الصحوة .

بعد هذا العرض المطول لتاريخ إسرائيل بقى علينا أن نسأل ثلاثة أسئلة: كم من الزمن عاش اليهود فى فلسطين ؟ وكم من الزمن عاش العرب فيها ؟

وإلى أى تاريخ يجب أن نرجع لكى نعتمد عليه فى تقييمنا للأمور ولنقول من هو أحق بالأرض .

أولاً: كم من الزمن عاش اليهود فى فلسطين ؟

لقد دخل اليهود إلى فلسطين عام ٢٠٠٠ ق.م تقريبًا ولكنهم لم يكن لهم مكان مستقل بهم قبل احتلالهم لبعض التلال فى أعوام ١٢٨٠ ـ ١٠١١ ، ثم بعد ذلك استقلوا بكل فلسطين وحكموها من عام ١٠١١ إلى عام ٩٣١ ق.م ، ثم انقسمت المملكة إلى دولتين بملكين من عام ٩٣١ إلى عام ٧٢١ ق.م مملكة كبرى فى السامرة ومملكة صغرى فى اليهودية عاصمتها أورشليم من عام ٧٢١ ـ ٥٨٧ ق.م ثم وقعوا تحت السبى الاشورى والبابلى واستقل اليهود ثانية عام ١٦٦ إلى عام ٣٧ ق.م على يد المكابيين حتى جاء الاحتلال الرومانى ثم خربت أورشليم نهائيًا بواسطة الرومان عام ١٣٥ م، وبعد الخراب بقى بعض اليهود يعيشون فى الجليل ، ولقد ظل الحال على ما هو عليه لقرون طويلة ، حيث هاجر من الجليل بعض اليهود إلى كل العالم وخاصة أوروبا ، ويهود فلسطين كانوا يتلقون إعانات من يهود العالم ، ولقد أرسى اليهود مطالبتهم لأرض فلسطين ، ليس فقط لأن اليهود عاشوا فيها وحكموها فى فترات معينة لكن أيضًا لأنه كانت هنالك دائمًا جماعات يهودية فى كل الفترات الزمنية تعيش فى فلسطين .

والآن نأتى إلى السؤال الثانى : كم من الزمن عاش العرب فى فلسطين ؟

عندما جاء العرب إلى فلسطين فى القرن السابع الميلادى وجعلوها جزءًا من الأمة الإسلامية كانت هنالك قبائل عربية تعيش فى فلسطين بجوار اليهود والكنعانيين والفينيقيين من آلاف السنين وكل هذه الأجناس حدث بينهم الزواج المختلط ، وبدخول العرب قبلت كل هذه الجنسيات اللغة

العربية والتى وحدت بينهم ومعظمهم قَبل الإسلام وأصبحت الأغلبية الساحقة منذ ذلك الوقت عربية مسلمة ، ولقد دخل فى هذه التركيبة بعض الجنسيات التى جاءت بعد الإسلام مثل الصليبيين والأتراك ، وصاروا جزءًا من فلسطين .

والسؤال الثالث هو : ما هو التاريخ الذى يجب أن نرجع إليه لنقيّم من هو صاحب الحق ؟

كيف قسمت الأرض بين اليهود وباقى الشعوب عام ١٠٠٠ ق.م ، ١٣٥م ، ١٨٨٠م ، ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ م ، ١٩٦٧ ؟ هل نعود إلى عام ١٠٠٠ق.م والمملكة المتحدة قبل الانقسام فى عهد شاول وداود وسليمان ؟ أو نعود إلى عام ١٣٥ م عندما طرد اليهود من أورشليم أو نعود إلى عام ١٨٨٠ م عندما كان اليهود ٥٪ من مجموع السكان يمتلكون ٢٪ من مجموع الأرض وفى ذلك الوقت كان العرب ٩٥٪ يمتلكون ٩٨٪ من الأرض .

أو نعود لعام ١٩٤٧ ومشروع تقسيم الأمم المتحدة عندما كان اليهود ٣١٪ من السكان ويمتلكون ٦٪ من الأرض وقد أعطت الأمم المتحدة لهم ٥٢٪ من الأرض فى الوقت الذى كان العرب فيه ٦٩٪ من السكان ويمتلكون ٩٤٪ من الأرض فأعطتهم الأمم المتحدة ٤٨٪ فقط ؟ أو نعود لعام ١٩٤٨ ، عندما احتل اليهود ٢٥٪ أكثر من الأرض كنتيجة للحرب وبهذا صار لهم ٧٧٪ من أرض فلسطين ؟

أو نعود لعام ١٩٦٧ عندما احتلت إسرائيل سيناء والضفة الغربية وقطاع غزة والجولان ؟ رغم قرارات الأمم المتحدة بالانسحاب منها . ولقد انسحبت إسرائيل من سيناء بناء عل معاهدة السلام مع مصر عام ١٩٧٨.

ترى إلى أى تاريخ من هذا نعود لنثبت من له الحق فى فلسطين ؟

إن التاريخ على مدى ألفى عام يثبت أن اليهود لم يكن لهم الحق فى الأرض فى أى حقبة زمنية كانت ، بل ولم تكن لهم الأغلبية السكانية ولا القوة المادية ، ولم يحدث هذا إلا بعد عام ١٩٤٨ وبقوى خارجية ، أما العودة إلى ما قبل الميلاد فى الحقوق التاريخية للدول فسوف يعنى فوضى ضاربة لكل بلاد العالم وحدودها . وبعد ذلك تتحدث إسرائيل عن الحقوق التاريخية ! .

الباب الثانى

إسرائيل الله عقائديًا

الفصل الأول

المؤتمر المسيحى الصهيونى

فى عام ١٩٨٨ وفى شهر أبريل عقد مؤتمرله طابع خاص فى إسرائيل تحت عنوان المؤتمر المسيحى الصهيونى الدولى [١] ، وكانت الجلسة الافتتاحية للمؤتمر مساء ١٠ أبريل ، حيث قام اسحق شامير رئيس الوزراء الاسرائيلى بإلقاء كلمة الافتتاح ، وفى كلمته التى اتسمت بالعاطفة والحماسة، أكد شامير وبكل وضوح استمراره فى تثبيت أركان الدولة الصهيونية ، ومقاومة الفلسطينيين بكل الوسائل ، وفى نهاية كلمته وقف كل المستمعين لتحيته ، وذلك حينما دعاهم لأن يدعوا كل مسيحيى العالم لتعضيد دولة إسرائيل . وإن كان من الصعب على أى متدين أن يقبل فكرة إن أمن إسرائيل يحتاج إلى هضم حقوق الانسان الفلسطينى واضطهاده ، فكم هو مخجل أن يقوم آلاف المسيحيين المتدينين بتشجيع إسرائيل فى هذا الاتجاه . ولقد بنى المؤتمر دعوته لتعضيد إسرائيل على فكرتين رئيسيتين ، هما « علاقة إسرائيل الخاصة بالله كشعب ، والثانية أن عودة اليهود إلى فلسطين وتأسيس الدولة حسب فكرهم يعجّل بالمجىء الثانى للمسيح ،

---

(١) تقارير مجلس كنائس الشرق الأوسط . قبرص ١٩٨٨ .

والذى أحد شروط مجيئه تأسيس دولة إسرائيل ليَحْكُم من أورشليم العالم ولمدة ألف عام . وإن كان شعب إسرائيل أول الشعوب التى عرفت الله الواحد، كشعب وليس كأفراد وأقامت علاقة خاصة به ، إلاأن الهدف من هذه العلاقة لم يكن لتميزها عن باقى الشعوب ، لكن لتخدم العالم وتصبح نورًا للأمم ، إذ أن إعلان الله الواحد لهم ، لم يكن الهدف منه عنصريًّا بل وظيفيًّا ، أى أن الله لم يبن علاقة بهم لأنهم أفضل من الشعوب الأخرى ، ولكن إختارهم لعمل معين هو إعلان الله الواحد لباقى الشعوب ، وقد انتهى هذا العمل بمجرد معرفة باقى الشعوب لله الواحد ، وأصبح معظم شعوب اليوم على علاقة مميزة بالله، ولم تعد معرفة الله قاصرة على شعب معين ، وبالتالى فإثارة هذه الفكرة اليوم ، يدخل تحت بند العنصرية القبيحة ، ولقد شُرِّحت فكرة علاقة إسرائيل الخاصة مع الله فى عدة محاضرات بالمؤتمر قدمها مالكولم هيدنج Malcolm Heding وجون وليم فان دى هوفن John William .

ثم تبع ذلك محاضرات عن المُلْك الالفى[(١)]* للمسيح الذى سيأتى ثانية ويملك حرفيًّا مع اليهود لمدة ألف عام ، وقد قدم هذه المحاضرات س.أ.سكوفيلد S.I.Scofield وبعد دراسة الموضوعين بوجه عام وأكاديمى تحركوا بخبث شديد نحو خلق حركة عالمية لتعضيد دولة إسرائيل الحالية .

ولقد قدم الكلمة الرئيسية لهذا المؤتمر جون وليم John William،وبدأها بالقول « إذكروا أنكم أنتم الأمم [(٢)]* قبلا فى الجسد .. أنكم كنتم فى ذلك الوقت بدون مسيح أجنبيين عن رعوية إسرائيل وغرباء عن عهود الموعد

(١) * انظر باب المصطلحات تحت رقم (١) .

(٢) * انظر باب المصطلحات تحت رقم (٢) .

لارجاء لكم وبلا إله فى العالم» ، « أما اليوم فقد أصبحتم إسرائيل الله » ، ولقد أوضح فى خطابه أنه بخراب أورشليم عام ٧٠ م إتجه الله إلى الأمم (كل الشعوب غير يهودية) ليقيم علاقة معها ، وبعد أن انتهى **زمن الأمم الآن** ، عاد الله مرة ثانية ليلتفت إلى إسرائيل ، **وعلامة انتهاء زمن الأمم التى** استشهد بها ، هى عودة اليهود إلى فلسطين وتأسيس دولة إسرائيل ، ولذلك فمستقبل المسيحيين فى العالم يتحدد بتعضيد إسرائيل ماديًا ، لتثبت وجودها ، وتُحَقق إرادة الله بمنتهى الأمان ، ويعود المسيح ثانية ، وبناءً على كل ما سبق دعا المتحدث كل الحاضرين أن يقدموا ما لديهم لإسرائيل . وإذا فرضنا جدلاً أن هذا الكلام صحيح وأنه لا تزال لإسرائيل علاقة خاصة بالله ، فلابد أن تحكم هذه العلاقة بناموس موسى وكتب الأنبياء اليهود . والسؤال الآن ما هو رأى الناموس والأنبياء فى طرد الفلسطينيين بالعنف ؟ فى قتلهم وتشريدهم دون محاكمة ؟ ألا يرتفع صوت أنبياء الله ضد الظلم كما ارتفع من قبل على طول التاريخ ؟ أم أن صوت أنبياء إسرائيل قد صمت أمام جبروت الدولة الإسرائيلية العلمانية اليوم ؟

أما فكرة حُكم المسيح للعالم حكمًا حرفيًا لألف عام من أورشليم فهى فكرة لا سند حقيقى لها من الكتاب المقدس ، وكل ما يعتمدون عليه فيها بعض الآيات التى تُفَسّر بطريقة خاطئة ومغرضة ، فى نفس الوقت الذى تعتبر فيه هذه الفكرة غير حضارية لأنها تتسم بالعنصرية ، ولا تتفق مع رسالة المسيح واتجاهه العام ، وهو ما سنوضحه فى الفصلين الرابع والخامس .

وفى نهاية المؤتمر ناقش المجتمعون[(١)] علاقة إسرائيل بوسائل الأعلام.

(١) تقارير مجلس كنائس الشرق الأوسط : قبرص ١٩٨٨ .

وفيه ارتفعت أصوات بأن الإعلام العالمى لا يهتم كثيرًا باسرائيل حيث يعيش اليهود فى رعب من الفلسطينيين ، ولقد كان هذا مثيرًا للسخرية ، لأن إسرائيل تشكو من عدم الاهتمام بقتل إسرائيلى وفى المقابل يُقْتَل مئات الفلسطينيين ويُسْجَن الآلاف دون محاكمة .

والأمر الأكثر إزعاجًا هو ما قاله فان در هوفن Hofen وهو يتحدث عن « ملُ الأمم » أو إنتهاء زمن الأمم وعودة الله لاسرائيل ، إذ قال « إن الكنيسة التى لا تتبع هذا الطريق (تأييد إسرائيل) سوف تنتهى مثل الدخان[1] وهكذا أَدْخَل إلى دنيوية الله للبشر عنصرًا جديدًا هو الولاء لإسرائيل ، فالذى يرفض دولة إسرائيل سوف يدان من الله ، كلمات كثيرة ألقيت وصنعت خلطًا كثيرًا عند المسيحيين حول العالم ،بل وعند غير المسيحيين وهم يفكرون بالمسيحية .

ولقد أصدرت « هيئة السفارة المسيحية »[2]* فى أورشليم والمُنَظِمة لهذا المؤتمر كتيبًا عنه تحت عنوان « الأسس الكتابية للصهيونية المسيحية » ووضعت فيه آيات من الكتاب المقدس ، أُخِذَت من موقعها دون اهتمام بخلفية النص أو القرينة الدالة عليها ، وقد انعكس عليها . ظل الدولة الصهيونية،إذ تحول السيد المسيح رئيس السلام إلى رجل حربى.وفى الوقت الذى كان يجب على هيئة السفارة المسيحية فى أورشليم أن تقدم المسيح كرجل سلام ـ كما هو معلن عنه فى الكتاب المقدس إلى الشعب اليهودى ودولة إسرائيل[3]* ليرجعوا عن طريقهم فى العنف والقتل والدمار ، إذ بها

---

(١) تقارير مجلس كنائس الشرق الأوسط . قبرص ١٩٨٨ .

(٢) * انظر باب المصطلحات تحت رقم (٥) .

(٣) * انظر باب المصطلحات تحت رقم (٣) .

تقدمه كرجل حروب عنصرى ينحاز إلى إسرائيل ، وبدلاً من أن يكون هذا المؤتمر نداء للسلام بدا وكأنه دعوة للحرب . والأمر الجدير بالملاحظة أن هذا المؤتمر الذى صمم أن يحضره إسحق شامير رئيس الوزراء بنفسه ، وإسحق رابين وزير الدفاع، والربای شلومو جورين ، وكثير من قادة الجيش الإسرائيلي ، ووزارة الخارجية ، وقادة الحركة الصهيونية المسيحية فى العالم ، قد رُفِضَ تمامًا من كل رءوس الكنائس المسيحية فى أورشليم ، الأرثوذكس والكاثوليك والانجليكان والإنجيليين . ولقد أدان هذا مع المؤتمر كل الكنائس والهيئات الإنجيلية فى الشرق الأوسط ، وكل الكنائس الغربية فى كل أنحاء العالم . لكن المشكلة تتجسد فى بعض الإنجيليين الغربيين والأمريكان على وجه الخصوص والذين يقدر عددهم بأقل من ٧٪ من سكان أمريكا وهم الذين تستمتع إسرائيل بتعضيدهم لها ، ومن المناسب هنا أن نوضح بأن الهدف من المؤتمر كان سياسيًا من الدرجة الأولى ، فقد استخدم الكتاب المقدس ، والعهد القديم[1]* على وجه الخصوص ، ليؤكد حق إسرائيل فى احتلال الأرض «يهودا والسامرة (الضفة الغربية) وغزة كدولة يهودية » ويعطون إسرائيل أرض فلسطين كحق مقدس ، وهذا يعنى أن سكان الأرض لا حق لهم فيها وعليهم أن يرحلوا عنها أو يعانوا ، كما هو واقع اليوم على الفلسطينيين من مسيحيين ومسلمين ، ومن الواضح أن هذا الفكر يُسَخِر الكتاب المقدس والروحيات لخدمة السياسة الإسرائيلية والغربية ، ومن الملاحظ أن من تحدثوا فى المؤتمر لم يشيروا أبدًا إلى يسوع المسيح ، لكن الإشارة كانت دائمًا إلى المسيا ، ولم يكن واضحًا هل هم

---

(١) * انظر باب المصطلحات تحت رقم (٩) .

يتحدثون عن المسيا حسب التفسير المسيحى (رسول السلام والحب لكل العالم) ؟ أم حسب التفسير اليهودى (المسيا العسكرى الذى يحرر اليهود)؟ ومن الواضح أن من تناولوا الكتاب المقدس بالشرح فى المؤتمر نقلوا الحديث عن الإيمان المسيحى من مكانه الطبيعى وهو هنا والآن (عالم اليوم) ، إلى حديث عن أخرويات غير مؤكدة تفاصيلها ، فضلاً عن أنه غير متفق عليها بين أغلب مفسرى الكتاب المقدس ، على طول التاريخ ،ثم قاموا بربط هذه الأخرويات بعد تفسيرها على هواهم بدولة إسرائيل الحالية ، فأصبحت إسرائيل هى مركز الكتاب وليس الكنيسة ، أو الإيمان المسيحى ، وأصبح السؤال الملح هو كيف نأتى بالأمن السياسى والاقتصادى لاسرائيل؟ وبهذا أصبح اللاهوت خادمًا لإستراتيجية إسرائيل السياسية من نحو الأرض والدولة والجيش والاستيطان ... إلخ .

ولقد كان هذا واضحًا ، حيث إن نجوم المؤتمر لم يكونوا لاهوتيين أوقادة مسيحيين معروفين على مستوى العالم ، أو يمثلون كنائس لها ثقلها ، بل كانوا من الساسة وضباط الجيش ، ولقد كان لهؤلاء حضورًا ولمعانًا أكثر من القادة الروحيين ، وكان خطهم السياسى أكثر بروزًا وقوة من الخط الروحى والكتابى .

وهذا السلوك يثير سؤالاً هامًا فى الأخلاق المسيحية ، فمن البديهيات أن المسيحيين لهم الحرية فى أن يعملوا بالسياسة ، وقضايا العدل الاجتماعى ، لكنهم يجب أن يكونوا فى منتهى الحذر وهم يربطون هذه القضايا بالايمان التاريخى بالكتاب المقدس . ـ والآن لدينا خمس قضايا [1] هامة يجب مناقشتها.

---

(١) تقرير سكرتير مجلس كنائس الشرق الأوسط . قبرص ١٩٨٨ .

١ ـ قضية رسالة المسيح :

فإذا كانت المسيحية الصهيونية تبشر بأن السيد المسيح فى مجيئه الثانى سوف يأتى ليَحْكُم ، فما معنى مجيئه الأول ورسالته إلى العالم ، وإذا كان مجيؤه الأول كان لأجل أن تعود الأمم إلى الله ، وقد انتهى هذا العصر الآن (ملء الأمم) بتأسيس دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ وعودة الله لإسرائيل ، فكان يجب على الكنيسة أن تُغْلق أبوابها منذ ذلك التاريخ ، أو تلغى برنامجها عن الخلاص بالمسيح إذ أن وقته قدانتهى وتبدأ فى البرنامج الجديد الذى حسب فكر الله ، وهو تعليم المسيحية الصهيونية ، وكما قال فإن هوفن أن الخلاص والدينونة يعاد تعريفهم والكنيسة سَتُقَيَّم عند الله طبقًا لحركتها وسلوكها تجاه دولة إسرائيل .

٢ ـ قضية إسرائيل والكنيسة الحقيقية :

ولقد ناقش المؤتمر هذه القضية تحت عنوان « إسرائيل والكنيسة » وقدمها أيضًا فان هوفن ، وبدأ حديثه بأن الله فى هذا العصر شغوف بأولئك المسيحيين الذين يعضدون إسرائيل ، ويعتبرهم الكنيسة الحقيقية ، وبهم سوف يتبارك العالم ، ومن خلالهم تعود إسرائيل إلى أرضها . وهكذا حكم هوفن على المسيحيين بأن أمامهم أحد اختيارين ، إما أن يختاروا الانضمام إلى الكنيسة العامة الحالية بكل طوائفها ، (كنيسة الأمم) وعلى رأسها روما (الفاتيكان) وهى الفرع وليس الأصل ، أو أن ينضموا إلى الكنيسة الحقيقية (العروس) التى تبارك إسرائيل (الدولة السياسية) وتعضدها وهى الأصل . ويَعْتَمِد فى هذا على فكرة أن المسيحية طائفة يهودية خرجت من أصلها والآن يعود الفرع إلى الأصل ، وهكذا يجب أن يتخلى المسيحيون عن

جنسياتهم الأمريكية والروسية والمصرية ويصبحون إسرائيل الله .

٣ ـ قضية التبرير أو (أعمال البر) :

ونتيجة طبيعية لتحويل مركز الإيمان المسيحى من شخص المسيح إلى الأخرويات والتعضيد السياسى لاسرائيل أن انعكس هذا وبخطورة على «أعمال البر » فالحياة المسيحية الصحيحة لا تتم إلا من خلال الجهاد لاجل تسديد احتياجات إسرائيل السياسية والأمنية ، فالبر المسيحى إرتبط بالسياسة ووسائل الأعلام ، فمن حين لآخر تُعْلِن وسائل الإعلام بأمريكا عن صلاة وصوم لأجل إسرائيل ... فالصلاة والصوم لا يُقْبَلان عند الله ـ طبقًا للمسيحية الصهيونية إلا إذا كانا بعيدين عن نقد إسرائيل السياسية .

وبالنظر إلى توصيات المؤتمر المسيحى الصهيونى الثانى نجد أن ٥٠٪ منها لها موقف سياسى واضح ومن ضمنها مايلى :

١ ـ يناشد المؤتمر كل القادة العرب أن يتبعوا استراتيجية إسرائيل للسلام فى الشرق الأوسط (الحوار المباشر وليس المؤتمر الدولى للسلام) .

٢ ـ يشجع المؤتمر خطة إسرائيل لتوطين اليهود فى كل الأراضى المحتلة .

٣ ـ يشجع المؤتمر زيادة ونمو تعداد السكان اليهود .

٤ ـ يناشد المؤتمر جميع دول العالم أن تنقل سفاراتها إلى أورشليم .

٥ ـ يناشد المؤتمر جميع وسائل الأعلام أن تقلل من نقدها لإسرائيل .

٦ ـ يشجع المؤتمر السياحة وإقامة مشروعات إنتاجية بإسرائيل .

٤ ـ قضية الإنسان فى المسيحية :

تؤمن المسيحية بأن الله خلق الإنسان على صورته كشبهه ، والمعنى هنا

الشبه الأخلاقى والضميرى ، وقد نادى الأنبياء بتكريم الإنسان ورَفْض الظلم والاضطهاد لأى بشر ، وتحقيق العدالة الاجتماعية دون تفرقة فى اللون أو الجنس ، وجاءت المسيحية الصهيونية لكى تضع أمن إسرائيل فوق هذا المبدأ الإلهى الواضح ، فعقدوا المؤتمر فى قلب فلسطين ، وأغلقوا عيونهم عن الظلم الواقع على الفلسطينيين ، بل تم وصفهم فى المؤتمر بالقسوة الشريرة ، على حد قول إسحق شامير . ولتحقيق هذا الفكر فقد تم منع قراءة مقاطع معينة من كلمات الأنبياء المقدسة ، والتى تنادى بالعدالة الاجتماعية، والمساواة بين البشر ، وركزوا على مقاطع الأخرويات ، وهكذا تم التركيز على أجزاء من الكتاب المقدس على حساب أجزاء أخرى .

٥ ـ قضية عالمية الإنجيل :

لقد كانت وصية المسيح الأخيرة للتلاميذ « إذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالانجيل » [١] لكن أصحاب فِكر المسيحية الصهيونية يَضْرِبُون هذه الوصية فى الصميم ، وذلك برفضهم تقديم الإنجيل إلى اليهود ، وليس هذا فقط بل بدّلوا هذا التعليم بتعليم « تعضيد إسرائيل » وتشجيعهم على عدم قبول الإنجيل حتى يعجلوا بمجىء المسيح ثانية ، وهم يعتقدون أن تقديم الإنجيل لإسرائيل فكر غير كتابى وغير قانونى ، وقد أقر الكنيست الإسرائيلى قانونًا فى ٢٥ ديسمبر عام ١٩٧٧ يعاقب كل من يبشر اليهود بالإنجيل بالسجن ، وذلك بتشجيع من حركة المسيحية الصهيونية .

لقد تأسست هيئة السفارة المسيحية عام ١٩٨٠ كأرسالية مسيحية فى

---

(١) إنجيل مرقص ١٦ : ١٥ .

الأرض المقدسة ، ومنذ ذلك التاريخ وحتى اليوم لم تضم قائدًا مسيحيًا عربيًا واحدًا ، ولم توجه كلمة تشجيع للكنائس المسيحية العربية المحلية من أى طائفة ، وحركة المسيحية الصهيونية التى تتبناها هذه الهيئة ، لها الحق فى أن تتحدث عن أقلية من المسيحيين الأصوليين المتطرفين فى الغرب ، لكن ليس لها الحق أن تتحدث عن نفسها كممثلة للمسيحية الكتابية الحقيقية ، ولاشك أن إستمرار وسائل الاعلام الغربية فى الاعلام عن هذه الحركة يصنع خلطًا ضخمًا ، فقد أصبحت كلمة إنجيلى فى الوطن العربى تعنى مؤيدًا للصهيونية حتى فى الكنائس الوطنية فى مصر وسورية والأردن ولبنان ، والحقيقة أن المسيحية الصهيونية غربية بحتة ، وأن مسئولية الكنيسة المسيحية فى الغرب أن تساعد حركة المسيحية الصهيونية على فهم وتفسير الكلمة المقدسة بصورة أعمق ، وأن مسئولية الكنائس المسيحية العربية فى الشرق أن تعبر عن عقيدتها ، وعلى الإنجيليين من طوائف وهيئات وصحافة أن يواجهوا أنفسهم وأن يحاربوا المسيحية الصهيونية على المستوى اللاهوتى والكتابى والعملى .

الفصل الثانى

هيئات غربية تشجع المسيحية الصهيونية

فى تقرير لمنظمة حقوق الإنسان [١]، والصادر من قبرص عام ١٩٩٠ ، يعلن عن وجود هيئات وجماعات لاهوتية وسياسية أصولية فى الولايات المتحدة ، تتمتع فى نشاطها بمؤازرة الكنيسة كمؤسسة دون الخضوع المباشر لها . البعض منهم يركز نشاطه على الحقوق السياسية والآخر على الحقوق الدينية والثالث على نشر الفكر الأصولى المتطرف .

وأهمية هذه الجماعات والهيئات ليست فى عملها فى الولايات المتحدة لكن لنشاطها الدولى على مستوى العالم . ولقد وجدت هذه الهيئات اليوم مجالاً أكثر إتساعًا ، بإنفتاح البلاد التى كانت مغلقة ومتوارية خلف الستار الحديدى مثل الاتحاد السوفيتى ، وبالتغيير التراجيدى الذى وقع فى أوروبا الشرقية والذى فُسِرَ عندهم على أنه بداية لنهاية مملكة الشر فى العالم ، فوجود العدو شىء ضرورى لمثل هؤلاء ، وهم يرونه فى كل مكان ، فى الشرق الأوسط ، كوبا ، جنوب أفريقيا ، أو فى العالم الإسلامى أو الهندوسى أوالبوذى أو حتى فى العالم المسيحى الذى لا يوافق على أفكارهم ، أو فى أى

---

(١) تقرير منظمة حقوق الإنسان . قبرص ١٩٩٠ .

فلسفة أو قومية موجودة ، وهناك اختلافات بين هذه الجماعات . فمثلاًليس كل الجماعات التى تؤمن بأن الشيوعية هى الشر الأبدى تؤمن بأن نهاية العالم قد اقتربت ، لكنها تتحد جميعًا تحت علم الأصولية والدفاع عن الذات ، وأفضل مثال للارتفاع فوق الاختلافات عند الأصوليين هى تلك الصداقة التى تربط بين قادة هذه المجموعات والهيئات وبعضهما البعض.

ولقد اتفقت معظم هذه الجماعات على أن نهاية العالم قد اقتربت ، وتبنى البعض هذا الاتجاه سياسيًا ، ولقد أطلق على هذه المجموعات لقب «الألفيين» نسبة إلى إيمانهم بأن المسيح سيأتى ثانية ويحكم العالم بصورة مادية حرفية لألف عام ، ونحن الآن نعيش الأيام الأخيرة للموقعة الفاصلة بين إسرائيل والمسيح من جهة وبين العالم كله من الجهة الأخرى والتى تدعى «معركة هرمجدون » ، ويؤمن هؤلاء أيضًا أن نهاية العالم سوف تأتى عقب الانتهاء من سماع كل العالم لرسالة الإنجيل ، ولذلك هم ينفقون ملايين الدولارات على المحطات الإذاعية والتلفزيونية . ومن الايجابيات فى عقائدهم وكرازتهم من خلال وسائل الإعلام ، تأكيدهم على أهمية تغيير النظم السياسية التى تسبب الجوع والفقر والمرض ، وأهمية الارتفاع بمستوى الإنسان ، وليس كل المجموعات تؤمن بأولوية الخلاص الروحى على المادى فهناك من يؤمن بأن تغيير المجتمع أساس لخلاص الفرد ، ويعبرون عن هذا بالقول « نحن لا نجلس فى انتظار المسيح دون عمل ولا نرفض العالم انتظارًا لمعركة هرمجدون لكننا معينون من الله لاجل العالم ، لذلك يجب أن نحكم بمبادئنا الأخلاقية العالم قانونيًا وحكوميًا وتعليميًا وحضاريًا ... إلخ ولتنفيذ ذلك يُكَوّنون مجموعات صغيرة تكون قادرة على الوصول إلى الحكومات والجماعات والمراكز الحساسة فى الدول ، والايحاء إليهم

بمبادئهم ، وهم يعتبرون أن الحكومات العلمانية ومن ضمنها حكومة إسرائيل ، من أعمال إبليس .

والغالبية الساحقة منهم يؤمن أن مجىء المسيح الثانى بقوة هو امتداد لمجيئه الأول وليس هناك أى تناقض بينهما ، بينما تؤمن إحدى هذه الهيئات والتى يرأسها القس صن مونج مون Sun Mong Moun أن المسيح قد فشل فى مجيئه الأول وسوف يأتى ثانية بقوة ليصحح أخطاءه .

وعلى الرغم من الخلافات الكثيرة والمعقدة بين هذه الجماعات إلا أنهم يتفقون جميعًا فى إثارة الذعر والخوف بين البشر ، وهم يُفَجّرون أى نوع من الخوف الإنسانى بدءًا من الخوف من التعاسة أو الفشل المادى ، إلى الخوف من النظام العالمى، وصولاً إلى الخوف من الجحيم . وينجذب البشر إلى مثل هذه الجماعات ، وذلك لأن العالم الذى نعيش فيه عالم مخيف ومرعب ، وهم يقدمون للبشر إجابات سهلة على أسئلة صعبة ومعقدة ، معتمدين على إحساس البشر بالوحدة فى عالم اليوم ، والشوق إلى مجتمع إنسانى دافئ يضم الجميع ، وإلى جانب جاذبية الإنسان بالوعد بالدفء والحب ، يجذبونهم بالتركيز على حرية العقيدة ، وآلام الأقليات ومناصرة المضطهدين، وتعتبر هذه النغمة إحدى مفاتيح النجاح لمثل هذه الحركات .

ومن أشهر هذه الهيئات :

١ ـ هيئة إذاعة الشرق الأقصى[١] ومركزها كاليفورنيا :

وقد تأسست هذه الشركة عام ١٩٤٥ بواسطة بوب بومان Bob Boman

(١) تقرير منظمة حقوق الإنسان . قبرص . ١٩٩٠ .

وجون بروجر John Broger وكان شعارهم « لنصل إلى الصين من أجل المسيح » . وكان الهدف وصول الموجات الإذاعية إلى داخل الصين ، فى الوقت الذى فيه خرج المرسلون بأمر من السلطة الحاكمة ، وقد بدأ الإرسال عام ١٩٤٦ من مانيلا بالفلبين ، وفى عام ١٩٨٧ ، وصل عدد محطات الإذاعة إلى ٩ محطات تنطق بأكثر من مائة لغة وتصل إلى ثلثى العالم . والملاحظة الجديرة بالذكر أن ٩٠٪ من موظفى هذه الهيئة من بلاد غير الولايات المتحدة . وتبلغ ميزانية هذه الهيئة ما يقرب من ١١ مليون دولار حيث يعمل أغلب الموظفين كمتطوعين بلا أجر . وتبث الإذاعة نحو ٣٠٠ ساعة إرسال يوميًا ، وتتلقى ٤٠,٠٠٠ رسالة شهريًا من المستمعين ، وقد وصَفَتْ الهيئة نفسها بأنها « هيئة لا طائفية » ، أما اتجاهها فهو أصولى متطرف ، فهم يؤمنون بالحكم الألفى المادى للمسيح ، وبعودة إسرائيل إلى فلسطين ، وبأن معجزات المسيح مازالت مستمرة إلى اليوم .

وأهمية هذه المنظمة تأتي أولاً بسبب حجمها الضخم ، ثم بسبب تقسيمها العالم إلى مؤمنين وأشرار ، أو مسيحيين وشيوعيين يتوجه كل نشاطهم إلى الدول خلف الستار الحديدى .

وفى عام ١٩٨٧ أذاعوا رسالة من أثيوبيا رغم إغلاق الكنيسة هناك بأمر الحكومة ، ورسالة أخرى من شيوعى قَبِلَ المسيح بالسجن بكوريا الشمالية، ولجذب المجتمع العادى تحتوى برامج هذه المحطات على نشرات إخبارية وموسيقى ومعلومات عامة .

٢ ـ عظات جيمس سواجارت :

يقوم سواجارت بإلقاء عظات فى التليفزيون الأمريكى ، يشاهدها ما

يَقْرُب من ٩ ملايين مشاهد ، وتصل الذروة أيام الاحاد إلى ٩,٥ ملايين ونصف من المليون أى بنسبة ١٠٪ من مجموع مشاهدى التليفزيون فى الولايات المتحدة ، وتبلغ ميزانيته ٢٠ مليون دولار ، وتذاع برامجه التى تصطبغ بصبغة سياسية فى أنحاء كثيرة من العالم مثل جنوب أفريقيا والفلبين وكوريا الجنوبية ، ويؤمن سواجارت باستحالة تحقيق السلام على الأرض ، وقد هَاجَم جهود الولايات المتحدة للسلام مع الاتحاد السوفيتى قائلاً « يمكنهم توقيع كل معاهدات السلام التى يريدونها لكنهم لن يحققوا السلام .. فهنالك أيام سوداء قادمة»[1] وهو يهاجم أى فكر يعلن أن الإنسان يمكن أن يحل مشاكله الخاصة وعليه أن يترك كل شىء لله . ويقدم برنامجه « درس الكلمة » كل يوم أحد على أحد المسارح ، وله أسلوب مميز فى التقديم ، إذ يبكى ويضحك ويصفق ويقفز ويسير بعرض المسرح ، وطول الوقت يمسك الميكروفون بيده ، وينادى بالحرب النووية ، ومعركة هرمجدون وملك المسيح الحرفى وتعضيد دولة إسرائيل .

وباقى الهيئات لا تختلف كثيرًا عن هاتين اللتين شرحناهما بالتفصيل وكلها تتفق على إثارة الجماهير عاطفيًا ، وتستخدم العقيدة الأصولية أوالمحافظة ، ويسمونهم بالجناح اليمينى المتطرف ، وقد تعاطف معهم الرئيس السابق للولايات المتحدة رونالد ريجان وكان قائدًا من أهم قادة هذه الهيئات من أقرب الأصدقاء إليه ومستشارًا له ، وقد إنعكس هذا على مفاوضاته مع السوفيت ، حيث كان يؤمن بأن السوفيت هم « ضد المسيح » وأن نهاية العالم قد اقتربت والدليل على ذلك عودة اليهود إلى فلسطين .

(١) تقرير منظمة حقوق الإنسان . قبرص . ١٩٩٠ .

وكل هذه الهيئات تؤمن بحرب هرمجدون حيث يقوم العالم بحرب ضد إسرائيل وبعد أن تنهزم إسرائيل يأتى المسيح ليحارب معهم لأنهم شعبه ، وسوف يحارب كل الدول بالعوامل الطبيعية حتى تنتصر إسرائيل ، وبعد أن تنتصر إسرائيل تكتشف أن الذى حارب معها وضع لها النصر هوالمسيا الذى رفضوه فى مجيئه الأول ، فيؤمنون به ، ويضمهم إليه ثم يحكم المسيح العالم معهم لمدة ألف عام ، يعيش فيها العالم فى حب وسلام كاملين وتنزع غريزة العدوان والشر من الطيور والوحوش والبشر ، فيعيش الحمل مع الأسد فى سلام وفى نهاية الألف عام تأتى الدينونة على كل العالم .

وسوف نناقش هذه العقيدة فى الفصلين الرابع والخامس ، ونخصص الفصل الرابع لمناقشة فكر شعب الله وارتباطه بالأرض والعهد بينما نخصص الخامس لفكرة مُلك المسيح الحرفى للعالم لمدة ألف عام . لكن قبل الحديث عن هاتين الفكرتين نحتاج إلى أن نجيب عن سؤال هام هو :

ما مفهومنا عن التاريخ الإنسانى ؟ وهو ما سنخصص له الفصل الثالث.

الفصل الثالث

ماذا يعنى التاريخ ؟

من أهم الأسئلة المثارة فى عالم اليوم ، سؤال ضخم عن معنى التاريخ ، فبعد حربين عالميتين بما عاصرهما وتبعهما من خراب وقتل وتدمير وإعادة رسم خريطة العالم ، وبعد حقبة طويلة من الحرب الباردة بين المعسكرين ، والتى بدأت تنتهى الآن نتيجة التقارب الأمريكى السوفيتى والأوروبى ، وفى الوقت الذى فيه توجهت الأنظار إلى الشرق الأوسط حيث مصادر البترول . أمام كل هذه الأحداث العجيبة يصرخ جيلنا طالبًا إجابة على السؤال : ماذا يعنى التاريخ؟

يقول أحد فلاسفة العصر هندريكس بيركهوف Handrix Birkhof لقد تشكل جيلنا بالخوف : خوف لاجل الإنسان وخوف لاجل مستقبله وخوف لاجل الاتجاه الذى يسير فيه عكس إرادته ورغبته ، وخارج هذه الدائرة من الخوف تسمع صرخة عن علة وهدف وجود الإنسان ، إنها صرخة فى انتظار إجابة لسؤال قديم عن معنى التاريخ [1].

---

(١) Anthony A.Hoe Kema - The Bible and the future . Mirch . 1979 .

ومعظم الناس يتطلعون إلى المؤسسات الدينية لكى تجيبهم عن مثل هذا السؤال ، ولقد تجمدت المؤسسات الدينية حيث وقفت بجانب تفسير للنصوص المقدسة منذ عشرات ومئات السنين ، ولم تستطع أن تُجَارى سرعة التغيير فى المجتمع والعالم ، ولا أن تخرج لنا إجابة مقنعة لهذا التساؤل من خلال هذه النصوص ، فقد جمدوا النصوص المقدسة والصالحة لكل زمان ومكان ، وأرادوا أن يلووا عنق الزمن ليعيش فى الماضى، وذلك لأنها مؤسسات بشرية قاصرة امتلأت خوفًا من إيقاع التاريخ المسرع ، فتقوقعت على ذاتها تبحث عن الأمان فى الماضى ، والمطلوب من هذه المؤسسات أن تتحرر من الخوف حتى تستطيع أن تضبط إيقاع المستقبل من خلال النصوص المقدسة .

وعلينا الآن أن نحاول الإجابة عن السؤال : ما معنى التاريخ ؟

دعونا نستعرض أكثر رأيين شهرة عن معنى التاريخ :

الأول : رأى اليونان القدامى :

اعتقد اليونان القدامى أن التاريخ يمكن أن يُرْسَم على شكل دائرة ، أى أن التاريخ يعيد نفسه ، لا يستطيع الإنسان أن يكتشف له نقطة بداية ، أونهاية فهو يدور إلى ما لا نهاية ، ويدللون على ذلك بأن الحضارات تبدأ صغيرة ثم تكبر وتتضخم إلى أن تصل إلى القمة أو الذروة ثم تعود مرة أخرى إلى الانحلال والفناء ، وفى إنهيار الحضارة تقوم على أنقاضها حضارة أخرى جديدة ، وهو ما حدث فى تعاقب الحضارات من البابلية إلى الفارسية إلى اليونانية فالرومانية ... إلخ وما يحدث اليوم يمكن أن يعاد فى المستقبل بصورة أو أخرى .

وهذا التفسير للتاريخ يعلن لنا :

أن التاريخ يسير بلا هدف :

بمعنى أنه لا يوجد هدف واضح وكامل للتاريخ ، وهذا لا يمنع أن تكون هنالك أهداف فردية إنسانية ، أما الهدف الجمعى الذى يسير التاريخ إليه فلا وجود له ، وهكذا يختفى المعنى من الوجود أو معنى الوجود ، فالوجود مثل دائرة الزرع ، غرس فنمو فحصاد فغرس جديد ... وهكذا ، ولذلك فقد كان هدف فلاسفة اليونان الأسمى هو الهروب من دائرة الزمن ، والتحرر من التاريخ الذى كانوا يتطلعون إليه ويحلمون به بشكل نظرى لا أكثر ، ومفهوم الخلاص فى الفلسفة الهللينية من المستحيل أن يتحقق ونحن مربوطون فى عجلة الزمن ، لذلك على الإنسان أن يَتَحوّل إلى جزء من الآلهة خارج إطار الزمان والمكان ليحصل على الخلاص ، أما الفلسفة المسيحية فهى ترى أن علة التاريخ هى تحقيق هدف الله ، فكَتَبَة الإنجيل لا يرون التاريخ بلا معنى ، بل يرونه الوعاء الذى يحقق الله فيه أهدافه فى العالم ومع الإنسان ، ويرون أن العالم يتجه إلى هدف روحى ، ولذلك فهم يرون المستقبل تحقيقًا لنبوات قيلت فى الماضى على لسان الأنبياء . وهو نفس إتجاه الفلسفة الإسلامية مع التقليل فى فكر أن كل ما يحدث فى المستقبل هو من تفاصيل الماضى .

الرأى الثانى : الوجود بالصدفة :

وحسب هذه النظرية فالتاريخ يصبح أيضًا بلا معنى ، فلا يوجد هدف لأى حدث فى العالم سواء كان فرديًا أوجماعيًا ، بل هى مجرد أحداث تقع

بلامعنى ، وهذا الفكر نجده عند الفليسوف الوجودى البير كامى وغيره ، فهو يرفض التاريخ الدائرى وفى نفس الوقت يرفض الخط المستقيم ، ولاشك أن هذين الرأيين مرفوضان، أما رؤيتنا للتاريخ فهى تتلخص فيمايلى :

١ ـ أن التاريخ هو من صنع الله :

فالله يحقق أهدافه من خلال التاريخ ، وهذه نقطة مبدئية عندما نتحدث عن وحى الله وأنبيائه وتاريخ شعبه سواء فى القديم أوالحديث .

ويَتَكوّن التاريخ الإنسانى من تاريخ الإنسان كإنسان فرد ، وتاريخ الأمة كجماعة ثم تاريخ أشخاص مميزين (الأنبياء والرسل والقادة) ثم تاريخ الحركات الاجتماعية سواء كانت دينية أو غير دينية ، وهى عبارة عن تفاعل النبى أوالقائد مع الجماعة من خلال تحرك جمعى يصبح فيه العالم بعد الحركة مختلفًا عما كان عليه من قبل . وكل هذه الأحداث التاريخية يوجهها الله بصورة أو بأخرى ليعلن ذاته من خلالها ، فى نفس الوقت الذى فيه يعلن ذاته بوضوح من خلال الكتب المقدسة والأنبياء .

٢ ـ أن الله هو رب التاريخ :

أى أن الله هو الذى يحكم العالم والتاريخ ، وهو فوق حكم الأمم والشعوب ، ولذلك فهو يتحكم فى قلوب وأفكار الحكام ، ويجعلهم يُنَفّذون إرادته سواء بوعى أو بدون وعى منهم ، ونتيجة لذلك فهو يحدد لكل أمة على الأرض مكانها وزمانها . إذن فالله هو الملك وهو يعمل فى التاريخ ليصل إلى هدف إلهى . فهو يحكم التاريخ ويضبطه جيدًا ، ولا يعنى هذا أن الله

يستخدم البشر كآلات صماء ، بل هو يترك للإنسان حرية الاختيار بين الشر والخير ، لكنه فى النهاية يتحكم فى الشر أيضًا ليسخره لاجل عمل إرادته ، ولذلك فالحرب والقتل والتدمير والسرقة والاغتصاب يرفضها الله ولا يقبلها ووجودها يَنْبُع أصلاً من الإرادة الحرة للإنسان ، ولكن الله يحوّل نتائج كل هذه الأمور السلبية لخدمة الهدف الذى وضعه للعالم من إعلاء كلمته وانتصار الخير .

ولأن الله هو رب التاريخ لذلك فالتاريخ له معنى واتجاه ، وفى بعض الأحيان لا نستطيع أن نكتشف يد الله فى التاريخ ، خاصة فى المآسى والحروب لكن علينا أن نؤمن أن الله صالح وهو يرى ويعمل ما لا نستطيع نحن إدراكه فى محدوديتنا كبشر .

٣ ـ أن التاريخ يتجه إلى هدف :

فكل التاريخ يتجه إلى نهاية العالم والدينونة حيث يرث الله الأرض وماعليها ، وحيث تبدأ حياة الله مع شعبه من المؤمنين بلا زمن أو تاريخ ، فحيث يوجد الله ينتهى الزمان والمكان .

بهذه الرؤية للتاريخ والتى فيها تعرفنا على الله رب التاريخ وصانعه ، ورأينا التاريخ يتجه إلى هدف ، نخلص إلى النتائج التالية :

(أ) أننا اليوم نعيش الصراع بين ما هو حادث وما لم يتحقق بعد :

فالإنسان يشعر بأن التاريخ يتجه إلى نهاية ليحقق هدفًا ، لكن هذه النهاية لم تأت والهدف لم يَكْتَمِل بعد . والإنسان يعيش بقوة الزمن الآتى الذى فيه يكون مع الله دون ألم أو حزن أو شر حتى يتغلب على الزمن

الحاضر والذى فيه يعيش الشر والحزن والألم ، لذلك هو يتمتع بقوة الزمن الآتى فى داخله . هذا الصراع بين ما هو الآن وما ليس بعد ، يعطى الزمن الحالى معناه ، فالإنسان يلاحظ كل يوم كيف تتجمع الخيوط فى يد الله لاجل نهاية العالم ، ويرى فى كل حدث جديد معنى جديدًا لسلطان الله وملكه .

(ب) هناك خطان يسيران جنبًا إلى جنب وينموان معًا فى العالم :

فالصراع بين ما هو حادث وما لم يتحقق بعد لا يبين فقط تجمع الخيوط فى يد الله حتى نهاية العالم ، ولكنه يبين أيضًا نمو خط الشر فى العالم ، فالشر يتطور مع تطور العالم ويزداد ، ويستمر الخطان متوازيين لا يتقابلان حتى نهاية التاريخ ، حيث عقاب الشر ومكافأة الخير . ونمو مملكة الشر فى العالم ما هو إلا ظل لنمو مملكة الله ، فمع التقدم العلمى لخير الإنسان نجد نمو وازدياد العنف والشر ... إلخ .

(جـ) لا يوجد فى التاريخ الإنسانى ما هو خير مطلق أو شر مطلق :

نحن نعلم أنه فى اليوم الأخير سوف ينفصل الخير عن الشر بوضوح ، وسوف يظهر التقييم النهائى لحركة التاريخ ، وحتى هذا الوقت سوف يبقى الخير والشر مختلطين معًا وينموان معًا ، ولذلك فحُكْمنا فى مثل هذه الأمور يجب أن يكون نسبيًا ، فنحن لا نستطيع أن نحكم على أى حدث تاريخى يقع بأنه خير مطلق أو شر مطلق قال أحد الكُتَّاب « حتى نهاية كل شىء ، لاتوجد ظاهرة تاريخية كلية الخير أو كلية الشر » .

ونحن غالبًا ما نحكم ببساطة على حركة التاريخ على طريقة أبيض وأسود ، فجماعة المؤمنين خير ، والعالم شر ، لكن هنالك سلبيات كثيرة

وسط جماعة المؤمنين ، كما توجد إيجابيات فى العالم ، وعندما نقول إن كل شىء نسبى فى العالم ، فهذا لا يعنى أننا يجب ألا نتخذ موقفًا أو اتجاهًا ، بل بالعكس فإن هذا يدعونا لأن نكتشف الخير المختبئ فى الشر ونكتشف الشر المختبئ فى الخير .

- ونضيف إلى هذا نقطة هامة جدًا ، فتاريخ الإنسان يتشكل بقراراته وحركته ، فالاختيار بين الشر والخير يجب أن يحسمه الإنسان ، فقرار الإنسان يجب أن يكون طاعة الله .

الفصل الرابع

الشعب والأرض والعهد

على مر التاريخ ظهرت شعوب واختفت أخرى وكل شعب من هذه الشعوب تميّز بصفات وملامح إكتسبها سواء من المكان الذى نشأ فيه أومن الزمان الذى عاشه أو الحضارة التى احتوته ، أو بتعبير آخر من الجغرافيا ، والتاريخ ، والفلسفة . فجغرافية المكان تكسب الشعب لونه وحجمه وقدراته ، فإن عاش شعب ما فى أرض قاسية وصعبة وتقلباتها الجوية حادة ، إختلف فى تكوينه وملامحه عن شعب يعيش فى أرض سهلة وتقلباتها نادرة ، فنرى الأول وقد اكتسب القدرة على التحدى ومعايشة الواقع المتغير فيستطيع مواجهة الكوارث وتحدى المستحيل ، بينما نرى الثانى يعيش محرومًا من هذه القدرات أما التاريخ فيُكْسِب الشعوب صفاتها الوراثية ، وتطور هذه الصفات من جيل إلى جيل ، هذا فضلا عن أنه يشكل ذاكرة الشعوب الاجتماعية والسياسية والفلسفية ثم يأتى دور الحضارة والذى يمد الشعوب باللغة والدين والشعر والفلسفة .. الخ .

ولقد برز شعب إسرائيل كشعب متميز بين الشعوب لا بسبب هذه العوامل فقط ، بل أيضا بفعل وعيه الجمعى لتلك العلاقة الفريدة التى تربط بينه وبين الله ، هذه العلاقة التى إختبرها الشعب وكانت هى العنصر الحاسم فى صهر عشائر متفرقه هاجرت إلى مصر فى بوتقة واحدة ، كما أنها كانت

العامل الأساسى لاستمرار الحياة فى هذا الشعب فى كافة نواحى المعمورة [1].

ولقد بدأت قصة هذا الشعب بخروج إبراهيم من وطنه الأصلى بمدينة أورالكلدانيين (قرب مدينة البصرة جنوب العراق) ليستقر فى بلد أجنبى ، وكان الله هو سبب خروج إبراهيم كما يحكى لنا سفر التكوين « وقال الرب لإبرام اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التى أريك ، فأجعلك أمة عظيمة وأبارك وأعظم اسمك وتكون بركة . وأبارك مباركيك، ولاعنك ألعنه وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض [2].

وبعد دخول إبراهيم إلى الأرض أصبح الوعد بالأرض محدداً « من نهر مصر إلى الفرات » والجدير بالذكر أن هذا الوعد لم يكن مفرداً وحيداً ، بل كان ضمن عهد متكامل بين الله وإبراهيم «وقال الله لإبراهيم وأما أنت فتحفظ عهدى . أنت ونسلك من بعدك فى أجيالهم ، هذا هو عهدى الذى تحفظونه بينى وبينكم وبين نسلك من بعدك ، يختتن منكم كل ذكر ، فتختتنون فى لحم غرلتكم ، فيكون علامة عهد بينى وبينكم [3] وأيضاً «أنا الله القدير » سر أمامى وكن كاملاً ... أجعلك أبا لجمهور من الأمم وأثمرك وأكثرك ... لاكون إلّها لك ولنسلك ... » [4].

وهكذا نرى أن الوعد لم يكن بالأرض فقط بل كان العهد يتكون من أربعة بنود:

١ ـ سوف أعطيك (الأرض) .

٢ ـ سوف أكثرك (النسل) .

---

(١) Elbogen Insmar . A Century of Jewish life . Philadelphia 1944.

(٢) سفر التكوين ١٢ : ١ ـ ٣ .

(٣ ، ٤) سفر التكوين ١٧ : ١ ـ ٨ .

٣ ـ سأجعل عهداً أبدياً لاكون إلّهاً لك ولنسلك (الإله) .

٤ ـ أبارك مباركيك ولاعنك ألعنه (البركة واللعنة) .

أولاً مفهوم إبراهيم لتملك الأرض :

بدأ إبراهيم حياته فى أرض فلسطين متحركاً بخيمته على التلال المحيطة ما بين شكيم وبيت أيل وحبرون ، وبعد فترة زمنية قصيرة ترك إبراهيم الأرض بسبب الجوع ونزل إلى مصر ، والسؤال الملح هنا : لماذا لم يدبر الله طعاماً لإبراهيم فى أرض فلسطين تحقيقاً لوعده له بالأرض بدلاً من تركه لإبراهيم ينزل إلى مصر ؟ لكن لم يلبث أن عاد إبراهيم إلى فلسطين .

والنقطة الجديرة بالملاحظة هنا أن إبراهيم لم يمتلك أى قطعة من الأرض التى وعده الله بها حتى ماتت سارة زوجته ، ومن الغريب أن يخصص الكتاب المقدس قسماً كاملاً (اصحاح) من سفر التكوين ليحكى فيه عن مفاوضات إبراهيم بغرض إمتلاك قبر لزوجته فى مغارة المكفيلة حيث دفنها.. وهذا يعطينا إنطباعاً واضحاً بأن إبراهيم عندما أخذ الوعد من الله بالأرض لم يفهمه على أنه تصريح من الله بسرقة الأرض من مالكها وإعتبار الأرض حقاً له ، بل إن إبراهيم لم يكن حتى متحمساً ان يأخذ المغارة كهدية ، فقد أصر على شراء الأرض وأصر على دفع الثمن كاملاً وتوقيع عقد قانونى متكامل الأركان أمام شهود ، وجزء من أصحاح ٢٣ لسفر التكوين يبدو كأنه مأخوذ من العقد مباشرة ونصه كالتالى « فوجب حقل عقرون الذى فى المكفيلة التى أمام ممرا ، الحقل والمغارة التى فيه وجميع الشجر الذى فى الحقل الذى فى جميع حدوده حواليه لإبراهيم مُلكا لدى عيون بنى حث بين جميع الداخلين باب مدينته » [1].

---

(١) سفر التكوين ٢٣ : ١٧ ـ ٢٠ .

ثم جاء إسحق ليرث هذه الأرض عن أبيه ، أما إسماعيل فقد رفضت سارة أن تجعله يرث ، « فقبح الكلام جداً فى عينى إبراهيم لسبب ابنه لكن الله قال له لا يقبح فى عينك من أجل الغلام ومن أجل جاريتك ... وابن الجارية سأجعله أمة لأنه نسلك [1] . ثم جاء يعقوب ليرث من إسحق ، وفى يعقوب تكونت القبيلة من إثنى عشر إبناً وأحفاد كثيرين ، والذين تركوا الأرض ليعيشوا فى مصر مع يوسف الذى أخذ مركزاً متميزاً فى بلاط فرعون كالرجل الثانى فى المملكة ، وهكذا بدأ وكأنهم تركوا الأرض إلى الأبد ، لكنهم عادوا ثانية من مصر بالخروج مع موسى ليتحرروا من عبودية المصريين ، الذين أذلوهم لمدة أربعمائة عام بعد وفاة يوسف وفرعون يوسف وقد اكتمل دخول الشعب إلى الأرض ثانية على يد يشوع خليفة موسى فى القيادة ، وهكذا تم تحقيق بندين من العهد : الأرض والنسل .

ثانياً مفهوم العهد وشرط التحقيق :

بالتأمل فى فكرالله عن العهد . نجد أن الله وعد بأن يجعل إسرائيل أمة عظيمة ، ويعطيها الأرض ووعد أن يكون هو الهها بشرط أن تتبارك فيها أوبواسطتها جميع الأمم ، وقد وضّح الله هذا الفكر بأن شعب إسرائيل قد جُعل لتحقيق مقاصد الله ، لذلك فالعهد هنا عبء ومسئولية وليس مجرد إمتياز ، ولقد أوضح الله أكثر من مرة أن شعب إسرائيل ليس أفضل شعوب العالم لكى يعطيهم العهد ، فيقول سفر التثنية « لا لأنكم أكثر من جميع الشعوب التصق الرب بكم واختاركم لأنكم أقل من سائر الشعوب... وحفظه

(١) سفر التكوين ٢١ : ٩ـ١٣ .

القسم الذى أقسم لآبائكم [1]، « لاتقل فى قلبك لأجل برى أدخلنى الرب لامتلك هذه الأرض ... ولكن ... ولكى يفى بالكلام الذى أقسم الرب عليه لآبائك إبراهيم وإسحق ويعقوب [2] وهدف العهد هنا «تتبارك فيك جميع الأمم » والبركة المقصودة هنا هى وصول رؤية الله ، وأهدافه ، ووصاياه ، إلى كل الأمم من خلال شعب إسرائيل ، أى أن تكون إسرائيل خادماً للأمم ، إذ هو ينقل إرادة الله اليهم ، لذلك أوصى الله شعب إسرائيل بمحبة الغريب وحسن معاملته والمحافظة على حقوقه ، وذلك على نقيض التقوقع القومى والتمييز العنصرى الذى كان حينئذ بين الشعوب الأخرى فيقول « تكون شريعة واحدة لمولود الأرض وللنزيل بينكم [3] ، ولقد طرد الله الشعوب من أمام إسرائيل ، وملكها الأرض لا لكى يُعطى إمتيازاً لإسرائيل ولكن لأنه أراد معاقبة هذه الشعوب لأنهم لم يطيعوه وفعلوا الشر أمامه ، « بكل هذا لاتتنجسوا لأنه بكل هذه قد تنجس الشعوب الذين أنا طاردهم من أمامكم فاجتزئ منها فتقذف الأرض سكانها » ... [4] ويعلن الله بوضوح أنه فى حالة عدم طاعة إسرائيل وخضوعها فسوف يعاقبها كما عاقب الأمم من قبل «فلاتقذفكم الأرض بتنجيسكم إياها كما قذفت الشعوب التى قبلكم » [5] .

وهكذا نرى أن الخط الذى يصل بين عطية الله ودينونته هو طاعة بنود العهد ، فبينما يطالبهم الله بتحطيم أصنام الكنعانيين يأمرهم بطاعة ناموس موسى .

(١، ٢) سفر التثنية ٧ : ٧ـ٩ .
(٣) سفر الخروج ١٢ : ٤٩ .
(٤) سفر اللاوين ١٨ : ٢٤ .
(٥) سفر اللاوين ١٨ : ٢٨ .

وقبل دخول الشعب إلى الأرض وضع الله أمامهم هذه البنود الأربعة[1] :

١ ـ هبة الأرض .

٢ ـ هبة الأرض لا تنفصل عن العهد ككل متكامل .

٣ ـ أهمية الطاعة .

٤ ـ الدينوية لرفض العهد .

وهكذا دخل شعب إسرائيل الأرض على أساس البنود الأربعة لكن ماذا حدث ؟

يقول كوستى بندلى « إن مأساة إسرائيل التاريخية كانت فى الصراع الممزق الذى عاشه بين وعيه لذاته كشعب الله مقدس لتحقيق رسالة إلهية من جهة ، وبين جنوحه إلى مجاراة سائر الأمم المحيطة من جهة ثانية ، ولقد استمر شعب إسرائيل يتأرجح باستمرار بين خيار وخيار ، وهذا ماقاده إلى الإستسلام لشياطين العنف كسائر الأمم مبتعداً عن خطة الله وعهده ، ولأنه يعلم أنه بدون الله يفقد أهم ملامح شخصيته لذلك أوحى لنفسه بأن يخدم الله بهذا الأسلوب وهو ما يسمى بالكذب الجماعى والذى طرفاه دائماً ملك فاسد ونبى كذاب ، يتملقان الشعب ويشجعانه على الإنحراف والفساد [2] .

وقد تمثل إنحراف الشعب فى أكثر من منحنى فى تاريخ الشعب نوردهم كالتالى :

١ ـ رفض أخلاقيات الله :

ولقد وقع هذا الحدث فى صحراء سيناء عقب خروج الشعب من مصر ،

(١) Colin chapman . Whose promised land?A Lion International Sydny 1983.

(٢) كوستى بندلى ـ إسرائيل بين الدعوة والرفض.بيروت ـ لبنان منشورات النور ١٩٨٥.

حيث صعد موسى إلى الجبل لتلقى لوحى الشريعة ، وفى أثناء غيابه طلب الشعب أن يُصْنَع لهم عجل ذهبي لكى يعبدوه قائلين « أصنع لنا آلهة تسير أمامنا» والمعنى هنا أننا نريد إلَهاً يتماشى مع أهوائنا ومطالبنا ، إله حربى مثل باقى آلهة الشعوب الذين من حولنا لكى نحارب به بدلاً من ذلك الإله الأخلاقى الذى يدعو إلى الحب والسلام والعدل .

٢ ـ استخدام العنف فى تملك الأرض :[1]

ولقد كان غزو شعب إسرائيل لأرض فلسطين ، كأى غزو لشعب من شعوب العالم القديم ، غزو تمارس فيه كل صنوف الوحشية والقتل والجرائم « ولقد برروا ذلك بأنهم يرتكبون هذه الأعمال لأجل إلههم ولتحقيق الوعد بالأرض فى إطار عهد الله معهم » ، ولقد حولت فترة الغزو هذه والتى امتدت من ١٥٠ إلى ٢٠٠ سنة الشعب الإسرائيلى إلى أمة كسائر الأمم، أمة محاربة ، طامعة ، ظالمة ، تتوسع على حساب غيرها ، وهكذا بدلاً من أن يرتفعوا ويسموا بممارسة أخلاقيات الله العلى ، أنزلوا الله وحولوه إلى إله يتخلق بأخلاقهم فيقتل ويخرب ويدمر ، ويبرر عنف شعبه ويضفى صفة القدسية على مشاريعه التوسعية ، وإذا بيهوه الإله الحى إله الحب، يُحوَّل إلى بعل (صنم) دموى ومنتقم .

٣ ـ رفض حكم الله :

وكان المسمار قبل الأخير فى نعش إسرائيل هو رفضهم لحكم الله ، ومطالبتهم بملك أرضى يجسد آمالهم وأحلامهم فقبل عام ١٠٠٠ ق . م .

(١) كوستى بندلى ـ إسرائيل بين الدعوة والرفض. بيروت ـ لبنان منشورات النور ١٩٨٥

ذهب الشعب إلى النبى صموئيل قائلين « أقم علينا مَلِكاً لكى يحكمنا مثل سائر الأمم [(١)] » وعندما مُسِحَ داود ملكاً رَسَّخَ مملكة إسرائيل فى الأرض التى تم غزوها ، وثبت أركانها ودعائمها ، ولكنه عندما أراد أن يكمل مشروعه السياسى العسكرى الناجح ببناء هيكل لله ، كان رفض الله قاطعاً بأنه لن يوقع بإمضائه على كل جرائم داود الملك ، ورفض أن يتقبل منه مثل هذه الهدية كإكرام لله ، وقد كانت صدمة مريرة لداود الذى لانشك لحظة فى إيمانه أو نبؤته أو إخلاصه الشديد لله ، لكنه إذ أراد أن يقيم حكماً عسكرياً سياسياً على أشلاء الشعوب الأخرى كان رفض الله الحاسم لهذا التصرف رغم قبوله لداود كشخص ، ولقد ضمَّن داود هذاالحدث فى وصيته لأبنه ووريثه فى المملكة سليمان « وقال داود لسليمان: يا ابنى قد كان فى قلبى أن أبنى بيتاً لاسم الرب لهى ، فكان إلى كلام الرب قائلاً قد سفكت دماً كثيراً وعملت حروباً عظيمة فلا تبنى بيتاً لاسمى لأنك سفكت دماء كثيرة على الأرض أمامى [(٢)] »

٤ ـ استخدام العنف داخل المملكة [(٣)]:

ولقد كانت النتيجة الطبيعية لانسياق إسرائيل للسطوة والعدوان هى إزدياد هجوم وعدوان جيرانه عليه ، مما تبع بالتالى أن يزداد هو عنفاً وتسلطاً ، وكان طبيعياً أن يمتد هذا العنف إلى الداخل ، فالملك العنيف

(١) سفر صموئيل الأول ٨ : ٥ .

(٢) سفر أخبار الايام الأول ٢٢ : ٧ ، ٨ .

(٣) كوستى بندلى : إسرائيل بين الدعوة والرفض بيروت . لبنان . منشورات النور ١٩٨٥ .

بالخارج والذى له القدرة على سحق أعدائه ، كان عليه أن يتوجه وبنفس الأسلوب إلى الداخل مع قادة مملكته ، فانتشر القهر والظلم وكان للقانون سيادته على الضعيف والفقير فقط ، وعندما وصل شعب إسرائيل إلى هذه الدرجة من العنف كان يحفر قبره بيده ، لأن العنف يؤدى حتماً إلى الموت . وعلى الرغم من تسلط الملوك وظلمهم كان هنالك الأنبياء الذين يقرعون أجراس الخطر قبل الانهيار الشامل للملكة ، ونسمع هذه الكلمات : « لانك جعلت ثقتك بعرباتك ، وبكثرة محاربيك ، فستقوم الجلبة فى مدنك وستخرب جميع حصونك [(١)] » .

« اسمعوا هذا يا رؤساء بيت يعقوب وقضاة بيت إسرائيل الذين يكرهون الحق ويعوجون كل مستقيم . الذين يبنون صهيون بالدماء وأورشليم بالظلم . رؤساؤها يقضون بالرشوة وكهنتها يعلمون بالأجرة وأنبياؤها يعرفون بالفضة وهم يتوكلون على الرب قائلين أليس الرب فى وسطنا لايأتى علينا شر . لذلك بسببكم تفلح صهيون كحقل وتصير أورشليم خرباً وجبل البيت شوامخ وعر . (سفر ميخا ٣ : ٩ ـ١٢) .

« ويل للبانى مدينة بالدماء وللمؤسس قرية بالاثم » .(حبقوق ٢ :١٢)

« وحل علَّى روح الرب وقال لى قل . هكذا قال الرب . هكذا قلتم يابيت إسرائيل وما يخطر ببالكم قد علمته . قد كثرتم . قتلاكم فى هذه المدينة وملأتم أزقتها بالقتلى . قد فزعتم من السيف فالسيف أجلبه عليكم يقول السيد الرب . فتعلمون أنى أنا الرب الذى لم تسلكوا فى فرائضه ولم تعملوا بأحكامه بل عملتم حسب أحكام الأمم الذين حولكم » . (سفر حزقيال ١١ : ٥ ، ٦ ، ٨ ، ١٢) .

(١) سفر موشع ١٠ : ١٣ ، ١٤ .

١ ـ قـد حرثتم النفـاق حصدتم الاثم . أكلتـم ثمر الكذب . لانـك وثقت بطريقك بكثـرة أبطالك . يقوم ضجيـج فى شعوبك وتخرب جميع حصـونك كاخراب شلمان بيت أربئيل فى يوم الحرب . الأم مع الأولاد حطمت . (هوشع ١٠ : ١٣ ، ١٤) .

٥ ـ النفى من الأرض :

إذا كانت الأرض هبة من الله ومشروطة بطاعة الواهب فالنتيجة الطبيعية هى أنـه فى حالة العصيـان ينفون من الأرض « إذ ولـدتم أولادا وأولاد أولاد وأطلتم الزمان فى الأرض وفسدتم وصنعتم تمثـالاً منحوتاً صورة شىء ما وفعلتم الشر فى عينى الرب إلهكم لاغاظته أشهد عليكم اليوم السماء والأرض أنكم تبيدون سريعاً عن الأرض التى أنتم عابرون الأردن إليها لتمتلكوها . لا تطيلـون الأيام عليهـا بل تهلكـون لا محالـة . ويبددكـم الرب فى الشعـوب فتبقون عدداً قليـلاً بين الأمم التى يسوقكم الرب إليهـا » .(سفر التثنية ٤ : ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧) .

ولقد تحقق التحذير عـام ٧٢١ ق . م على المملكة الشمالية « وصعد ملك أشور على كل الأرض وصعد إلى السامـرة وحاصرها ثلاث سنين . فى السنة التاسعة لهوشع أخذ ملك أشور السامرة وسبى إسرائيل آشور وأسكنهم فى صلح وخابور نهر جوزان وفى مدن مـادى وكان أن بنى إسرائيل أخطأوا إلى الرب إلههـم الذى أصعدهم مـن أرض مصر من تحت يد فرعـون ملك مصر واتقوا آلهه أخرى وسلكوا حسب فرائض الأمم الـذين طردهم الرب من أمام بنى إسرائيل وملوك إسرائيل الذين أقاموهم . فغضب الرب جداً على إسرائيل ونحاهم من أمامه ولم يبق إلا سبط يهوذا وحده . (سفر الملوك الثانى ١٧ :

٥ ـ ٨ ، ١٨) ثم على المملكة الجنوبية (يهوذا) « فقال الرب على تركهم شريعتى التى جعلتها أمامهم ولم يسمعوا لصوتى ولم يسلكوا بها . بل سلكوا وراء عناد قلوبهم ووراء البعليم التى علمهم إيا ها آباؤهم . لذلك هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل . هانذا أطعم هذا الشعب أفسنتينا وأسقيهم ماء العلقم . وأبددهم فى أمم لم يعرفوها هم ولا آباؤهم وأطلق وراءهم السيف حتى أفنيهم . (أرميا ٩ : ١٣ ـ ١٦) .

وهكذا جاء الفناء على بنى إسرائيل مكملاً لعقوبة سفر التثنية وانتهى الوعد بفناء الموعودين به ، وهذا ينسف المشروعية الدينية والقومية لليهود المعاصرين فى فلسطين .

وتوصـف دينونة الله للشعب هنـا بالقول « بيتى « وميراثـى» تتضمنه أيضاً دينونة على الأرض وليس على إسرائيل فقط والجدير بالملاحظة هنا أن الله يستخدم نفس المصطلحات على الشعوب الأخرى « قد تركت بيتى رفضت ميراثى دفعت حبيبة نفسى ليد أعدائها . صار لى ميراثى كأسد فى الوعر . نطق على بصوته . من أجل ذلك أبغضته . جارحة ضبع ميراثى لى الجوارح حوالية عليه هلم اجمعوا كل حيوان العقل . أيتوا بها للأكل . رعاة كثيرون أفسدوا كرمى داسوا نصيبى جعلوا نصيبى المشتهى برية خربة . جعلوه خرابا ينوح على وهو خرب . خربت كل الأرض لأنه لا أحد يضع فى قلبه . (سفر أرميا ١٢ : ٧ ـ ١١) .

ـ فائدة النفى لشعب إسرائيل

كانت الفائدة الكبرى للنفى عند الكثيرين من شعب إسرائيل هى إيقاظ فهمهم للفكر الإلّهى الأصيل الذى يشمل الإنسانية ككل والذى عضده

إنهيار العزة القومية والعنصرية لديهم ، ولقد عبر حزقيال (النبى الذى عاش مع المنفيين) عن هذا بالقول إن الله سيعيدهم إليه ـ ليس إلى الأرض ـ ويجعلهم من جديد شعباً له « وأعطيهم قلباً واحداً وأجعل فى داخلهم روحاً جديداً وأنزع قلب الحجر من لحمهم وأعطيهم قلب لحم لكى يسلكوا فى فرائضى ويحفظوا أحكـامى ويعملوا بها ويكونوا لى شعباً فأكون لهم آلهـاً (حزقيال ١١ : ١٩ ، ٢٠) .

والسؤال الذى يلح علينا : لماذا لم يذب شعب إسرائيل وسط الشعوب أثناء السبى ؟ وهنالك عدة أسباب لذلك ، أهمها سببان الأول أن البابليين حافظوا على اليهود معاً فى مجتمع واحد بدلاً من تفريقهم فى أماكن متعددة ، كما فعل معهم الأشوريون ، والسبب الثانى وهو أن أنبياء إسرائيل كانت لديهم القدرة فى تفسير أسباب كل ما حدث لهم ، ومن ثم إعطاء رجاء مستقبلى للشعب وقد أعتمد هذا الرجاء المستقبلى على الوعد الوارد فى ناموس موسى ، إنه إذا عاد الشعب إلى الله فسوف يعيدهم الله إلى الأرض [١] وهنا نقطة هامة وخطيره فى مفهوم الوعد بالأرض ، فماذا يا ترى الذى استطاع الانبياء اخراجه من الوعد ؟ وأى نوع من الرجاء قدموه للشعب فى النفى ؟ . لقد تحدث الانبياء أشعياء وأرميا وحزقيال[٢]* عن العودة وتحقق حديثهم عندما جاء كورش ملك فارس إلى الحكم وأمر جميع الشعوب المنفية إلى بلاده بالعودة ، كل واحد إلى مدينته ، وكان فكر هؤلاء الانبياء إن خلاص اسرائيل لن يتم بإستقلال اسرائيل سياسيا ولكن بعدم إستقلالها وإعتمادها على الله وحده ، دون قدرتها السياسية والعسكرية ، ولقد سجل

---

(١) . Anthony A. Hoekema . The Bible and the future

(٢) * انظر باب المصطلحات تحت رقم ١٦ .

لنا التاريخ أنه فى كل مرة عاد اسرائيل إلى الأرض كانت العوده تتم بسلام دون حرب أو قتل « ومتى أتت عليك كل هذه الأمور البركة واللعنه اللتان جعلتهما قدامك فان رددت فى قلبك بين جميع الامم الذين طردك الرب إلهك اليهم ورجعت إلى الرب إلهك وسمعت لصوته حسب كل ما أنا أوصيك به اليوم أنت وبنوك بكل قلبك وبكل نفسك يرد الرب إلهك سبيك ويرحمك ويعود فيجمعك من جميع الشعوب الذين بددك إليهم الرب الهك . إن يكن قد بددك إلى أقصاء السموات فمن هناك يجمعك الرب الهك ومن هناك يأخذك ويأتى الرب الهك إلى الأرض التى امتلكها آباؤك فتمتلكها ويحسن اليك ويكثرك أكثر من آبائك . (تثنيه ٣٠ : ١ ـ ٥) .

ومن خلال النفى والعودة ظهرت عقائد شعبية وأسطورية عن الأرض ، فقد ظهرت اسطورة إرتباط الشعب بالأرض منذ أن قدم الله لهم الأرض كحق أبدى ، وكما ذكرنا أن الوعد كان يتضمن وعداً بأرض يعيش فيها شعب يطيع الله طاعة كاملة ، وهو ما لم يحدث فى تاريخ اسرائيل لكن ظهور فكرة الأرض كشىء مقدس فى ذهن الشعب الجماعى ، أخرج آمالا وأحلاما شعبيه غير موضوعيه تركزت فى ثلاثة أمور :

١ ـ أظهر الشعب اشتياقا مبالغاً فيه للعودة إلى الأرض ، أو لزيارة الأرض إن كانوا يعيشون بعيداً عنها ، وان كان ممكنا الموت فيها ، وكل هذا يبرر قناعتهم الكاملة بأن الأرض يجب أن تكون دائما تحت حكمهم .

٢ ـ إعطاء أهمية خاصة لمدينة أورشليم وللهيكل المقدس وهو مالم يكن من قبل النفى .

٣ ـ الحلم بأن يتدخل الله بمعجزة لأجلهم فى التاريخ لينقذهم من النفى ، وقد قادهم هذا إلى نوع من الكتابه اسمه(Apocalyptic) وفيه يتحدث الكاتب

عن رؤى وأحلام للمستقبل مستخدماً رموزاً غريبة ، وقد حاولت هذه الكتابات أن تصف كيف أن القوى الشيطانية والشريرة تحاول أن توقف وتعطل وعد الله للشعب ، وتتطلع هذه الكتابات إلى الوقت الذى فيه يؤسس الله ملكوته على الأرض أمام عيون كل العالم ، ولقد انتشرت هذه الكتابات بقوة ما بين ٢٠٠ ، ١٠٠ ق . م وذلك عندما كان اليهود تحت الحكم السلجوقى والرومانى .

أما فكـر علماء اليهود عـن الأرض فقد تطـور أيضًا ، ومـن أبرز هـؤلاء العلماء فيلو (Phelo) الفيلسوف اليهودى الذى مات بالإسكندرية عام ٥٠ م والذى أعطـى معانى رمـزية للأرض معتمداً على مـا جاء فى سفر التكـوين «لايكون هناك أسد وحش مفترس لا يصعد إليها . لا يوجد هناك . بل يسلك المفديون فيهـا . ومفديو الرب يـرجعون ويأتون إلى صهيـون بترنم وفرح أبـدى على رءوسهم . إبتهـاج وفـرح يـدركانهم . ويهرب الحزن والتنهـد » (أشعياء ٣٥ : ٩ ، ١٠) .

وهـو يفسر أن أرض الكلدانيين تشير إلى الحكمـة الأرضيـة بينما أرض الموعد تشير إلى الحكمة الآلهية . وهكـذا تحولت الأرض عند علماء اليهود إلى رمز.

وعلى الرغم من هـذا فإن عودة اليهود من السبى البـابلى لم تكن كاملة ، فلم يتجمع كـل الأسباط الذين دخلـوا الأرض مع يشوع ، فى نفس الـوقت الذى لم يكن تحرير الأرض فيه كاملاً .

وإذا كـانت نبـوءات الأنبياء بـالعـودة قد تحققـت ، إلا أن تحقيق هـذه النبوءات لم يكتمل ، إذ أن هـذه النبوأت كانت تحتـوى على عودة الشعب إلى الله وإلى دعـوته الأصليـة وهى خـدمـة العالم والخروج مـن ضيق الأفـق

والعنصرية ، لكن ما حدث هو العكس تماماً فقد كان الخوف من الأمم المحيطة هو المسيطر على الشعب العائد ، فاعتصم بقوميته وعنصريته الضيقة متجاهلاً تذكير الأنبياء له بدعوته العالمية فى سفر أشعياء « وأبناء الغريب الذين يقترنون بالرب ليخدموه وليحبوا اسم الرب ليكونوا له عبيداً كل الذين يحفظون السبت لئلا ينجسوه ويتمسكون بعهدى . آتى بهم إلى جبل قدسى وأفرحهم فى بيت صلاتى وتكون محرقاتهم وذبائحهم مقبولة على مذبحى لأن بيتى بيت الصلاة يدعى لكل الشعوب »(أشعياء ٥٦:٦,٧).

وسفر زكريا « فرفعت عينى ونظرت وإذا رجل وبيده حبل قياس . فقلت إلى أين أنت ذاهب فقال لى لأقيس أورشليم لأريكم عرضها وكم طولها وإذا بالملاك الذى كلمنى قد خرج وخرج ملاك آخر للقائه . فقال له إجر وكلم هذا الغلام قائلاً . كالاعراء تسكن أورشليم من كثرة الناس والبهائم فيها . وأنا يقول الرب أكون لها سور نار من حولها وأكون مجدا فى وسطها » (سفر زكريا ٢ : ١ ـ ٥) .

وربط العودة بالتوبة كما فى سفر إرميا « هكذا قال الرب إلّه إسرائيل هكذا التين الجيد هكذا أنظر إلى سبى يهوذا الذى أرسلته من هذا الموضع إلى أرض الكلدانيين للخير . وأجعل عينى عليهم للخير وأرجعهم إلى هذه الأرض وأبنيهم ولا أهدمهم وأغرسهم ولا أقلعهم . وأعطيهم قلباً ليعرفونى أنى أنا الرب فيكونوا لى شعباً وأنا أكون لهم إلّهاً لأنهم يرجعون إلى بكل قلبهم » (سفر أرميا ٢٤ : ٥ ـ ٧) .

ولأنهم لم يتوبوا ولم يتطهروا ولم تتغير قلوبهم ، فإن ما حدث هو عكس مافى العهد تماماً ، إذ كيف تتبارك الأمم بأمة تعتمد على العنصرية والسلاح والكراهية من وإلى جميع جيرانها . وفى تاريخ إسرائيل كانت الأمور تجرى

دائماً على عكس دعوة الأنبياء فكلما عادت إسرائيل من النفى تعود إلى التقوقع وإلى الفكر العنصرى ، حيث يبدأون فى بناء الأسوار حول أورشليم ، وأثارة الشعوب المجاورة ، وتحصن الهيكل بعد إعادة بنائه وأكبر مثال لذلك عند العودة من سبى بابل فعزرا ونحميا اللذان تزعما إعادة بناء الكيان الدينى والسياسى للأمة فرضاً على الإسرائيليين أن يطلقوا زوجاتهم الغريبات ، ويتخلوا عن الأولاد الذين أنجبوهم منهن ويحُرمان التزاوج بين الإسرائيليين والغرباء ثم فى النهاية طردوا الغرباء شر طردة[١] .

وهكذا فشل اليهود وبوضوح شديد فى تحقيق الهدف من وجودهم فلم يعودوا نوراً للأمم ، وتبعاً لذلك سقط الوعد لهم بالأرض سقوطاً شرعياً وقانونياً وإلهياً لأن هذا الوعد مرتبط بالعودة إلى الله وخدمة العالم والتخلى عن العنصرية وهو ما لم يحدث .

ثالثاً : المفهوم المسيحى للشعب والأرض والعهد[٢]

يؤمن المسيحيون أن وعد الله لإبراهيم لم يكن فى يوم من الأيام عنصرياً ، أو مقتصراً على شعب معين ، لكنه وعد يشمل جميع الأمم ، فيه تعود الأمم إلى الله وتعرفه ، ولذلك عندما أساءت إسرائيل فهم الوعد وتطبيقه رفضت من الله كأمه فى الوقت الذى استمر فيه الوعد لكل الأمم الأخرى ولقد كان الأمل فى (البقية) ، وهى صفة تطلق على عدد قليل من اليهود فهموا الوعد حقيقة ورفضوا أن يجروا إلى مستنقع القتل والعنف، والذى أدى إلى الانهيار النهائى للشعب عام ١٣٥ م ، فبقيت هذه البقية تؤمن بعالمية الرسالة

(١) سفر عزرا ونحميا من العهد القديم .

(٢) Colin Chapman . Whose Promised Land ? Sydny 1983 .

وباليوم الذى . يحل فيه السلام للعالم ككل ، وقد عبر عن فلسفة هذه الجماعة إشعياء النبى « الشعب السالك فى الظلمة أبصر نوراً عظيماً . الجالسون فى أرض ظلال الموت أشرق عليهم نوره . أكثرت الأمة عظمت لها الفرح . يفرحون أمامك كالفرح فى الحصاد . كالذين يبتهجون عندما يقتسمون غنيمة . لأن نير ثقله وعصا كتفه وقضيب مسخره كسرتهن كما فى يوم مديان . لأن كل سلاح المتسلح فى الوغى وكل رداء مدحرج فى الدماء يكون للحريق مأكلاً للنار » (أشعياء ٩ : ٢ — ٥) ، وهوشع « وأما بيت يهوذا فأرحمهم وأخلصهم بالرب إلههم ولا أخلصهم بقوس وبسيف وبحرب وبخيل وبفرسان » (سفر هوشع ١ : ٧) .

وظلت هذه البقية تنتظر تحقيق هذا الوعد .

وسوف نتحدث فى هذا الجزء عن المفهوم المسيحى للأرض وللمسيا ولأورشليم.

أولاً : المفهوم المسيحى للأرض :

فى الوقت الذى كان يتوقع فيه اليهود ظهور مسيا عسكرى يقود ثورة تحرير ضد الرومان ، ويحرر الأرض ويعيد اليهود المشتتين من أقصاء الأرض إلى أقصائها إلى أورشليم ، جاء المسيح مخيباً لكل هذه التوقعات ومحطماً لآمال اليهود العنصرية ، فلم يتحدث أبداً عن الأرض التى كان اليهود يتحدثون عنها ، لكنه تحدث عن مفهوم جديد للأرض كأحد الأركان الهامة فى عهد الله مع إبراهيم فما هو تفسير المسيح لهذا الركن من العهد .

ولقد بدأ المسيح أهم موعظة له واصفاً شكل وشخصية أولئك الذين ينتمون إلى ملكوت الله بهذه الكلمات « طوبى للمساكين بالروح . لأن لهم

ملكوت السموات . طوبى للحزانى لأنهم يتعزون . طوبى للودعاء . لأنهم يرثون الأرض . طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يشبعون . طوبى للرحماء . لأنهم يرحمون . طوبى للانقياء القلب . لأنهم يعاينون الله . طوبى لصانعى السلام . لأنهم أبناء الله يدعون . طوبى للمطرودين من أجل البر . لأن لهم ملكوت السموات » (متى ٥ : ٣ ـ ١٠) .

وليس من الصعب فهم كلمات المسيح عن الوعود : لأنهم يتعزون ، لأنهم يشبعون ، لأنهم يرحمون أو يرون الله أو يدعون أولاد الله ، لكن الصعوبة برزت فى كلمات المسيح « طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض».

فما معنى يرثون الأرض [١] الكلمة اليونانية الأرض(Geu) تعنى أرض ولقد فسر البعض هذه الكلمة بمعنى أخروى أى ملكوت الله ، لكن المسيح استخدم هنا الكلمة العبرية (Erets) والتى استخدمت فى مزمور ٣٧ : ١١ « أما الودعاء فيرثون الأرض » والمقصود بالأرض هنا أرض فلسطين ، ويتضح هذا منْ سبع جمل فى المزمور « أسكن الأرض وارع الأمانة ... لأن عاملى الشر يقطعون والذين ينتظرون الرب هم يرثون الأرض ..... أما الودعاء فيرثون الأرض ... الرب عارف أيام الكلمة وميراثهم إلى الأبد يكون... لأن المباركين منه يرثون الأرض والملعونين منه يقطعون ... الصديقين يرثون الأرض ويسكنونها إلى الأبد ... إنتظر الرب واحفظ طريقة فيرفعك لترث الأرض . إلى انقراض الأشرار تنظر «وكاتب المزمور يقصد بالأرض هنا أرض فلسطين ، وعلى شفتى السيد المسيح أخذت الأرض معنى جديداً ، فهؤلاء الذين يرثون الأرض (أرض فلسطين) ويعيشون فيها

(١) نفس المصدر السابق .

بأمان إلى الأبد ، هم الودعاء من أى أمة كانت ، هم المساكين وصانعى السلام، فالمسيح يتحدث عن الودعاء بشكل عام دون تخصيص شعب معين ، ثم يتحدث عن الأرض بالتخصيص إشارة إلى فلسطين الأرض التى ذكرت فى الوعد لإبراهيم ، إذ قال (الأرض) بأداة التعريف ، كما أنه أخذ الجملة بكاملها من مزمور ٣٧ الذى يتحدث عن أرض فلسطين على وجه التحديد .

فلقد وعد الله إبراهيم أن هذه الأرض ستكون له ولنسله إلى الأبد ، وهنا يقدم السيد المسيح تعريفاً لمن يرث من نسل إبراهيم ، ولقد وعد الله إبراهيم أن يكون أباً لأمة عظيمة ، والمسيح هنا يقدم مفهومه عن هذه الأمة ، ولقد وعد الله إبراهيم أن تكون هنالك علاقة خاصة بينه وبين نسله ويحدد المسيح هنا نوعية هذا النسل الذى يمكن أن يطلق عليهم لقب أولاد الله « والذين يعاينون الله » ولقد وعد الله إبراهيم أنه من خلال نسله ستتبارك جميع الأمم ، والآن يصل المسيح بهذه البركة إلى كل إنسان من كل أمة أوجنس أو لسان فقط يكون مسكين بالروح جوعان أو عطشان للبر .

فى بداية خدمة المسيح الجهارية ، دخل إلى المجمع اليهودى فى الناصرة، وبدأ يقرأ كلمات أشعياء النبى « روح الرب علىَّ لأنه مسحنى لابشر المساكين لا نادى للمأسورين بالاطلاق وللعمى للبصر وأرسل المنسحقين فى الحرية وأكرز بسنة الرب المقبولة . ثم طوى السفر وسلمه إلى الخادم وجلس . وجميع الذين فى المجمع كانت عيونهم شاخصة إليه . فابتدأ يقول لهم أنه اليوم قد تم هذا المكتوب فى مسامعكم »[١] . « وهذا المقطع يتحدث عن العودة

(١) إنجيل لوقا ٤ : ١٦ ـ ٢١ .

من النفى والذى تحقق فى عودة اليهود من بابل، والكل يعرف ذلك ، ويؤمن بهذا التفسير المعروف ، إلا أن السيد المسيحفاجأ اليهود قائلاً «اليوم تم هذا الكلام فى مسامعكم » فماذا يعنى المسيح بهذا ؟ لقد كان المسيح يعنى أن العميان والمسجونين هم أولئك الجالسين أمامه فى المجمع ، والذين يستخدمون لغة العهد القديم مثل العودة وتحرير الأرض بمعنى حرفى . وفى مرة أخرى قبض الملك هيرودس على النبى يوحنا المعمدان (يحيى) وأودعه فى السجن ، أرسل يوحنا رسلاً إلى المسيح بسؤال : هل أنت هو الآتى أم ننتظر آخر ؟ أى هل المسيح هو المسيا المنتظر لأجل تحرير اليهود أم ينتظر شخصاً آخر ، وقد أجاب المسيح بتعبيرات أخذها كما هى من كتاب أشعياء النبى والذى استخدمها لوصف العودة من النفى فى اصحاح ٣٥ واصحاح ٦١ قائلاً «إذهبا وأخبرا يوحنا بما رأيتما وسمعتما . أن العمى يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون والصم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يبشرون » وهى نفس كلمات أشعياء ٣٥ : ٥ ، ٦ ، ٦١ : ١ ، وكلمات أشعياء هى قصيدة شعر تصف العودة من المنفى إلى الأرض ، ولقد أعلن المسيح بوضوح أن رسالته التى جاء بها هى تحقيق لكل نبوءات العهد القديم سواء يوم الرب أو مجىء المسيا وحتى النبوءات السياسية منها ، والتى تشير إلى العودة إلى الأرض ، يضع المسيح رسالته كتحقيق لها . جاء أحد المتدينين إلى السيد المسيح وسأله : أقليل هم الذين يخلصون ؟ وهذا السؤال هو نموذج لسؤال أى متطرف أو عنصرى ، فهو يوحى بأن السائل لا يحتاج إلى تعليم فهو أيضاً لا يريد أن يعرف كل التعليم ، ومن ظاهر السؤال يبدو كأنه يريد عدد الذين يخلصون ومن هم ؟ وهو هنا أيضاً لايريد أن يعرف حقيقة بل يريد أن يسمع الإجابة التالية : إن الذين

سيخلصون عدد قليل جداً وهم أولئك الذين من جنس يهودى بالذات المتعصبين للجنس والدين والطائفة ، لكن السيد المسيح كانت إجابته مفاجأة فهو ترك السؤال معلقاً فى الهواء كعادته ، ثم توجه للجماعة الموجودة قائلاً « إجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق » والباب الضيق هنا كما فسره السيد المسيح هو باب الحب للآخرين المختلفين عنا وقبولهم ، وإدراك أن الله يتعامل معهم ، فالدخول من الباب الضيق محاولة لإدراك إتساع الله غير المتناهى الذى يشمل الكون ككل . فالباب الضيق هو باب التخلص من التعصب والعنصرية ، ولذلك أردف المسيح بالقول « يأتون من المشارق ومن المغارب ومن الشمال والجنوب ويتكئون فى ملكوت الله [١] » ، إن البشر الذين يظنون أن الله مقتصر على جنسهم وعنصرهم فقط يرفضون الآخرين ويقتلونهم باسم الدين يقعون فى خدعة كبرى ، لأنهم يظنون أنهم أكثر الناس قبولاً عند الله ، فى الوقت الذى فيه هم أكثر الناس رفضاً منه ، وسوف يأتون فى اليوم الأخير أمام الله ويقولون له : أليس باسمك تنبأنا ؟ وباسمك أخرجنا شياطين ؟ وباسمك صنعنا قوات ؟ فيقول لهم الله : أبعدوا عنى يا فاعلى الأثم ، لا أعرفكم [٢].

فهؤلاء البشر يضعون العقيدة والعنصر فوق الحب وقبول الآخر وهم فى هذا مخطئون ومرفضون من الله دون أن يدروا .

فى أثناء حرب أكتوبر طلب قائد كتيبة من جنديين أن يذهبا ليحرسا كوبرياً إستراتيجياً على القناة ، لكن الجنديين لم يدرسا الخريطة المعطاة لهما بعناية ، فأخطآ الطريق ووجدا أمامهما كوبرياً فظنوه هو المقصود .

(١ ، ٢) إنجيل لوقا ١٣ : ٢٢ ـ ٣٠ .

ووضعا أسلحتهما عليه ووقفا يحرسانه . وقد كان هذا الكوبرى يبعد سبعة أميال عـن الكوبرى المقصـود . وانقطع عنهما الطعـام والشراب واعتبرا من المفقـودين أو الهاربين ، وعنـدمـا عثـر عليهما وجدوهما يقفـان على أهبـة الإستعداد للدفاع عن الكوبرى ، وبإخلاص منقطع النظير ، ورغم أنهما كادا أن يموتا مـن الجوع ، ورغم إخلاصهما ، قدمـا لمحاكمة عسكريـة وعوقبا ، ذلك لأنهما لم يقوما بحراسة الكـوبرى الإستراتيجى ، وإخلاصـهما فى هذه الحالـة لم يشفـع لهما ، فـرغـم إخـلاص العنصريين والمتطـرفين إلا أنهم سيكتشفون فى النهايـة أنهم يقفون على الكوبرى الخطأ وذلك عنـدما يقول لهم الله « تباعدوا عنى يا فاعلى الظلم ، لاأعرفكم، من أين أنتم » [١] .

وفى استخـدام المسيح لتعبيرات تجميـع اليهـود من أطـراف الأرض إلى فلسطين ، بمعنى تجميع ـ شعب الله من كـل أمة وشعب ولسان ليعودوا إلى الله ، لم يقدم تفسيراً روحياً للعهـد كما يظن البعض ، لكنه يعلـن بوضوح ، حسـب مفهومـه ـ أن تجميـع المؤمنين مـن كل أمـة فى ملكوت الله إنما هـو التحقيق الفعلى لمثل هذه النبوءات .

إن أرض الميعاد الحقيقيـة ـ فى مفهـوم المسيح ـــ هى الأرض بكـاملها ، والتى يدعـوها الله لأن تتحول إلى ملكوته ، أى إلى عائلـه واحده على أختلاف الأمم والألسنـة ، إذ يملك الله عليها ويوحـدها بروحـه أفراداً وشعوباً ، مع تأكيـد الفرادة والتمايز بينهـم ، فأرض الميعاد الجديـدة لاحدود لها ، لأنها المسكونة كلها إذ يتحقق فيهـا وعد الله بأن تتبارك بذرية إبراهيم ، فتتحول جميع قبائل الأرض وشعوبها إلى شعب واحـد لله يؤول تنوع عناصره لا إلى صراع وإقتتال بل إلى تناغم وتكامل [٢] .

---

(١) إنجيل لوقا ١٣ .

(١) كوستى بندلى . إسرائيل بين الدعوة والرفض . بيروت . منشورات النور ١٩٨٥ .

ثانياً : المفهوم المسيحى للمسيا

لقد كان الخلاف الرئيسى بين التلاميذ والمسيح هو فى مفهوم « المسيا» ، فقد كان التلاميـذ ينظرون إلى المسيح كالمسيا العسكرى الـذى سوف يقوم بقيادة جيـش نظامـى عسكرى لتحـرير فلسطين مـن الرومـان ، وبقوتـه المعجـزية سـوف يقـوم بتحطيم أعـدائه ، ويعلى قـوميـة وعنصرية شعـب إسرائيـل ، فى الوقـت الـذى فيه رفض المسيح هـذا الفكـر تماماً ، ورفـض مشروع تتويجه ملكاً على دولـة إسرائيل ، وأعلن ان مثل هـذا المشروع يقف ضد إرادة الله ، الذى يريد أن يجمع كل شعوب الأرض معاً فى محبة وسلام ، ولقد كان المسيـح يعلم أن الأمم تقاد بمنطـق إبليس فى التعامل مـع بعضها البعض ، حيـث البقاء والسيـادة للاقـوى ، وحيث تسـود شهوة التسلـط والهيمنة والتـوسع لدى الأمـم ولذلك أطلـق على الشيطان لقب « سيـد هذا العالم » ولقد أسىء فهم المسيح أكثر مـن مرة ، فعندما صنع معجزة أشبع فيها خمسة آلاف رجل غير النسـاء والأطفال بخمسة أرغفة وسمكتين ، أراد الشعب أن يخطفه ويجعله ملكـاً فهرب منهم وأختفى [١] ولقد كان المسيح يحذر التلاميـذ من إذاعة أمـر معجزاته ، حتـى لا يسىء المواطنون اليهود فهمه، ويظنـونه المسيا القومـى والعنصرى الذىيحلمون بمجيئـه . وبقدر ماكان المسيح معرضاً أيضاً للصراع الداخلى بين رفضه القيـام بهذا الدور وبين القيام به.

ولقد حسم المسيح هذا الصراع برفضه تأسيس ملك أرضى ، وهو مادعا الشعب لأن يرفضه لأنهم ظنوا أن تأسيـس الدولة العنصرية هـو من الله .

---

(١) إنجيل يوحنا ٦ : ١٥ .

وفى موقف مـن المواقف الخطيرة فى حياة المسيح ، بدأ يصـارح تلاميذه بأنه سوف ينبذ مـن رؤساء شعبه ، ويموت وإذ بـه يصطدم بالحلم الـذى كان يراودهم بتزعـم دولة قومية تقام فى فلسطين برئاسـة المسيح فإذا ببطرس ينفرد بـه غاضباً وينتهره « وقـال القول علانيـة فأخذه بطرس إليـه وابتدأ ينتهره . فالتفت وأبصر تلاميذه فانتهـر بطرس قائلاً اذهب عنى ياشيطان . لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس . » (مرقس ٨ : ٣٢ ، ٣٣) .

وهنا نرى كيف أن المسيح واجه بطرس بقوة ووبخه ، وهذا الحديث القاسى إن نم على شىء فإنما ينم على ذلك الصراع الذى كان المسيح يجتاز فيه مع تلاميذه ، وعن الجهد الذى إحتاج أن يبذله ليجعل ارادة الله هى السائدة على أرادة الناس ورغباتهم من حوله . ولقد كان التطلع إلى دولة عنصرية وتحقيقها بالعنف والدم هو دستور لاحدى الجماعات المتطرفة فى ذلك الوقت والتى تدعى « الغيوريون » ، وكانت هذه الجماعة تقوم بأعمال إرهابية بغرض التمهيد لإقامة مملكة قومية لله فى فلسطين ، وكان بعض أعضاء هذه الجماعة على اتصال وثيق بالسيد المسيح ، بل إن بعض تلاميذ المسيح كانوا ينتمون إلى هذه الجماعات أو يتعاطفون معهم على أقل تقدير ، مثل سمعان الملقب بالغيـور ، وربما كان بطرس ويعقوب ويوحنا منهم أيضاً ، ويعتقد أن يهوذا الاسخربوطى كان عضواً بارزاً فى هذه الجماعة ، وأن لقبه الاسخربوطى مشتق من عبارة لاتينيـة كان يطلقها الرومان عـلى « الغيوريون « ، وتعنى « حملة الخناجر » ، وإنه ربما إنتسب للمسيح ، أملاً فى أن يحقق المسيح حلم الغيورين فى إقامة وطن قومى عنصرى لليهود فى إسرائيل ، ولما خاب أمل يهوذا فى ذلك أسلم المسيح للمحاكمة والموت . ولقد كان لتصميم المسيح على رفض العنف ، السبب الرئيسى فى تسليمه

للمحاكمة والحكم عليه بالموت صلباً ، ولقـد أعلن المسيح هذا أمام بيلاطس أثناء محاكمته بمـوجب تهمة إثارة الشغب ضد قيصر بغـرض القيام بثورة قومية وتتويج نفسـه ملكاً بقوله « مملكتى ليست من هذا العـالم . لو كانت مملكتى من هذا العالم لكان خدامى يجاهدون لكى لا أسلم إلى اليهود . ولكن الآن ليست مملكتى من هنا « (يوحنا ١٨ : ٣٦) .

وقد عبر الأب كـوريون عن هـذه المعانى بقـوله « ليس مفهـوم الصليب سـوى أن ذريـة إبراهيـم ابن داود الإنسـان يـأبى أن يكـون مسيحـياً قومياً » (١) .

ثالثاً : المفهوم المسيحى لإورشليم (٢)

لقد كـان لاورشليم دائماً أهميـة خاصـة عند الأنبيـاء ، خاصـة عندمـا يتحدثون عن مستقبل إسرائيل ، أمـا عندما تحدث عنها المسيح ، فقد تحدث عنهـا كمكـان سوف يخرب ويهدم ، وذلـك بسبـب مقـاومتهـا لرسـالتـه واضطهاده وقتله ، ولقد تحدث السيد المسيح عن خراب أورشليم بالقول : ياأورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الـدجاجة فراخهـا تحت جناحيها ولم تـريدوا . هوذا بيتكم يترك لكم خراباً . (متى ٢٣ : ٣٧ ، ٣٧) - «وفيما هو خارج من الهيكل قال له واحد من تلاميذه يا معلم انظر ماهذه الحجارة وهذه الأبنية . فأجـاب يسوع وقال له أتنظـر هذه الأبنية العظيمـة . لا يترك حجر على حجر لاينقض » (إنجيل مرقس ١٣ : ١ ، ٢) .

(١)كوستى بندلى . إسرائيل بين الدعوة والرفض . بيروت . منشورات النور ١٩٨٥ .
(٢) Colin Chapman 8 Whase Promised Land ? Sydny 1983 .

وهذه الكلمات مأخوذة بالنص من حديث أشعياء عن خراب بابل « هوذا يوم الرب قادم قاسيا بسخط وحمو غضب ليجعل الأرض خرابا ويبيد منها خطاتها . فإن نجوم السموات وجبابرتها لا تبرز نورها . تظلم الشمس ضد طلوعها والقمر لا يلمع بضوئه « (سفر أشعياء ١٣ : ٩ ، ١٠) .

وهنا وبسهولة جداً نستطيع أن نـدرك كيف ربط السيد المسيح فى ذهنه بين بابل الوثنية وأورشليم فى سر خـرابها ، ولقد أراد المسيح بهذا الربط أن يعلن لسـامعيه مـن اليهود أن الله سوف يعـاقب المدينـة المقدسـةأورشليم بنفس الطريقة التى عاقب بها المدينـة الوثنية بابل ، أى أن المدينتين تساويتا فى نظر الله ، ذلك لأن طريق العودة إلى الله لم يعد يمر حتماً من أورشليم ، بل صار هنالك طريقاً عالمياً جديداً غير مرتبط بجنس أو عنصر للعودة إلى الله .

فى حرب ١٩٦٧ إجتـاحت القوات الإسرائيليـة أورشليم ، وهنـا ارتفعت أصوات بعـض مفسرى الكتاب المقدس بـالقول : إن مـاتنبأ به المسيـح عن خراب أورشليـم قد وقـع عندمـا قال « ويقعـون بفم السيـف ويسبون إلى جميع الأمم . وتكون أورشليم مدوسة من الأمـم حتى تكمـل أزمنة الأمـم » (إنجيل لوقا ٢١ : ٢٤) .

وفى ترجمة أخرى « حيـث ينتهى وقت الأمم » وقـال هؤلاء المفسرون أنه بأجتياح اليهـود لاورشليم انتهى وقت الأمم ، وعـادت أورشليم إلى اليهود ، وهذه أحدى علامات المجىء الثانى للمسيح .

ومشكلة هؤلاء المفسرين ، أنهم يأتون بأفكار من الصعب جداً أن تجدها فى النـص أو فى خلفيته ، وهـم من أصحـاب التفسير النفسى والإجتماعـى للكلمة المقدسة ، وأصحاب هذه النظرية يأتون بأفكار جاهزة ومعدة سلفا ، يعكسونها على الكتاب المقدس ، ليخرجوا بتأييد من الوحى لنظرياتهم فكلمة

« حتى » فى جملة « حتى تكمل أزمنة الأمم » لاتعنى المستقبل بأى حال فهى لا تشير إلى الزمن ، فعندما يقول الله لأحد الأنبياء مثلاً « أنا لن أتركك حتى أتمم ما وعـدتك بـه » أو عندمـا يقول أب لابنـه «لن أتـركك حتـى تنجح فى الامتحان هذا العام » هل يعنـى هذا أن الله أو الأب سيترك النبى أو الابن بعد ذلك ؟ أن كـل ما كان فى ذهـن المسيح وهـو يقول هذه الكلمات عنـدئذ ، هو حدخراب أورشليم عام ٧٠ م ، ولم يكن يفكر فى زمن عودة اليهود بأى حال، بل يقول إن أورشليم ستخرب لكى تصل الـرسالة إلى الأمم والعالم ، أى أنه هنا يعلـن كسر حدة العنصريـة بخراب أورشليـم ، حيث يعـرف العالم الله مباشرة دون وسيـط . ولذلـك فعندمـا قال المسيـح إن أورشليم ستخـرب بواسطة الأمم حتـى يأتى ملء الأمم ، فقد أراد أن يصـل تلاميذه إلى نتيجه هى أنه ربما يـأتى اليوم الذى فيـه يترك الأمم أورشليم بعد خـرابها ، سواء بعد عام أو ألف لكـن ليست هذه هى النقطة المركزيـة التى يجب أن ينتبهوا إليها إطلاقاً ، والدليل على ذلك أنـه لم يذكر شيئاً عما سيحدث فى المستقبل ، ولم يتحدث عن حكم اليهود لاورشليم ثانية ، ولم يذكر مستقبل الأرض على أى حال ، فكيف يستنتج هؤلاء المفسرون كل هذا من مجرد كلمة « حتى » ؟

أما أورشليم بالنسبـة للسيد المسيح فلم تكن سوى المدينـة التى أعلن فيها رسالتـه ، وحوكـم فيها، وحكم عليـه بالموت ، ولأن المدينـة لم تقبل رسـالة المسيح ، ولم تتجاوب مع فكر الله ، وفشلت فى فهمه ، لذلك أراد الله لها خراباً، وفى هذا لم يخرج الله عن خطه الواضح على طول التاريخ ، فكل مدينة أرسل الله لها أنبياء ورسل ورفضتهـم ، كان عقابها ببساطـة هو الخـراب ، وهكذا نرى أن عهـد الله مع شعب معين سواء مـن وعد بأرض معينة ، أو تـأسيس دولة لم يعد لـه مكان ، فهو ضرب من العنصرية لم يقبله سـوى من لايدرك عمق فكر الله واتساعه .

وفى سفر الـرؤيا آخـر أسفار العهـد الجديد مـن الكتاب المقـدس ، نرى التحقيق الكامل لعهد الله مع إبراهيم كما يلى :

١ ـ **الوعد بالأرض** : لم يعد وعداً بأرض فلسطين ، بل أصبحت الأرض كلها لشعب الله الـذين يقبلونه مـن كل أمة ، وفى نهاية الأيـام ستكون أرض جديـدة وسماء جديـدة لكل المؤمنين « ثـم رأيت سماء جـديدة وأرضـًا جـديـدة لأن السماء الأولى والأرض الأولى مضتـا والبحـر لا يـوجـد فى مابعد» (سفر الرؤيا ٢١ : ١) .

٢ ـ **الوعد بعلاقـة خاصة بين الله وشعبه** : تحققت الآن بإعـلان الله ذاته لكل البشر وحياتـه معهم وسوف يكونـون هم شعبه « وسمعت صـوتاً عظيمًا من السماء قائلاً هوذا مسكن الله مـع الناس وهو سيسكن معهم وهم يكـونون له شعباً والله نفســه يكون معهم إلهًا لهم » (سفر الـرؤيا ٢١ : ٣) .

٣ ـ **الوعد ببركة كل شعوب الأرض** : سوف تتحقق فى النهاية فى الجمهور العظيم الذى لا يستطيع أحد أن يعده من كل أمة وشعب وقبيلة والقبائل والشعوب الألسنة واقفون أمام العرش وأمام الخروف متسربلين بثياب بيض وفى أيديهم سعف النخل « (سفر الرؤيا ٧ : ٩)
أما القول بأن عودة شعب اليهـود إلى فلسطين وتأسيس دولة إسرائيل إنما هـو تمهيـد للمجىء الثـانـى للمسيـح حـرفيـاً لمدة ألف عـام ، فهـذا ماسنحاول دراسته معاً فى الفصل التالى .

الفصل الخامس

دولة إسرائيل والمجىء الثانى للمسيح

تعتبر عقيدة المجـىء الثانى مـن العقائد المتميـزة فى المسيحية ، إذ تعتبر إحدى الاركان الأساسية للإيمان المسيحى ، فيؤمن المسيحيون بأن ملكوت الله يوجد الآن فى العـالم من خلال شعبة الـذى يؤمن به ، ويجعلـه ملكاً على حياتـه ، وسوف يعلـن ملك الله للعالم بقـوة فى اليوم الآخر بـالمجىء الثـانى للمسيح ، ونحن الآن نعيـش زمن ما بين مجيئين للمسيح ، فـالمجىء الأول والذى وقع من ألفـى عام وتوقع المجىء الثانى الذى لا يعـرف أحد موعده ، وتوقـع المجىء الثانـى من أهم مـوضوعات الإنجيـل ، فلا يخلو سفـر من أسفاره من الحديث عن المجىء الثانى للمسيح ، وكل مسيحيي العالم تقريباً يؤمنون بهذه العقيدة ، إلا أن الاختلاف يقع فى كيفية وتفاصيل هذا المجىء ، وهذه الأختـلافات على كيفيـة المجىء كـانت هـى الثغرة التـى نفذت منهـا الصـهيونية لتقنـع بعض المسيحيين بأنها كدولة علمانية عسكـرية ، إحدى علامات المجىء الثـانى ، وخاصة أن التاريخ اليهـودى هو الخلفية الأصلية للمسيحية والإسلام ، ولذلك كان إنسلاخ المسيحية من اليهودية من الأمور الصعبة ، والتـى حملت معهـا بعض الشوائب ، أهمهـا توقـع مجىء المسيا العسكرى الـذى يحارب ويحكم العالم حكماً ماديـاً ، وبهذا تعتبر المسيحية

من وجهة نظرهم ـ كاحدى الطوائف اليهودية ، وإن لم يعلنوا هذا بوضوح فهم يؤمنون بأن المسيح فى مجيئه الأول كان لأجل الأمم فقط ، لذلك فرسالته تعتبر فرعًا من اليهودية الأصلية ، وفى مجيئه الثانى سيأتى لأجل اليهود بنفس عقيدتهم القديمة من مسيا القوة والعنف ، وبهذا تعود المسيحية إلى الشجرة الأم ، اليهودية ، ويثبت عدم زيف عقيدتهم فى المسيا العسكرى ، مع التأكيد على وهم مسيا السلام ، فعقيدة المسيا القومى لا زالت قائمة لديهم رغم نفى المسيح القاطع لها ، وطبقاً لذلك فالمسيحية ليست إلا مرحلة وسطى تنتهى بانتهاء مهمتها ، فعودة المسيح سوف تكون بصورة قوية تراجيدية إذ يأتى هذه المرة ليقف مع إسرائيل فى مواجهة كل قوى الشر فى العالم ، ويهزمها فى موقعة دموية قاسية يقتل فيها ثلثى العالم، وبعد الانتصار على هذه القوى الشريرة ، يقوم المسيح بحكم العالم . وكأنه صعب على هؤلاء أن يكون المسيح فى مجيئه الأول بكل هذا الضعف ، فلابد وأن يأتى مرة ثانية بقوة ، وليس بقوة فقط بل بعنف ودموية كما كانوا يتوقعونه فى مجيئه الأول وخيب رجاءهم .

لذلك سيأتى ويحكم لمدة ألف عام على الأرض ، وبناء على هذا الفكر ظهر فى تاريخ الفكر المسيحى اللاهوتى عدة نظريات لهذا المجىء سوف نناقش أهمها وأكثرها شهرة .

نظريات الملك الألفى

جاءت هذه النظريات جميعاً نتيجة لما كتب فى سفر الرؤيا (آخر أسفار الكتاب المقدس) عن ملك المسيح لمدة ألف عام ، وفيه يحكى يوحنا الرسول

رؤيا كان قد رآها عن مستقبل العالم ، ونص هذا الجزء كما يلى : « ورأيت ملاكاً نازلاً من السماء معه مفتاح الهاوية وسلسلة عظيمة على يده ، فقبض على التنين الحية القديمة الذى هو إبليس والشيطان وقيده ألف سنة ، وطرحه فى الهاوية ، وأغلق وختم عليه لكى لا يضل الأمم فيما بعد حتى تتم الألف سنة وبعد ذلك لابد أن يحل زماناً يسيراً . ورأيت عروشاً فجلسوا عليها وأعطوا حكماً ورأيت نفوس الذين قتلوا من أجل شهادة يسوع ومن أجل كلمة الله والذين لم يسجدوا للوحش ولا لصورته ولم يقبلوا السمة على جباهم وعلى أيديهم فعاشوا وملكوا مع المسيح ألف سنة . وأما بقية الأموات فلم تعش حتى تتم الألف سنة .

هذه هى القيامة الأولى مبارك ومقدس من له نصيب فى القيامة الأولى هؤلاء ليس للموت الثانى سلطان عليهم بل سيكونون كهنه لله والمسيح ، وسيملكون معه ألف سنة .

ثم متى تمت الألف سنة يحل الشيطان من سجنه ويخرج ليضل الأمم الذين فى أربع زوايا الأرض جوج وماجوج يجمعهم للحرب الذين عددهم مثل رمل البحر فصعدوا على عرض الأرض وأحاطوا بمعسكر القديسين وبالمدينة المحبوبة فنزلت نار من عند الله من السماء واكلتهم وإبليس الذى كان يضلهم طرح فى بحيرة النار والكبريت حيث الوحش والنبى الكذاب وسيعذبون نهاراً وليلاً . (سفر الرؤيا ٢٠ ـ ١ ـ ١٠) .

ولقد انقسم المسيحيون حول هذه النظرية إلى أربع فرق نعرضها كمايلى:

النظرية الأولى : نظرية القبل ألفين التاريخية (سابقو الملك الألفى) [(١)]*.

---

(١) * انظر باب المصطلحات تحت رقم (١) والشكل رقم (١) ص ١٩٣ .

وتأتى كلمة (التاريخية) هنا بسبب أن أصحاب هذا التفسير عاشوا فى القرون الأولى الميلادية ، فهم بعض آباء الكنيسة الذين آمنو بالملك الألفى ومنهم إريناوس وترتليان وجوستن مارتر وأوغسطينوس (رغم أن أوغسطينوس رفض هذا الفكر بعد ذلك فى نهاية حياته) وأصحاب هذا الرأى يعتقدون أن مجىء المسيح الثانى سوف يسبق الملك الألفى ولذا سموا بالقبل ألفيين أو سابقى الملك الألفى ، بمعنى أن المسيح سوف يأتى ثانية بشكل حرفى ، ثم يحكم الأرض لمدة ألف عام ، ولقد وجد هؤلاء فى العهد القديم مقاطع كثيرة تؤيد فكرهم ، خاصة فى أسفار حزقيال ودانيال والاصحاحات الأخيرة من إشعياء والتى تتحدث عن عودة الشعب من سبى بابل وسيادة السلام وطبقاً لهذه النظرية فهناك بعض الأحداث يجب أن تقع قبل المجىء الثانى للمسيح وهى كالتالى :ـ

(ا) الكرازة بالإنجيل لكل الأمم (أى وصول الإنجيل إلى كل العالم دون استثناء) .

(ب) الضيقة العظيمة : (وهى فترة اضطراب تسود الأرض كلها تكون فيها حروب ومجاعات وزلازل ويموت خلالها ثلثى العالم) .

(جـ) ظهور شخصية « ضد المسيح » (وهنا يتجسد إبليس فى إنسان ملك أو رئيس له سلطان ويتحدى المسيح) ، وتنادى هذه النظرية بأن الكنيسة سوف تجتاز الضيقة العظيمة ، ولقد رأى يوحنا الكنيسة خارجة من الضيقة وسأل الملاك عنها فأجاب هؤلاء هم الذين أتوا من الضيقة العظيمة وقد غسَّلوا ثيابهم وبيضوا ثيابهم فى دم الخروف (سفر الرؤيا ٧ : ١٤) .

وقد اقترح بعض مؤيدى هذه النظرية بأن فترة الضيقة العظيمة سبع

سنوات وهو الزمن الذى سيكون فيه اضطراب ضخم على الأرض وهو مايعبر عنه سفر دانيال (أحد أسفار العهد القديم) بالأسبوع السابع (١) فقد قسَّم دانيال الزمن إلى سبعة أسابيع وكل أسبوع يُعبر عن حقبة زمنية معينة ، ونحن الآن فى الأسبوع السادس أى ما قبل الأخير ، وبعد مجىء المسيح وأختطاف الكنيسة يبدأ الأسبوع السابع والأخير، وفى هذا الأسبوع الأخير سوف تجتاز إسرائيل فى الضيقة العظيمة حتى يتوبوا ويعودوا إلى المسيح كجماعة وبعد توبتهم يبدأ الملك الألفى للمسيح .

أما البعض الآخر فلم يركز على زمن الضيقة لأنها سوف تنتهى على أى حال . لكن اتفق الجميع من أصحاب هذه النظرية على أن المسيح سوف يأتى بعد الضيقة العظيمة ، وعندما يأتى المسيح سوف يقوم الأموات المؤمنون به من القبور ، فى الوقت الذى فيه تتغير أجساد المؤمنين الأحياء ، إلى أجساد سماوية ، والكل سوف يخطف لملاقاة المسيح فى الهواء ، ثم بعد ذلك ينزلون معه إلى الأرض ، وعندئذ يقيد إبليس وينتهى حكم « ضد المسيح» على الأرض ، وهنا يعود اليهود إلى المسيح ويؤمنون به كالمسيا ويعترفون بخطاياهم ، وهذه العودة الجماعية من اليهود إلى المسيح سوف تكون سبب بركة عظمى للعالم ، عندئذ يبدأ ملك المسيح على الأرض ولمدة ألف عام ، وهذا الملك يكون حرفياً ومرئياً ، فيه يصبح اليهود والأمم شعباً واحداً للرب ، وأما الأمم التى سترفض ملك المسيح عليها ، فسوف تحفظ فى القيود وتحكم بواسطة المسيح ، وسوف تكون هذه الحقبة (الألف سنة) هى العصر الذهبى للإنسان سياسياً وإجتماعياً واقتصادياً وثقافياً ،

(١) Anthony A. Hoekema - the Bible and the Future .

فيسود العدل والسلام كل الأرض ، وتتحول الطبيعة الشريرة فى كل المخلوقات إلى طبيعة خيرة ، فيعيش الحمل بجوار الأسد دون خوف ، ويضع الطفل يده فى جحر الثعبان ولا يلدغ ، وسوف تخرج الصحراء خضاراً وزهوراً ، وبأقتراب نهاية الألف عام ، يحل إبليس من قيوده ، ويخرج ليضل الأمم مرة ثانية ، ويجمع كل الأمم معه للمعركة الأخيرة ضد المسيح ، فيجمع معه جوج ملك روش ويفسرونها ملك روسيا ، وماجوج ملك تركيا والصين وإيران .. الخ . ويقودهم للهجوم على معسكر القديسين ، « المسيح وشعبه فى أورشليم » وتقع المعركة (هرمجدون) ، ولكن تأتى فجاءة نار من السماء وتبيدهم ، وبعد هزيمة الأمم ، يقاد إبليس إلى البحيرة المتقدة بالنار (جهنم) ويبقى فيها إلى الأبد ، وبعد نهاية الألف سنة يقوم غير المؤمنين من الأموات ، ثم تكون الدينونة لكل البشر أمام عرش الله العظيم، وكل من يوجد اسمه مكتوباً فى سفر الحياة سوف يدخل إلى السماء ويعيش مع الله إلى الأبد ، ومن لا توجد اسماؤهم فى سفر الحياة سوف يلقون فى بحية النار والكبريت إلى أبد الآبدين .

ولقد انتشرت هذه العقيدة بقوة بعد القرن الرابع الميلادى وقد أعلن أغسطينوس [1] رفضه لهذه العقيدة ، وإيمانه أن ملك المسيح لابد وأن يكون ملكاً روحياً لا حرفياً .

ومع نهاية القرن الرابع اختفت هذه العقيدة ثم ظهرت بصورة ضعيفة فى عصر الأصلاح (القرن السادس عشر) ، ولكنها بدأت فى الظهور بقوة فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، خاصة فى الأوساط الشعبية ، بل

(١) أغسطينوس واحد من أعظم الآباء إن لم يكن أعظمهم والذى تتفق عليه جميع الطوائف المسيحية فى كل العالم .

وأصبحت العقيدة الشعبية السائدة أثناء الثورة الفرنسية ١٧٩٨ ، واستخدمت استخداماً سياسياً ، فقد فسرت شخصية « ضد المسيح » بأى شخص يقف ضد الثورة ، ومن يرفض الراديكالية (التطرف الثورى) إنما هو « ضد المسيح » ، ولقد ذهب أصحاب هذه العقيدة فى ذلك اليوم وهم هنرى دروماند وأدوارد ارفانج إلى أبعد من ذلك خلال صحيفتهم النبوية .

فقد اعلنوا أن الثورة الفرنسية حققت نبوءة دانيال النبى القديم والتى قال فيها « ثم رأيت وحشاً آخر طالعاً من الأرض وكان له قرنان شبه خروف ويتكلم كتنين .

ويعمل بكل سلطان الوحش الأول أمامه ، ويجعل الأرض والساكنين فيها يسجدون للوحش الأول الذى شفى جرحه الميت . ويضع آيات عظيمة حتى أنه يجعل ناراً تنزل من السماء على الأرض قدام الناس . ويضل الساكنين على الأرض بالآيات التى أعطى أن يصنعها أمام الوحش قائلاً للساكنين على الأرض أن يصنعوا صورة للوحش الذى كان به جرح السيف وعاش . وأعطى أن يعطى روحاً لصورة الوحش حتى تتكلم صورة الوحش ، ويجعل جميع الذين لا يسجدون لصورة الوحش ويقتلون ، ويجعل الجميع الصغار والكبار والأغنياء والفقراء والأحرار والعبيد تصنع لهم سمة على يدهم اليمنى أو على جبهتهم وأن لا يقدر أحد يشترى أو يبيع الا من له السمة أو اسم الوحش أو عدد اسمه . هنا الحكمة من له فهم فليحسب عدد الوحش فأنه عدد إنسان . وعدده ستمائة وسته وستون (سفر الرؤيا ١٣ : ١١ ـ ١٨) .

وأكدو بناء على ذلك رفضهم لحكم روما ، وسلطان البابا عليهم عام ١٧٩٨ ، إذ إعتبروا البابا هو الوحش المذكور فى سفر الرؤيا (٦٦٦) ، وبهذا

أخرج أصحاب هذه العقيدة الثورة الفـرنسية من قلب الكتاب المقدس ، كما يخرجون دولـة إسرائيل وحـرب الخليج وغيرها اليـوم ، وقد قـاموا بتـأييد الثورة الفـرنسية بسلطان الوحـى ، وهذا يجعلنا نفهـم لماذا يفسر أصحاب هذه العقيـدة الوحـش (٦٦٦) على أنه هتلـر ، أو عبد النـاصر ، أو ريجان أواليـوم صدام حسين ، ونفهـم أيضـاً تـأييدهـم لـدولـة إسرائيل ، فهـذه التفسيرات ليست بغريبة على أسلوبهم فى تفسير الكتاب المقدس .

النظرية الثانية (١) : القبل ألفيين المحدثين (الحقبية)

وتعتبر هذه النظـرية إمتدادًا للنظـرية الســابقة القبل الفين التـاريخية ، والتى عملت بواسطة اللاهوتيين القدامــى منذ القرن الثانى الميلادى أما هذا التعليم المحدث للقبل ألفين فهو يفصل فصـلاً تاماً بين إسرائيل والكنيسة ، عكـس التعليم الأول ، وهـذا التعليـم لم يظهر قبـل جـون نلسون داربــى (١٨٠٠ ـ ١٨٨٢ م) وظهرت على يـد سكوفيلد عام ١٩٠٩ ، وهذا مـا يؤكد نظرية اختراق الفكر اليهودى للمسيحية ، ويتفـق أصحاب هذه النظرية مع النظرية التـاريخية فى أن المسيح سوف يحكم الأرض بصورة حـرفية لألف سنة بعـد مجيئه الثانى ، لكـن هناك فروق كثيرة بين النظريتين ، لكـن قبل الحديث عن هذه الفروق علينا أن ندرك ملمحين أساسيين لهذه العقيدة .

١ ـ تبنـى التفسير الحرفى لكل الكتاب المقدس ســواء كان النص أخـلاقياً أم أدبياً أم تـاريخياً (وهو ما يسمـى التفسير بظاهر النص) وهـذا خطأ فادح فى فهم قواعد التفسير وتطبيقها فلا شك أن هناك نصوصاً كثيرة لاتفسر حرفياً .

---

(١) David Bruce . Approaches to Biblical prophecy . Belfast 1984 .

انظر الشكل (٢) ص ٢٠٢ .

شـكل رقم (١)

ويمكن أن نضع هذه العقيدة حسب الشكل التالى :

ترتليان — أغسطينوس
إيريناوس — هنرى دروماند
جستن مارتر — ادوارد إرفانج

المجىء الثانى للمسيح وبداية الألف سنة

ـ ربط الشيطان
العصر الذهبى للإنسان
سياسياً واجتماعياً واقتصادياً

الضيقة العظيمة ٧ سنوات

الكرازة بالإنجيل لكل الأمم

الكنيسة

المجىء الأول للمسيح

القيامــــــة
الدينونــــــة
المدينة الجديدة

الألـف سنة

حل إبليس وهزيمته نهائيًا فى معركة هرمجدون رؤيا ٢٠ : ٧ ـ ١٠

ولقد هوجمت هذه العقيدة من النقاد الأوروبيين واعتبرها البعض من عمل إبليس .

٢ ـ تقسيم التاريخ الإنسانى إلى حقب تبعا لتعاملات الله مع الإنسان ، واعتمدوا فى ذلك على إختلاف أسلوب الله فى تعامله مع الإنسان من حقبة لأخرى حسب تصورهم ، ولذلك سموا (بالحقبيين) وهى كلمة استخدمت لشرح النظام الذى وضعوه لشرح كيف أن الله تعامل مع الإنسان بسبع طرق مختلفة على طول التاريخ ، والكلمة (حقبة) تعنى فى مفهومهم زمن يختبر فيه الإنسان اعلانات الله عن إرادته (سكوفيلد).

ولقد حددوا الحقب كما يلى :

١ ـ حقبة الطهارة (الفطرة) وهى فترة ما قبل سقوط أدم فى الخطية (فترة الجنة) قبل الطرد أو النزول .

٢ ـ حقبة الضمير (المسئولية الإنسانية) وهى الفترة من سقوط آدم إلى نوح .

٣ ـ حقبة الحكومة البشرية وهى الفترة من نوح إلى إبراهيم .

٤ ـ حقبة الوعد وهى الفترة من إبراهيم إلى موسى .

٥ ـ حقبة الشريعة وهى الفترة من موسى إلى المسيح .

٦ ـ حقبة النعمة وهى الفترة من مجىء المسيح الأول إلى بداية الملك الألفى .

٧ ـ حقبة الملكوت (الملك الألفى) .

وهذا التقسيم يوضح نظاماً فى منتهى التعقيد لكى يبين الفرق بين زمن وآخر وهو يعتمد على تفسير حرفى ثقيل للنبوات ، ويعتمد أيضاً على أن كل نبوة يجب أن تحقق بالحرف (بينما يظهر بالضرورة رغماً عنهم بعض الأجزاء تحتاج إلى تأويل والا ما استقام المعنى) ، وهذه قاعدة غير مقبولة فى

مبادئ التفسير العلمى الصحيح للنصوص المقدسة ، حيث يجب الأعتماد على أسلوب واحد فى النص الواحد ، وتتحدث هذه النظرية عن عودة ثانية للمسيح قبل الألف سنة مباشرة وتقع بين الزمن السادس والسابع ، وسوف تكون هذه العودة سرية بهدف إختطاف المؤمنين (الكنيسة) حيث يكونون فى السماء أثناء الضيقة وقبل المجىء الثانى للمسيح ، والذى يتسم بالعلنية ـ وقد إقترح البعض منهم حرباً عالمية ثالثة فى نهايتها يظهر « ضد المسيح » وهو إنسان يأتى إلى العالم قبل أن تبدأ هذه الحقبة بمجد مادى غير عادى ، كملك أو رئيس عظيم ، يتلو ذلك حقبة السبع سنوات وفيها الضيقة العظيمة على العالم ، وقد اقترح البعض الآخر تقسيم هذه الحقبة إلى جزئين كل جزء منها ٣,٥ عام أو ٤٢ شهراً أو ١٢٦٠ يوماً لكل جزء ، فى هذه الاثناء يبدأ نشاط ضد المسيح هذا ، ويقول عنه دانيال النبى ويتكلم بكلام ضد العلى ويبلى قديسى العلى ويظن أنه يغير الأوقات والسنة يسلمون ليده إلى زمان[١] وأزمنة ونصف زمان (دانيال ٧ : ٢٥) .

وفى أثناء هذه الضيقة سوف تؤمن أغلبية إسرائيل بالمسيح كالمسيا ، وبسبب إيمان هؤلاء اليهود سوف يؤمن عدد كبير من الأمم بالمسيح ، وفى ختام السبع سنوات يأتى المسيح ثانية بصورة علنية وبمجد ، حيث يدخل فى معركة مع جميع أعدائه فى موقعة (هرمجدون) ويدمرهم ويسحقهم بقوة ، وفى ذلك الوقت يكون قد تم تجميع اليهود الذين آمنوا بالمسيح أثناء الضيقة العظيمة من كل أنحاء العالم ليستقبلهم حيث يكون وعددهم ١٤٤,٠٠٠ [٢] ، وبمجرد دخول المسيح إلى أورشليم كملك يقيد إبليس ،

(١) الزمان : سنة ميلادية (١٢ شهرًا) .

(٢) سفر الرؤيا الاصحاح السابع والعدد الرابع .

ليملك المسيح ملكاً حرفياً لمدة ألف عام ، وتحت هذا الحكم سيكون لليهود مكانة أعظم من كل الأمم ، فيعاد خلالها بناء الهيكل فى أورشليم وتقدم الذبائح عليه ثانية ، ويملأ السلام والعدل والحب كل العالم ، ويرث شعب الرب (اليهود) الأرض ، ويدخلون إلى ملكوت الله كالشعب المختار ، وفى نهاية الألف عام يحل إبليس من قيده ثم يهزم نهائياً ، وعندئذ تكون القيامة العامة لكل بشر ويدان غير المؤمنين وتبدأ الحياة الأبدية للجميع سواء فى الجحيم أو السماء .

وقد اختلف أصحاب هذه النظرية على ما سوف يحدث أثناء الضيقة العظيمة قبل الملك الألفى مباشرة ، فتقول مارى رلفى مثلاً ، أن أختطاف الكنيسة (جماعة المؤمنين) سيكون فى منتصف الضيقة العظيمة وليس فى بدايتها ، وتؤكد على ذلك من النص على القيامة الأولى ، « ورأيت عروشاً»[١] فجلسوا عليها وأعطوا حكما ورأيت نفوس الذين قتلوا من أجل شهادة يسوع ومن أجل كلمة الله والذين لم يسجدوا للوحش ولا لصورته ولم يقبلوا السمة على جباهم وعلى أيديهم فعاشوا وملكوا مع المسيح ألف سنة . وأما بقية الأموات فلم تعش حتى تتم الألف السنة .

وهذه هى القيامة الأولى . ليس للموت الثانى سلطان عليهم بل سيكونون كهنة لله والمسيح وسيملكون معه ألف سنة « سفر الرؤيا ٢٠ : ٤_٦ »

وقد اعتمدت فى ذلك على أنه بعد اختطاف المؤمنين سيكون من المستحيل أن يؤمن أحد بالمسيح إذ كيف يؤمنون بلا دعوة ، ولذلك يجب أن تبقى

(١) سفر الرؤيا ٢٠ : ٤ ـ ٥ .

الكنيسة فترة أثناء الضيقة لكى تعلن رسالتها فيؤمن بها الآخرون ، وتوجد اقتراحات أخرى ، متشابهة . **ولنا على هذه النظرية مآخذ هامة نجملها فيما يلى :**

إن مدرسة التفسير الحرفى للنبوأت ضعيفة علمياً فلغة النبوة ليست حرفية بصفة دائمة ولا تفسر أبداً بهذا الأسلوب ، ففى سفر العدد ١٢ : ٦ «فقال اسمعا كلامى إن كان منكم نبى للرب فبالرؤيا استعلن له فى الحلم اكلمه».

فهو يقول إن الله سوف يتحدث للأنبياء برؤى وأحلام وليس بالحرف وفى سفر هوشع ١٢ : ١٠ « وكلمت الأنبياء وكثرت الرؤى وبيد الأنبياء مثلت امثالاً ».

وهنا يقول إن الأنبياء سيتحدثون بامثال ، فلذلك ليس من المستغرب أن الكثير من النبوءات كتبت فى شكل صور ، أو لغة رمزية شعرية ، أو خلافه ، والسؤال الذى يواجه هذه النظرية هو لماذا نضع خطا فاصلاً بين التفسير الحرفى والتفسير الرمزى ؟

وهناك بعض قواعد التفسير الأساسية التى لا يجب اغفالها وقد اغفلتها هذه النظرية :

١ ـ **مبدأ البساطة والمباشرة** : فالكلمات تعنى ما يريد قائلها أن يقوله من خلالها مباشرة ، ر بما هنالك ماهو وراء الكلمات ، لكن الأولوية فى التفسير هى فى المعنى المباشر للنص لا ما وراء النص ، وهو ما يطلق عليه علماء التفسير (اللغة) .

٢ ـ **مبدأ الأنسجام** : فالوحى هو أعظم مفسر لذاته ولا يتناقض مع بعضه البعض ولذلك يجب أن نبحث دائماً عن الانسجام ، فلا نلتقط جملة

من هنا وآية من هناك لإثبات رأى ما ، لكن علينا نتعرف على الأتجاه العام للوحى ككل .

٣ ـ مبدأ الخلفية التاريخية (أسباب النزول) : وهو ما نسميه خلفية النص ويتلخص فى محاولة الإجابة على السؤال : ماذا كان فى ذهن القائل فى زمنه وفى موقعه ؟ ماهى القضية التى كانت تلح عليه حينئذ ؟ .. ربما تكون هنالك معان أخرى يمكن أن نستنتجها ، لكن واجبنا الأول هو أن نكتشف الظروف التى قيلت فيها النبوة وكيف فهمها المعاصرون أنذاك ؟

ولنأخذ مثلاً فى حالتنا هذه ، نبوة النبى حزقيال [١] « لذلك تنبأ وقال لهم هكذا قال السيد الرب ها أنذا أفتح قبوركم وأصعدكم من قبوركم يا شعبى وآتى بكم إلى أرض إسرائيل » .ترى متى تحقق هذا ؟ لقد تحدث حزقيال بهذه النبوءة إلى الشعب أثناء نفيه فى بابل الذى بدأ من عام ٥٨٧ ق . م على يد نبوخذ نصر وبسماع الشعب للنبوءة ، فهمها على أنها العودة من سبى بابل ، ثم أصدر قراراً من السلطة بعودة كل الشعوب المنفية إلى بلادها ، وهكذا تحققت النبوءة . إلا أن النص يحتمل أكثر من هذا وأعمق ، وذلك عندما نستخدم مبدأ الأنسجام ، فعندما نقرأ هذه النبوءة بعيون اليوم (مبدأ الأنسجام) نجدها تتحقق فى عودة الناس إلى الله ، فما ظهر على أنه تحقيق حرفى للنبوة فى العهد القديم تحقق روحياً فى العهد الجديد .

أما أولئك الذين يؤمنون بنظرية الأزمنة ، فسوف يواجهون صعوبات جمة فى مبادئ التفسير ، فهم لا يرون أى نبوءة فى العهد القديم لها صلة بالكنيسة ، فكل النبوءات تُفَسر وبطريقة حرفية على إسرائيل ، فالكنيسة

---

(١) حزقيال ٣٧ : ١٢ .

تعيش على هامش التاريخ ، فعندما رفض اليهود المسيح كالمسيا ظهرت الكنيسة ، ولو كان اليهود قبلوا المسيح لما ظهرت الكنيسة أصلاً .

وهنا يبرز السؤال : إذا كان أنبياء العهد القديم تنبأوا عن شعب الله من الأمم (غير اليهود) ، والذى سيعود إليه بتوبة روحية صادقة ، فلماذا تنبأوا عنه باستخدام كلمات : اليهود والأرض ؟ والجواب ببساطة إنه كان لابد وأن يتحدثوا عن شعب الرب من الأمم ، باستخدام مصطلح إسرائيل والأرض ، والهيكل والذبائح ، لأن هذه المصطلحات كانت هى اللغة المفهومة أنذاك ، ولأن هذه الرموز التى يمكن أن يفهمها مستمع ذلك الوقت ، فهم يستخدمون ما يعرفونه ، فكيف يعقل أن يتحدث نبى بلغة غير مفهومة عند الناس .

ولقد عبر البرت بيتر عن الفرق بين الشكل والمضمون بهذا المثل :

كان لوالدين ثريين ابن محبوب وكانا يعيشان أيام العربات التى تحركها الخيول ، وقد وعدا أبنهما الصغير أنه عندما يصل إلى سن الواحدة والعشرين فسوف يقدمان له عربة يجرها زوج من الخيل هدية له ، وعندما وصل الابن إلى سن الحادية والعشرين ، كانت السيارات التى تسير بالموتور والبنزين قد ظهرت إلى الوجود ، ولذلك وفى عيد ميلاده الحادى والعشرين لم تكن هدية الابن عربة وخيول بل سيارة ، والسؤال الآن : هل كان الأب أميناً فى وعده وماذا سيكون موقف الابن لو تحقق الوعد حرفياً ؟ هل سيقبل ؟ ولقد تحدث الأنبياء القدامى على هذا المستوى بطرق مختلفة بأن شعب الأمم سوف يرجع إلى الله ويكون من شعبة مستخدمين تعبير الأرض وإسرائيل وأعلنوا أن الشعب سوف يبدأ فى الفهم فى الوقت المعين ، وقد تحقق الوعد فعلاً فى الشكل الذى تبلور عليه الوضع وهو العودة الروحية إلى الله لكل الأمم .

فى عـدد ديسمبر ١٩٨٥ نشرت جـريـدة الصنـداى تـايـمـز ، أن اهتمام الـرئيس ريجان بهذه العقيـدة جعلت مـوظفـى البيت الأبيـض والحكومـة يحسون بالرعب لئلا تؤثر هـذه العقيدة فى صنع القرار السياسى لأمريكا ، فالمؤمنون بهذه العقيـدة يعتقدون أن روسيا سوف تهاجم إسرائيـل ، لذلك كان ريجان يحس بعـدم الثقة فى علاقته مـع روسيا وفى حديثها عـن الذى يجب أن تقـوم بـه فى الشرق الأوسـط . والشكل رقـم (٢) يـوضـح هـذه النظرية.

النظرية الثالثة (١) :

التفسير الروحى للحكم الألفى (لا حقو الملك الألفى (البعد ألفين) وهذا الرأى يعتبر أكثـر إستقامـة من سـابقيه ، وأهم مـا يميزه هـو القول بـأنه بالمجىء الثـانى للمسيح سوف تكون القيـامة والدينونـة ، وأن الملك الألفى ليس حـرفياً ، وليس لمدة ألف عـام بالضبط ، فتعبير الألف سنـة ، أنما هو زمـن لفترة معينة تنتشر فيهـا الرسـالة بين الأمـم ، ويعود فيهـا الأمم مـن المشارق والمغـارب إلى الله ، وهو الزمن الـذى نعيشه اليوم بصـورة روحية وليست حرفية ، وأما بالنسبة لضرورة تقييد إبليس فى هذه الحقبة ، فقد قيد إبليس فعلاً بعمل المسيح ، وقد صار إبليس خاضعاً لابناء الله وغير قادر على إيذائهـم وفى نهاية هـذه الفترة سوف تقوم عمليـة احياء أو صحـوة دينية ، حيث يعود اليهـود إلى المسيح بطريقة طبيعيـة وبدون عنف أو قتل «فـانى لست أريد أيها الأخوة أن تجهلوا هذا السر لئلا تكونوا عند أنفسكم حكماء» .

---

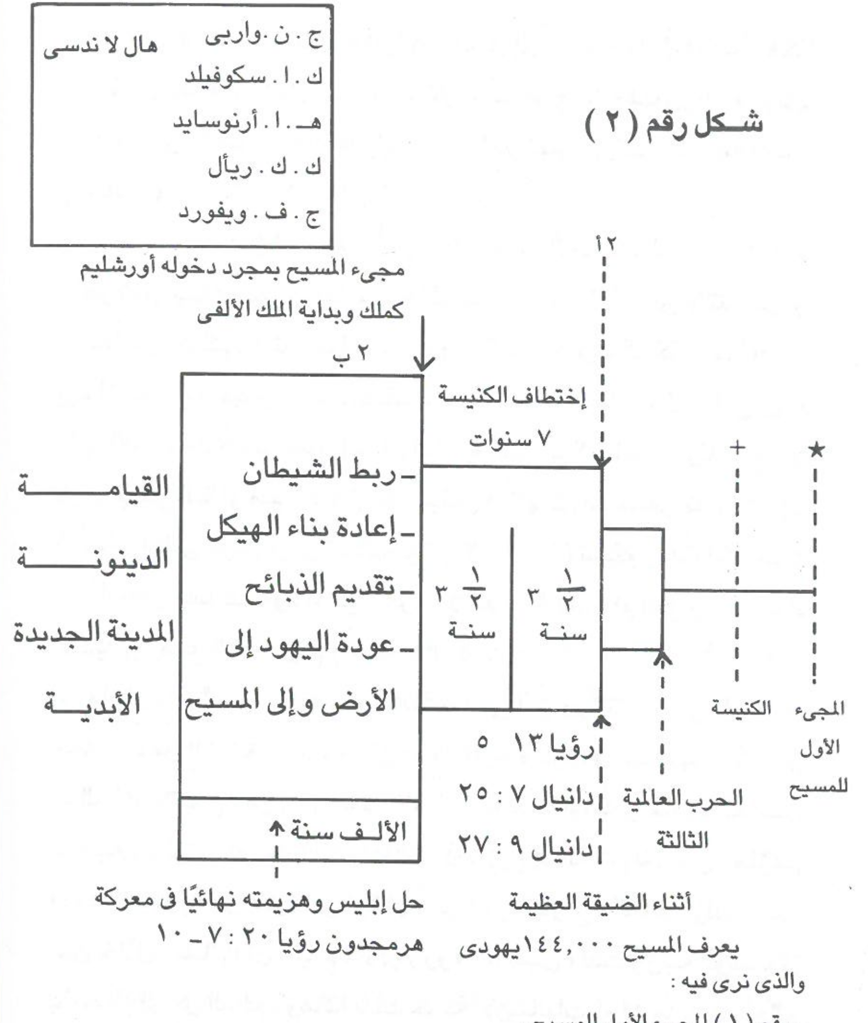
(١) Anthony A. Hoekema - The Bible and the Future .
انظر الشكل (٣) ص ٢٠٣ .

أن القساوة قـد حصلت جزئياً لاسرائيـل إلى أن يدخلوا ملء الأمـم وهكذا سيخلص جميع إسرائيل . كما هو مكتوب سيخرج من صهيون المنقذ ويرد الفجـور عن يعقـوب وهذا هو العهـد من قبلى لهم متى نـزعت خطاياهـم . (رسالة رومية ١١ : ٢٥ ـ ٢٧) .

بعد ذلك يظهـر إبليس بقوة على شكل إنسان الخطية « ثـم نسألكم أيها الأخوة من جهـة مجىء ربنا يسوع المسيح وإجتماعنا إليه ان لا تتـزعزعوا سريعاً عن ذهنكم ولا ترتاعوا لا بروح ولا بكلمة ولا برسالة كأنها منا أى أن يوم المسيـح قد حضر . لا يخدعنكم أحـد على طريقـة ما لأنه لا يـأتى إن لم يأتى الارتـداءاولاً ويستعلن إنسان الخطية ابـن الهلاك المقاوم والمرتفع على كل ما يدعى إلهاً أو معبوداً حتى إنه يجلس فى الهيكل الله مظهراً نفسه أنه إله (رسالة بولس الرسول إلى تسالـونيكى ٢ : ١ ـ ٤) سيكون هذا آخر حدث لهذا العصر وعندئذ يعود المسيح حرفياً فى نهاية الألف عام للدينونة والحياة الأبدية ويوضح الشكل رقم (٣) هذا الفكر .

وأكثر مـن أيد هذه العقيـدة طائفة تـدعى البيـورتانز والتـى ظهرت فى إنجلترا ، ومن الشيـق أن نعرف أن هذه العقيـدة أثرت فى إتجاههم مـن نحو العالم كما كتب ج . س ريال عام ١٨٧٠ م «لقـد عملوا كمواطنين بريطانيين صالحين أكثر من أى فئة أخرى عاشت فى تاريخ إنجلترا ، ولقد كان رجاؤهم فى هذا العالم يشكل فكرهم واتجاههم من نحو التاريخ والعالم ، ولذلك فهم مـن خلال رجـال مثل وليـم كارى ورولانـد هيـل ولدت رؤيـة الوصـول بالرسالة إلى كل العالم ، وهكذا بدأت حركة الأرساليات ثم إن ما حققه العالم الغربى مـن حضارة فى حقوق الإنسان والحرية والعدالـة ، كان نتيجة لهذا الفكـر القائل بـأن الله يحكم العـالم ، ولذلـك يجب أن يتنقى مـن كل فكـر

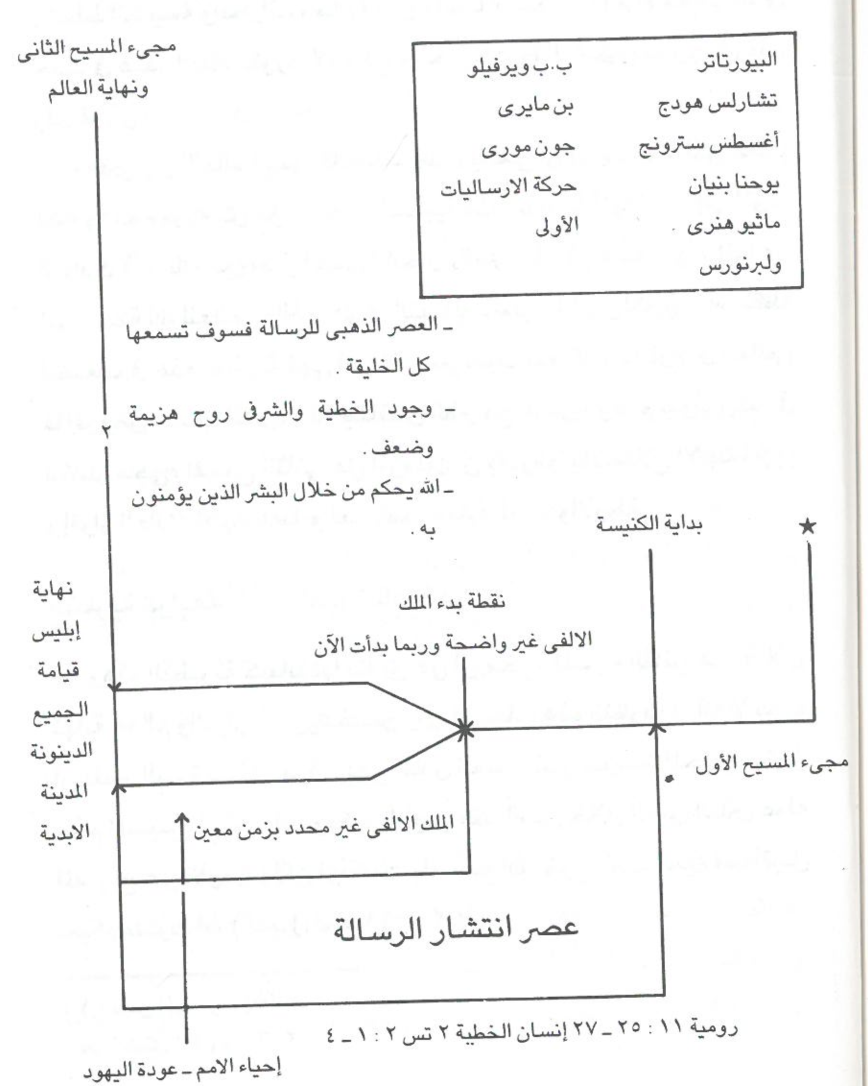
شكل رقم (٢)



والذى نرى فيه :

- رقم (١) المجىء الأول للمسيح .
- رقم (١٢) المجىء الثانى للمسيح وهو مجىء سرى لاختطاف الكنيسة .
- رقم (٢ ب) المجىء الثانى للمسيح ويتم علنا حيث تبدأ الالف سنة .

شكل رقم (٣)



شيطانى منحرف ، ونحن يمكننا أن ننتقد الامبراطوريات المسيحية القديمة وتسلط الكنيسة وانحراف رجال الدين ، لكننا لا ننكر التقدم الأخلاقى الذى حدث فى هذه البلاد بثورة الاصلاح والحريات وذلك بتشجيع رجال مثل ولبر فورل .

والذى رأى العالم ليس كالجحيم الذى ينبغى أن نهرب منه لكن كعالم الله ، وهذه معركة كل مؤمن به . وإيجابية هذه المدرسة أنها تشير إلى التوتر الحادث فى العالم بين الله وإبليس ، الخير والشر تعلن أن هذا التوتر إنما هو اطار خطة الله للعالم ، والذى هو فى النهاية سيبيد الشر والشرير ، أما نقطة الضعف فى هذه النظرية فهى أنها لا تفسر سبب نمو الشر باطراد فى العالم ، فالمفروض حسب فكرهم أن يتناقص الشر مع الزمن ، وهم يقولون أنه فى انتظار مجىء المسيح الثانى على المؤمنين أن يقوموا بالاصلاح الإجتماعى ، وإقرار العادلة الإجتماعية والعمل على حماية اليتيم والأرملة .

النظرية الرابعة [1] : رافضو الملك الألفى

وهذه النظرية كسابقتها تتفق على أن مجىء المسيح الثانى هو أعلان نهاية العالم والدينونة ، ويتلخص رأى أصحاب هذه النظرية فى أنه لا يجب أن تفسر النبوة بشكل حرفى ، ففى خلال العصر الذى يتوسط المجيئين يكون حكم المسيح فى السماء ، ويكون إبليس مقيداً من خلال العمل الذى عمله المسيح على الأرض ولكن إن كنت باصبع الله اخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله (إنجيل لوقا ١١ : ٢٠) .

(١) نفس المصدر . Ibid

انظر الشكل (٤) ص ٢٠٦ .

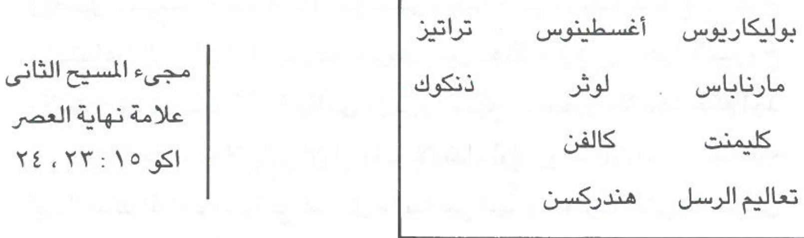
ويكون إمتداد عمل الله على الأرض مبنيًا على شعب الرب وقرب نهاية حكم المسيح زمنياً فى السماء ، ستكون هنالك فرصة لإبليس لأن يحل ويعمل « ثم نسألكم أيها الأخوة من جهة مجىء ربنا يسوع المسيح وإجتماعنا إليه أن لا تتزعزعوا سريعاً عن ذهنكم ولا ترتاعوا لا بروح ولابكلمة ولا برسالة كأنها منا أى أن يوم المسيح قد حضر ، لا يخدعنكم أحد على طريقة ما ، لأنه لا يأتى إن لم يأت الارتداد أولاً ويستعلن إنسان الخطية إبن الهلاك المقاوم والمرتفع على كل ما يدعى الهاً أو معبوداً حتى إنه يجلس فى هيكل الله مظهراً نفسه إنه إله » رسالة بولس الرسول الثانية إلى تسالونيكى (٢ : ١ ـ ٤) .

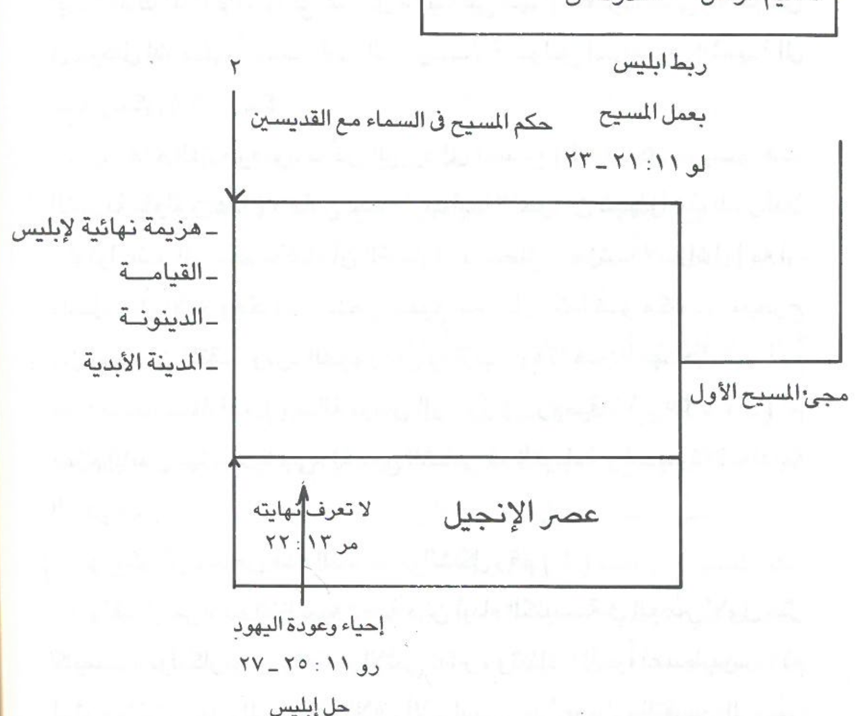
وفى هذه الفترة يعود بعض اليهود إلى المسيح (ليس كل مؤيدى هذه النظرية يقولون هذا) « فأنى لست أريد أيها الأخوة أن تجهلوا هذا السر لئلا تكونوا عند أنفسكم حكماء أن القساوة قد حصلت جزئياً لإسرائيل إليه أن يدخل ملء الأمم وهكذا سيخلص جميع إسرائيل . كما هو مكتوب سيخرج من صهيون المنقذ ويرد الفجور عن يعقوب . وهذا هو العهد من قبلى لهم متى نزعت خطاياهم (رسالة بولس الرسول إلى رومية ١١ : ٢٥ ـ ٢٧) ثم يهزم إبليس نهائياً بمجىء المسيح الثانى ثم القيامة والدينونة فالمدينة الجديدة .

ويمكن أن نلخص هذه النظرية فى الشكل رقم (٤) .

ولقد تبنى هذه النظرية نخبة من أبناء الكنيسة فى العصر الأول مثل كليمنت وبوليكاريوس وتعاليم الإثنى عشر ، وتبناه متأخراً أغسطينوس ، ثم لوثر وكلفن ، بعد ذلك ، والاختلاف الأساسى بين أصحاب التفسير الروحى للملك الألفى وبين رافضيه هو رؤيتهم للمستقبل ، فرافضو الملك الألفى

شـكل رقم (٤)





يرفضون أى محاولـة لتحديد مجىء المسيح الثـانى فلا أحد يعلـم عن هذا اليوم أو الساعة ولا حتى الملائكة الذين فى السماء ولا الابن إلا الأب (إنجيل مرقس ١٣ : ٣٢) .

وهـم ينتظـرون مجىء المسيـح فى أى وقت ، وان كـان المسيـح نفسـه لايعرف مـوعد المجىء ، فالعـلامة الوحيدة لمجيئـه هى المجىء ذاته ، لـذلك لاتوجـد أى علامة تشير إل المجىء ، وأصحـاب هذه النظريـة لا ينكرون أن هنالك أحداثـا سوف تتحقق قبل المجىء الثانى مثـل عودة بعض اليهود إلى المسيح ، وظهـور إنسان الخطية ، لكنهم يقـولون إن هذه الأشيـاء يمكن أن تكون حادثة بالتـدرج ، وعندما تظهر بوضوح سيكون الوقـت متأخراً جداً لعمل أى شـىء ، فالمجىء الثـانى سوف يـأتى دون عـلامة مؤكـدة ، ولقد انتقدت المدارس الثـلاث هذه المدرسـة الأخيرة فى تبنيها لفكـرة أنه لا يـوجد تفسير حرفى للنبوات ، لكن من تبنوا هذه المدرسة يردون على ذلك بالقول ان نبوات العهد القديم قد تحققت فى أحداث قريبة أنذاك ، ولا علاقة لها بأحداث اليوم ، ولذلـك فهم يعلنون بوضـوح أن الكتاب لم يتحدث مطلقاً عـن عودة اليهـود إلى فلسطين ، ولا عن ملـك المسيح مـن أورشليم ، ويـؤكدون ذلـك بالقـول إن الحـائط الذى كان يفصل بين اليهـود والأمم قد أزيل « لأنـه هو سلامنا الذى جعل الإثنين واحداً ونقض حائط السياج المتوسط أى العداوة . مبطلاً بجسده ناموس الوصايا فى فرائض لكى يخلق الإثنين فى نفسه إنساناً واحداً جـديداً صـانعاً سـلاماً »(رسـالة بـولس الـروسل إلى أفسـس ٢ : ١٥,١٤).

هذا يعنى أنـه لا يوجد فارق بين يهودى وأممى أمـام الله ، وليس لليهود دور فى التاريخ منفصل عن الأمم ، وليس لديهم أى امتياز لدى الله ، ولم يشر

الكتاب المقدس أبداً إلى أن الفاصل بين اليهود والأمم سيبنى ثانية ، لذلك لا معاملة خاصة لليهود من أى نوع ، ولا وجود لهم كشعب الله ، فقد ذابوا فى الأمم وصاروا كأى شعب أخر يعود إلى الله .

وهناك من ينتقد هذه المدرسة بالقول ان عدم ربط أصحاب هذه النظرية للنبوات بالأحداث المعاصرة يعطى احساساً ضعيفاً بعمل الله فى التاريخ .

ولكن أصحاب النظرية يردون بأن الله الذى عمل فى تاريخ شعب الله فى القديم من خلال النبوات التى تحققت فى وقتها ، يعمل اليوم من خلال شعبه من كل الأمم بقوة ووضوح ، فالعصر الذى نعيشه هو عصر الله ، وهو يحول ملكوت الله غير المرئى إلى ملكوت مرئى من خلال رجاله وأولاده وشعبه من كل أمة ولسان وشعب .

وهذه النظرية الأخيرة هى التى تتبناها الكنيسة الإنجيلية بمصر ، حيث تتبع فى لاهوتها المصلح جون كالفن ، والذى أسس هذه العقيدة منذ أكثر من خمسمائة عام ولذلك ترفض الكنيسة الإنجيلية فى مصر ، كل ما يتعلق بوجود إسرائيل فى فلسطين كعلامة لمجىء المسيح ، وإلى من يؤمن بهذه العقيدة نوجه السؤال لماذا ظهرت هذه العقيدة اليوم بكل هذه القوة والعنف؟

المراجع

(١) د. عبد أمين عبد الله محمود . **مشاريع الاستيطان اليهودى منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى**. الكويت : المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب . فبراير ١٩٨٤.

(٢) بول فندلى . **من يجرؤ على الكلام** . شركة المطبوعات للتوزيع والنشر . ١٩٨٧

(٣) د. رشاد عبد الله الشامى . **الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية** . الكويت : المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب . يونيو١٩٨٦ .

(٤) ريجينا الشريف (ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز) . **الصهيونية غير اليهودية جذورها فى التاريخ العربى** . الكويت : المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب . ديسمبر ١٩٨٥ .

(٥) د. عبد المالك خلف التميمى . **الاستيطان الأجنبى فى الوطن العربى** . الكويت : المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب . نوفمبر ١٩٨٣ .

(٦) كوستى بندلى . **إسرائيل بين الدعوة والرفض** . بيروت لبنان : منشورات النور . ١٩٨٥ .

(٧) مجلس كنائس الشرق الأوسط . ليماسول قبرص . ١٥ إبريل ١٩٨٨ .

(8) Anthony A. Hoekema. **The Bible and the Future**. William B. Eerdmans Publishing Co. March - M.SA. 1986 .

(9) Ausubel, Nathan. **Pictorial History of the Jewish**. Newyork : Croun Publisher. 1943.

(10) Colin Chapman . **Whose Promised Land ?** A lion International Paperback Tring. Batavia. Sydny. 1983.

(11) David K. Shipler. **Arab and Jew.** Penguin Books. 1986.

(12) Edward Luttwak & Dan Horowitz, **The Israeli Army** . Newyork. 1953 .

(13) Elbogen Ismar. **A Century of Jewish Life.** Philadelphia: Jewish Publication Society of America. 1944.

(14) Elias Chacour with David Hazard. **Blood Brothers.** Eastborne: Kingsway Publications. 1984.

(15) Finkelstein Louis ed. **The Jews: their History, culture and religion.** Newyork: Harper & Bros. 1949.

(16) Fromm, Erich. **Escape from freedom.** Newyork: Rinehart & Co. 1941.

(17) Groetz Heinrich. **History of the Jews.** Philadelphia: Jewish Publication Society of America. 1988.

(18) Hertzberg, Arthur ed. **The Zionist Idea.** Newyork: Meridian books. 1960.

(19) Kirk George E. **A Short History of the Middle East.** Newyork: Frederick A. Praeger. 1959.

(20) Melani Rosenberg. **International Embassy** Jerusalem. April 11, 1988.

(21) Max. L.Dimont. Jews, **God and History.** A Signet Book new American Library. 1986.

(22) Moses. **The revelation and the covenant.** Newyork: Harper & Bros. 1946.

(23) Nichola Bethell. **The Palestine Triangle: The Struggle Between the British, the Jews and the Arabs.** London. 1979.

(24) Parkes James . **A Hostory of Palestine from 135 A.D to modern times.** Newyork: Oxford University. 1949.

(25) Paul Johnson. **History of the Jews.** Newyork Cambridge, Philadelphia, San Francisco, London, Mexicocity, Sao Paulo, Singapore, Sydney: Perennial Library Harper & Raw, Publishers. 1988.

(26) Reitlinger Gerald. **The final solution.** Newyork: Beechhurst Press. 1953.

(27) Roback, A.A. **Jewish Influence in modern thought.** Cambridge, Mass, Sci-Art Publishers. 1929.

(28) Rony E. Gabbay. **A Political Study of the Arab.** Geneva : Jewish conflict. 1959.

(29) Roth, Cecil. **The Jewish contribution to civilization.** Newyork: Harper & Bros. 1940.

(30) Rubin, Jacob A. & Barkal Mayer. **Pictorial History of Israel.** Newyork: Thomas Yoseioff. 1985.

(31) Runes, Dagobert D, ed. **The Hebrew Impact on western civilization.** Newyork, Philosophical Library. 1951.

(32) Toynbee, Arnold J. **A Study of History**, Vols. I and II. Newyork, Oxford Universty Press. 1974 & 1960.

(33) Twanex, R.H. **Religion and the rise of capitalism.** London: J, Murray. 1926 & Newyork Mentar books (Paper Back) 1941.

قائمة مفردات

إذا رغب القارئ فى دراسة الشخصيات والأحداث التى ذكرت فى الأشكال الوضويحية الأربعة فإننا نورد فيما يلى هذه الشخصيات والأحداث وما يقابلها باللغة الإنجليزية عونًا فى الوصول إليها فى دوائر المعارف والمعاجم المتخصصة .

ترتليان	Tertullian
أغسطينوس	Augustine
ايرنياوس	Irenaeus
هنرى دورماند	Henry Dromand
جستن مارتر	Justin Martyr
إداورد ارفانج	Edward Erving
المجئ الثانى للمسح	Second Advent
الضيقة العظيمة	The Great Tribulation
الألف سنة	Millenium
القيامة	Ressurection
الدينونة	Judgement
هرمجدون	Armageddon
ج . ن . دربى	J.N. Darby

هال . لاندسى	H. Lendsay
ك . ا . سكوفيلد	C. Scofield
هـ . ا . أرنوسايد	H.A. Ironside
اختطاف الكنيسة	Rapture
البيورتان	Puritans
تشارلس هودج	Charles Hodge
أغسطس سترونج	August Strong
يوحنا بنيان	John Bunyan
ماثيو هنري	Matthew Henry
ولبرفورس	Wilberforce
جون مورى	John Murry
حركة الارساليات الأولى	First Missionary Movement
بوليكاريوس	Polycarp
أغسطينوس	Augustin
لوثر	Luther
كليمنت	Clement
كالفن	Calvin
تعاليم الرسل	Didache
هندركسن	Hendrekson

المحتويات

رقم الإيداع : ١٠٠٨٨ / ١٩٩٢
I. S. B. N. 977 - 09 - 0121 - 0

مطابع الشروق

القاهرة : ١٦ شارع جواد حسنى ـ هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ ـ فاكس : ٣٩٣٤٨١٤
بيروت : ص ب : ٨٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٧٦٥ ـ ٨١٧٢١٣

هذا الكتاب

لقد تحرك الكثيرون ربما مخدوعين وربما عامدين تحركوا بخبث شديد لخلق حركة عالمية لتعضيد دولة إسرائيل ولكن هناك باحثين منصفين يعملون من أجل الحقيقة وقد تصدوا لهذه الحركة من بينهم القس إكرام لمعى مؤلف هذا الكتاب .

أحمد بهجت الأهرام ٣٠/ ١١/ ١٩٩١

كتاب هام يسجل الوسائل المختلفة التى تعرض لها الدين المسيحى بهدف اختراقه من جانب الصهيونية مرات من داخله ومرات من خارجه وذلك خدمة للدولة اليهودية. والكتاب محاولة لتخليص الدين المسيحى من الاعتبارات السياسية التى اقتحمت جميع الأديان السماوية فى العصر الحالى والعودة به إلى نقائه الأول الأصلى .

محمد سلماوى الأهرام ٢٠/ ١٢/ ١٩٩١

القس الذى هز الضمير العربى .... هذا الكتاب يعلمنا أن نفكر ويفكرنا بأن نتعلم ... ولهذا فكتاب القس إكرام لمعى أخطر من أن نتحدث عنه بل يجب أن نحفظه .

إبراهيم عيسى روز اليوسف ٣٠/ ١٢/ ١٩٩١

القس إكرام لمعى